شرح منظومة
سلم الوصول إلي علم الأصول

لفضيلة الشيخ
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله تعالي

من الدرس (١) إلي الدرس(٤)

الشيخ لم يراجع التفريغ

الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وزدنا علماً ، واجعل ما نتعلمه حجةً لنا لا علينا .

ستكون القراءة بإذن الله-عز وجل- في منظومة لطيفة نافعة ، كتبها أو نظمها الإمام العلامة الشيخ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي –رحمه الله تعالى- ، وبين يدي دراسة هذه المنظومة لا بد من حديثٍ مختصر وموجز عن الناظم وعن المنظومة ، و لن أطيل .

أما الناظم-رحمه الله تعالى- : فهو علمٌ مشهور ، وإمامٌ ذاع صيته بين طلاب العلم وأهله بمؤلفاته النافعة ،ومنظوماته الجميلة في فنون الشريعة ، كان –رحمه الله تعالى- برز في العلم منذ صغره ، ونشأ نشأةً علمية طيبة مباركة ، سيأتي الحديث عن شيء من جوانبها لما فيها من الفائدة العظيمة لطالب العلم ، وهو –رحمه الله- لم يعمّر طويلاً ، بل لم يعِش إلا خمس وثلاثين سنة وأشهر قليلة ، مات صغيراً –رحمه الله تعالى- ولكنه خلّف ثروة علمية في مؤلفاتٍ كثيرة نافعة وأيضاً طلاب علم بارزين محققين تلقّوا على يديه ، وأخذوا العلم عنه واستفادوا من علمه ، وهو – رحمه الله- نشأ في بلد أو في قرية لم يكن فيها علم - انتبهوا لهذا - لم يكن فيها علم وبين أبوين فقيرين ، ولم يكن عندهم كتب ، وكانت عندهم أغنام ونشأ على رعاية الأغنام ، رجل نشأ في البادية في منطقة ليس فيها علم ويقوم برعاية الأغنام في الصباح والمساء ، يذهب بالغنم صباحاً ومساءً ، وهذا عمله منذ الصغر ، ويشاء الله-سبحانه وتعالى- أن يكون هذا الشاب الذي هذه نشأته عالماً من علماء الأمة البارزين المشار إليهم بالعلم والتحقيق ، والحرص على مؤلفاته –رحمه الله تعالى- والعناية بها ، وكتبه في حياته وبعد حياته كانت محطَّ الأنظار واهتمام طلاب العلم ، وفي حياته كان الملك سعود – رحمه الله تعالى- طبع مؤلفات الشيخ -رحمه الله- لأنها برزت لها مكانة علمية وأشاد بها أكابر أهل العلم ، فطبعت وقررت في المعاهد ، والمنظومات حفظت ، وعقدت دروس عديدة ، وكانوا في حياته-رحمه الله- يطالبونه أيضاً بشرح هذه المنظومات التي كتبها –رحمه الله تعالى- ومن ضمنها هذه المنظومة التي ندرسها ، نظمها –رحمه الله- أو بدأ بنظمها وعمره تسعة عشرة سنة ، وأنهاها كاملة وعمره عشرون سنةً ، وشرحها المعروف «معارج القبول» وهو من أنفع الكتب و أوعبها وأوسعها في التوحيد بجميع أبوابه ، فرغ من

تأليفه-رحمه الله- وعمره أربعٍ وعشرين سنة ، صغيراً ، ومضى أيضاً في منظومات أخرى ، وكتب في النحو وفي الفقه وفي الأصول وفي المصطلح ؛ مصطلح الحديث وفي الأسانيد ، في جميع فنون الشريعة-رحمه الله- وكان كل جانب يكتب فيه يبرع، فالشاهد أن هذا الرجل-رحمه الله- نشأ نشأة فقيرة في مجتمع أو في بيئة ليس فيها علم وكان أخوه محمد أكبر منه سِناً قليلاً ، كان بعثه والده –رحمه الله- للقرآن ، مكان الكتّاب الذي فيه قراءة القرآن وتعليم القرآن ، فكان يحفظ أولاً الحروف الهجائية ، ثم بعد ذلك يبدأ بالفاتحة وقصار السور ، وإذا رجع يبدأ يعلّم أخاه حافظ ما درس ، وكان يرى في أخيه نجابة عجيبة في الحفظ والاستيعاب بسرعة ، فلما فرغ أخوه محمد من قراءة قصار السور من المصحف على المقرئ في الكُتّاب بدأ يعلم أخاه ، واستطاعوا أنهم يتمكنون من القراءة ، فعكف هو وأخوه على القرآن حتى قرؤوه كاملاً ، وهم في مكان ما فيه أحد يقرؤهم أو يعلمهم أو يتفرغ لهم ، وأيضاً ما عندهم وقت ، عندهم أغنام ، ووالده ووالدته لا يسمحان له بالذهاب لطلب العلم ، فكان تعلم في البداية من أخيه محمد ، وأخوه محمد مثله طالب صغير ليس عنده علم ، ولكن يذهب ويقرأ ويأتي إلى أخيه في البيت لما يفرغ من أعمال المنزل أعمال رعاية الأغنام ، يبدأ يعلم أخاه ما تمكن من تعلمه .

يقول أخوه الشيخ محمد –رحمه الله – : « أنه دخل كتُّاب القرية فعرف الحروف الهجائية بحركاتها وسكناتها في يومٍ واحد ، حيث وصل إلى أبجد هوز ، وفي اليوم الثاني سمّع الفاتحة ، وعندما وصل إلى سورة الفجر عرف القراءة والكتابة وبعد أن تمكن من ذلك ، علّم أخاه حافظ ، فعرف القراءة والكتابة في أيامٍ يسيرة ، ولم يشعر به إلا وهو يفتح المصحف ويقرأ بنفسه ، وهنا استبشر أخوه خيراً فأخذ يدرس في الكتّاب ، فإذا عاد راجع مع أخيه ما درس حتى وصلا سورة التحريم ، وبعدها انقطع الشيخ محمد عن الكُتّاب وأخذ يقرأ مع أخيه في بيتهما بالجاظع حتى ختما المصحف في وقتٍ يسير ، حيث انتهيا من ذلك عام تسعة وأربعين وثلاث مائة وألف ، وعمر الشيخ حافظ لم يتجاوز السبع سنوات ، واستمر الأخوان في طلب العلم » .

الآن عرفوا القراءة ، يقرؤون بسهولة ما يقع في أيديهما من كتب وليس هناك علماء ، فكانوا إذا سمعوا بفقيه أو رجل عنده كتب في أي منطقة قريبة من قريتهم يذهبان إليه ويستعيران منه ما عنده من كتب ، والعادة يكون عنده كتاب كتابين ثلاثة ، فيستعيران الكتب ، استعارا من الفقيه حسن المعجمي في قرية الدغارير كتاب الرحبية في الفرائض ، وقام الشيخ حافظ بنسخه ، وحفظاه في ثلاثة ليالي واستعار من قرية مُجْعُر الأصول الثلاثة ، وكشف الشبهات وقرأه مع أخيه حافظ حتى أتقنا النسختين ، واستعار من قرية أبي حجر

مجموعة الرسائل النجدية ، واستمر على هذه الطريقة في استعارة الكتب ، وحفظ المتون ، حتى ذكروا أن الشيخ حافظ في صغره حفظ لامية الأفعال ، وجدها فحفظها وهو لا يدري عن معناها شيئاً ، ولكنها أوزانها جميلة وكلماتها ، قالوا أنه حفظها لينافس بها الرعاة ، الرعاة أحياناً يحدون الغنم بشعر وأشياء يحفظونها ، فكان يأتيهم بلامية الأفعال فيبهرون من هذه الأبيات وهذا النظم ويستغربونه ، فحفظها وهو لا يعرف عن معناها أي شيء في ذلك الوقت .

قال : « كانوا يعرضون – أي الرعاة- كلمات تتكون من حروف متقاربة في المخارج ، فحفظ الشيخ حافظ هذه المنظومة وكان يعرضها عليهم فيحارون في تكرارها ، وحفظ الجزرية والآجرومية وغيرها» .

ومرّت السنوات وهم على هذه الطريقة ، ثم أحد من استعاروا منه الكتب ، ورأى همتهم ورغبتم في الطلب قال لهم : إنه يوجد شيخ داعية وواعظ ورجل مؤثر في صامطة ، قريبة منهم وليست بعيدة ، يدعى : عبد الله القرعاوي وهذا الرجل كان له نشاط تفرّغ في الدعوة إلى الله-سبحانه وتعالى- و تعليم الناس في تلك المناطق ، فأخبر محمد بذلك وأخبر أخاه فأشار عليه أخوه حافظ أن يذهب إلى الشيخ عبد الله القرعاوي ويستعير منه كتاباً في التوحيد ، وكتب معه كتاباً للشيخ عبد الله القرعاوي ، ونظم بيتين من الشعر قال :

إن الذي رقم الكتاب بكفه يقرا السلام على الذي يقراه

وعلى الذي يقراه ألفُ تحيةٍ مقرونةٍ بالمسكِ حين يراه

ثم طلب منه أن يعيره كتاباً في التوحيد يستفيدون منه ، الشيخ القرعاوي كتب عن حياة تلميذه حافظ حكمي ، وكان أيضاً زوجه بنته ، والشيخ حافظ عرفنا أنه توفي صغيراً فبعد وفاته كتب عن حياته الشيخ عبد الله القرعاوي .

يقول الشيخ عبد الله : « في سنة ألف وتسعمائة وخمسين ، أتانا محمد بن أحمد الحكمي –أخو حافظ- برسالة من أخيه يطلب كتاباً في التوحيد ويعتذر من عدم القدوم-يعني إليه- لاشتغاله في خدمة أبويه في رعاية الغنم ، ويطلب-أي الشيخ حافظ وأخوه- منّا-أي من الشيخ عبد الله القرعاوي- وصولنا للقرية التي هم بها ، فأجبت حالاً إلى ذلك ومعي جملة من الطلبة ، فكان ولله الحمد لا ألقي درساً إلا ويحفظه ويفهمه ، فأقمت بقرية الجاظع أياماً وكنت أتيهم مرةً ويأتيني أخرى لطلب الإفادة من التعليم والتعلم ».

الشيخ عبد الله لما رأى نجابة الشيخ حافظ طلب من والديه أن يأخذه معه إلى سامطة ويعيش معه ويعلمه ويفقهه في الدين فرفضا ، حتى في بعض كتب التراجم ، قالوا له : يا شيخ ابننا وغنمنا ، يعني لا يمكن أن

نفرط ، فما قَبِلا أن يذهب ابنهما عند الشيخ مع أنه حاول أن يقنعهم وعرض عليهم ، حتى إنه قال لهم : أنا أتكفل لكم بشخص أعطيه مرتب هو يتولى رعاية الأغنام وأعطونا الابن ؛ لأننا نراه فيه نجابة وحفظ مُتَوسم فيه ، فأبداً ما استجابوا ، ثم توفيت والدته ، وأذن والده لهما يومين في الأسبوع أو ثلاثة أيام يذهبان إلى الشيخ ويعودان ، فالشيخ نشأ هذه النشأة ، وأنت تستفيد من هذا فائدة عظيمة جداً أنه لا يلزم أن يكون الإنسان في حاضرة علمية ، خاصة الآن في زماننا هذا تيسرت ولله الحمد وسائل التعليم والعلم والدراسة والتواصل ، إذا كان الشيخ-رحمه الله- حصّل هذا التحصيل وهو يعيش هذه الحياة ، فكيف الأمر بمن تيسر له أمور وأبواب ومجالات من تحصيل العلم ما لم يتيسر مثله للشيخ حافظ –رحمه الله تعالى-.

قصة تأليفه لهذه المنظومة – منظومة سلم الوصول- :

أن الشيخ عبد الله القرعاوي-رحمه الله تعالى- لما رأى فيه النجابة والهمة العالية والاستفادة من كتب التوحيد ، والعناية بها ، وخاصة ما تيسر له قراءته من كتب ابن تيمية وكتب ابن القيم ، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله-أشار عليه أن يكتب منظومة ، وهو رأى فيه براعة في النظم ، فأشار إليه أن يكتب منظومة في العقيدة ،وكان عمره آنذاك تسع عشرة سنة ، فأشار إليه أن يكتب منظومة ، فبدأ يكتب في سلم الوصول ويعرض على الشيخ عبد الله ما يكتبه ، في تلك الأثناء زارهم الشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد –رحمه الله- ولما حضر سأل عن حافظ ، لأنه سمع عن حفظه ، سأل عن حافظ فدلّ عليه ، فأخبره الشيخ عبد الله القرعاوي أن الشيخ حافظ يعمل الآن على إخراج منظومة في التوحيد ، فتعجب الشيخ بن حميد ، وسأل هل ينظم حافظ الشعر فأجابه الشيخ عبد الله : نعم ، فتمثل الشيخ بن حميد – رحمه الله – في المجلس بقول الشاعر :

لقد سمعنا بأوصافٍ لكم كملت فسرّنا ما سمعناه و أحيانا

نلنا محبتكم من قبل رؤيتكم والأذن تعشق قبل العين أحيانا

فتمثل بالبيتين ، فأنشأ الشيخ حافظ في المجلس نفسه ،على إثر سماعه لهذين البيتين ، أنشأ ارتجالاً قائلاً :

الحمد لله رؤياكم قد اتصلت بإذن باري البرية الله مولانا

والله يشهد أنّا نحن إخوتكم والمؤمنون كذا في الله إخوانا

ثم كتبها وأعطاها للشيخ وبعد ذلك اطلع الشيخ عبد الله على ما انتهى منه تلميذه حافظ من نظم سلم الوصول ، وأعجب به وفرغ الشيخ –رحمه الله– من هذه المنظومة عام ألف وثلاث مائة واثنين وستين ، وكان ولد –رحمه الله– في الرابع من رمضان سنة ألف وثلاث مائة واثنين وأربعين ، ففرغ من المنظومة وهو لم يكمل بعد العشرين سنة ، فرغ منها في ذلك الوقت ، ثم أشار عليه الشيخ عبد الله القرعاوي ، أشار عليه أن قبل ذلك أن لما سمع ابن حميد مواضع من سلم الوصول ، أعجبته جداً وأعطى للشيخ حافظ ثلاثون ريالاً هدية ، وأعطاه بشتاً أبيض ، أيضاً هديةً له ، ولما فرغ منها انتشرت في وقته بين الطلاب وحفظوها ، والمنظومة كما سنقف عليها رائعة جداً ، وسهلة وواضحة وجامعة ، وأيضاً بحرها بحر الرجز سهل الحفظ ، ففي زمان الشيخ انتشرت بين الطلاب وتناسخوها وحفظها الكثير منهم ، فطلب الشيخ القرعاوي من الشيخ حافظ أن يكتب عليها شرحاً ، فبدأ في كتاب معارج القبول وفرغ منه –رحمه الله– وعمره أربع وعشرين سنة .

مضى –رحمه الله – في العلم والتأليف ، ويمكن للإخوة الاطلاع على ترجمة الشيخ في عدد من المصادر من ضمنها ترجمة لابنه أحمد ، ترجمة جيدة مختصرة ، وجُعلت في مقدمة بعض مؤلفات الشيخ مثل معارج القبول وغيرها من مؤلفاته بقلم ابنه أحمد ، وله ترجمة بقلم تلميذه الشيخ زيد بن محمد بن هادي المدخلي– حفظه الله– وأيضاً له ترجمة حافلة للشيخ أحمد بن علي المدخلي وهي رسالة علمية تقدم بها أظن إلى جامعة الإمام طبعت بعنوان «الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي حياته ، ومنهجه في تقرير العقيدة ونشرها في منطقة الجنوب» فهذه بعض المصادر التي يمكن الرجوع إليها في ترجمة الشيخ–رحمه الله تعالى– ، وبعد حياةٍ حافلة بالعلم توفي –رحمه الله– سنة ألف وثلاث مائة وسبعة وسبعين ، على إثر مرضٍ أصابه أثناء أدائه لحج بيت الله الحرام وتوفي بسبب ذلك المرض وكان عمره آنذاك خمساً وثلاثين سنة ، ودفن بمكة وذكروا أن الذي صلى عليه الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله تعالى– .

والآن ندخل في المنظومة وأحب أن أنبه أن المنظومة أبياتها كما هي بأيديكم مائتين وسبعين بيتاً فلن نتمكن من إنهائها في هذا الأسبوع ولكن إن شاء الله الدورات القادمة في منتصف الفصل الدراسي أو في نهاية الفصل الدراسي نكمل بإذن الله تعالى قراءة هذه المنظومة ، وأيضاً الشيء الآخر أنبه أنني لن أطيل في الشرح لأنه يأخذ وقتاً ولكن سيكون الشرح شرحاً مختصراً يكون مجرد توضيح وذكر بعض الأدلة وبعض الأمور التي يحتاج المقام إلى ذكرها .

قال المصنف –رحمه الله تعالى- :

ﺑَـﺪَأُ بِاسْـمِ اللَّـهِ مُـسْـتَـعِـيْـنَـا   رَاضٍ بِـهِ مُـدَبِّـراً مُـعِـيْـنَـا
وَالْـحَـمْـدُ لِلَّـهِ كَـمَـا هَـدَانَـا   إِلَـى سَـبِـيْـلِ الْـحَـقِّ وَاجْـتَـبَـانَـا
أَحْـمَـدُهُ سُـبْـحَـانَـهُ وأَشْـكُـرُهْ   وَمِـنْ مَـسَـاوِي عَمَلِـي أَسْـتَـغْـفِـرُهْ
وَأَسْـتَـعِـيْـنُـهُ عَلَى نَـيْـلِ الرِّضَـا   وَأَسْـتَـمِـدُّ لُـطْـفَـهُ فِي مَـا قَـضَـى

الشرح :

بدأ الشيخ –رحمه الله- واستهل هذه المنظومة بذكر اسم الله –جل وعلا- فبدأ بذكر البسملة ، والبسملة يُبدأ بها في الكتابة والتأليف والقراءة وللدخول والخروج وكل أمرٍ ذي بال ، والبسملة هي طلب عون من الله –جل وعلا- وتيمنٌ بذكر اسمه وتبركٌ بذكر اسمه –تبارك وتعالى- وطلبٌ لعونه ، وقوله هنا : « **أَبْـدَأُ بِاسْـمِ اللَّـهِ مُـسْـتَـعِـيْـنَـا** » .

« **أَبْـدَأُ** » ؛ أي : كتابي ونظمي وعموم أعمالي وأقوالي، من تحركاتٍ وسكنات وذهاب ومجيء وغير ذلك أبدأ ذلك كله « **بِاسْـمِ اللَّـهِ مُـسْـتَـعِـيْـنَـا** » ؛ والباء ببسم الله باء الاستعانة ، أي أبدأ طالباً عون الله – جل وعلا- متيمناً بذكر اسمه –جل وعلا- متبركاً بذكر اسمه طالباً مده وعونه ، وقوله: « **مُـسْـتَـعِـيْـنَـا** » ؛ أي طالباً العون من الله –جل وعلا- وفي هذا أن المرء لا غنى له عن الله – تبارك وتعالى- طرفة عين ، لا في طلب العلم ولا في فهمه ولا في العمل وتطبيقه ولا في أي شيء ، لا غنى له عن الله طرفة عين ، وعن مده وعونه وتوفيقه ، ولهذا قال النبي- عليه الصلاة والسلام- لمعاذ بن جبل : «**إني أحبك يا معاذ فلا تدعن دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**» فهو بدأ بهذه البداية يطلب من الله عونه ، وفي هذا من الفائدة لطالب العلم : أن تكون هذه حياته في طلبه للعلم وفي عبادته وفي جميع أموره يطلب عون الله –تبارك وتعالى- ويستمد العون من الله جل وعلا ، ولأجل ذا كان نبينا – عليه الصلاة والسلام يوجه من خرج من بيته لأي مصلحة دينية أو دنيوية أن يقول : «**بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله**»وجميع هذه الكلمات الثلاث كلمات استعانة .

قال : « **رَاضٍ بِـهِ مُـدَبِّـرٍ مُـعِـيْـنَـا** » ؛ وهذا فيه الرضا بالله – عز وجل- وقد صح عن نبينا – عليه الصلاة والسلام – أنه قال :« **ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً** » فالشيخ يقول « **رَاضٍ بِـهِ مُـدَبِّـراً مُـعِـيْـنَـا** » ؛أي رضيت بالله رباً مدبراً معيناً لي ، والرضا بالله أساس الإيمان وأساس الصلاح والفلاح في

الدنيا والآخرة وهو القائد للإنسان لكل خير وفضيلة إذا رضي بالله ، قال : «**رَاضٍ بِهِ مُدَبِّراً**» وهذا فيه التفويض ، تفويض الأمر إلى الله عز وجل وحسن التوكل والاعتماد على الله –تبارك وتعالى– .

قال : «**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هَدَانَا** » ؛وهذا فيه الاستلال بالحمد حمد الله عز وجل ويذكر في حمده لله عز وجل نعمة الهداية ﴿ **الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله** ﴾ ونعمة الهداية خصها بالذكر لأنها أعظم النعم ، فهو بدأ بحمد الله والثناء عليه ذاكراً أعظم النعم وهي نعمة الهداية قال :

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هَدَانَا إِلَى سَبِيْلِ الْحَقِّ وَاجْتَبَانَا

فهذه أعظم النعم وأكبر المنن ، ومن ضمنها توفيق الله سبحانه وتعالى للشيخ –رحمه الله – إلى العلم والاشتغال به والفهم ، فهو يذكر نعمة الله عليه وفضله –سبحانه وتعالى– وتيسيره وتوفيقه فيحمد الله – عز وجل– وفي الحديث الصحيح يقول النبي–صلى الله عليه وسلم– :«**إن الله ليرضى على عبده أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها**».

قال :

أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وأَشْكُرُهْ وَمِنْ مَسَاوِي عَمَلِي أَسْتَغْفِرُهْ

كرر الحمد والشكر لله –سبحانه وتعالى– على نعمائه ، « **أَحْمَدُهُ** » ؛ أي : حمداً متجدداً متكرراً على توالي نعمه وتواتر مننه –سبحانه وتعالى– وكثرة عطاياه جل وعلا « **أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وأَشْكُرُهْ** »؛على ما أنعم وألهم ووفق ويسر ، قال تعالى : ﴿ **فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون** ﴾ .

«**ومن مساوي عملي**» ؛ أي : من سيئات أعمالي « **أَسْتَغْفِرُهْ** » ؛ أي : أطلب منه تبارك وتعالى أن يغفر لي فهو يحمد الله عز وجل ويشكره سبحانه ويستغفره من مساوئ أو سيئات الأعمال ، وهنا تأمل أن العبد يتقلب في هذه الحياة بين أمور:

- إما نعمة يمنّ الله سبحانه وتعالى بها عليه فالنعمة تستوجب الحمد والشكر للمنعم .
- أو ذنب يقع فيه العبد فهذا يحتاج إلى توبة واستغفار إلى الله سبحانه وتعالى .
- أو مصيبة يبتلى بها العبد فيحتاج إلى الرضا والصبر .

وقد جمع هذه الأمور الثلاثة التي ذكر العلماء أنها أسباب السعادة جمعها الشيخ فيما مضى من كلامه فذكر الشكر وذكر الاستغفار وذكر الرضا ، وهذه الأمور الثلاثة هي أسباب السعادة، والسعادة عليها تدور وترتكز .

قال :

وَأَسْتَعِيْنُهُ عَلَى نَيْلِ الرِّضَا وَأَسْتَمِدُّ لُطْفَهُ فِي مَا قَضَى

« **وَأَسْتَعِيْنُهُ**» ؛ أي : أطلب منه تبارك وتعالى العون ، يطلب من الله العون «**عَلَى نَيْلِ الرِّضَا**»؛ يطلب من الله أن يعينه على الأمور والأعمال والأقوال والطاعات التي ينال بها رضا الله ، يستعين الله على ذلك ، أي على أن يوفقه وأن ييسر له «**نَيْلِ**» ؛ أي :تحصيل الأمور التي ينال بها رضا الله جل وعلا .

« **وَأَسْتَمِدُّ لُطْفَهُ فِي مَا قَضَى** » ؛ أطلب منه تبارك وتعالى أن يمدني باللطف فيما قضاه فيما قدره لي هذا فيه طلب اللطف في القضاء ، ويتضمن التعوذ بالله من سوء القضاء وقد جاء عن النبي –صلى الله عليه وسلم– الأمر بذلك قال :« **تعوذوا بالله من سوء القضاء** » فيطلب من الله اللطف في قضائه سبحانه وتعالى .

قال – رحمه الله – :

وَبَعْدُ: إِنِي بِالْيَقِيْنِ أَشْهَدْ شَهَادَةَ الإِخْلاَصِ أَنْ لاَ يُعْبَدْ
بِالحَقِّ مَأْلُوهٌ سِوَى الرَّحْمَنِ مَنْ جَلَّ عَنْ عَيْبٍ وَعَنْ نُقْصَانِ
وَ أَنَّ خَيْرَ خَلْقِهِ مُحَمَّدَا مَنْ جَاءَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَ الهُدَى
رَسُولُهُ إِلى جَمِيعِ الخَلْقِ بِالنُّورِ وَالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ
صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَمَجَّدا وَالآلِ وَالصَّحْبِ دَوماً سَرْمَدَا

ثم لما أنهى –رحمه الله– الحمد والثناء على الله سبحانه وتعالى دخل في الموضوع ولهذا قال «**وَبَعْدُ**» ؛ وهذه يؤتى بها عند الشروع في المقصود بعد الحمد والثناء والذكر لله عز وجل عند الشروع بالمقصود يؤتى بهذه الكلمة «**وَبَعْدُ**» أو أما بعد ؛ أي: مهما يكن من شيء بعد فالمقصود كذا ، يشرع في ذكر المقصود .

وَبَعْدُ: إِنِي بِالْيَقِيْنِ أَشْهَدْ شَهَادَةَ الإِخْلاَصِ أَنْ لاَ يُعْبَدْ

« **إِنِي بِالْيَقِيْنِ أَشْهَدْ** » ؛ اليقين هو تمام العلم وهو انتفاء الشك والريب ولابد من اليقين في الإيمان والشهادة وسيأتي عند الشيخ –رحمه الله– ذكر شروط شهادة أن لا إله إلا الله وذكر منها اليقين المنافي للشك والريب ، فلابد من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله من اليقين ، واليقين هو انتفاء الشك والريب ، قال – عليه الصلاة والسلام– : « **أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاكٍ فيهما إلا أدخله الله الجنة**» فالشيخ يقول : « **إِنِي بِالْيَقِيْنِ أَشْهَدْ** » ؛ أي : أشهد باليقين «**شَهَادَةَ**

الإِخْـــلاَصِ»؛ أي: لا إله إلا الله ،وشهادة أن لا إله إلا الله هي كلمة الإخلاص لأنها تعني إخلاص الدين لله تبارك وتعالى وإفراده بالعبادة كما قال عز وجل :﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** ﴾ والإخلاص مأخوذ من الخالص وهو الصافي النقي ، والعبادة لا تقبل إلا إذا كانت بهذه الصفة صافية نقية لا يراد بها إلا الله –سبحانه وتعالى– فالشيخ رحمه الله يقول أشهد باليقين شهادة الإخلاص ، وشهادة الإخلاص ما هي ؟ قال : « **أَنْ لاَ يُعْـــبَدْ بِالحَقِّ مَأْلُوهٌ سِوَى الرَّحْمَنِ**» ؛ هذه شهادة الإخلاص هذه لا إله إلا الله « **أَنْ لاَ يُعْـبَدْ بِالحَقِّ مَأْلُوهٌ سِوَى الرَّحْمَنِ**» فجمع هنا بين النفي والإثبات اللذين تنتظمهما كلمة الإخلاص ، النفي في قوله :« **أَنْ لاَ يُعْـــبَدْ**» والإثبات في قوله:« **سِوَى الرَّحْمَنِ**» كما في كلمة التوحيد لا إله إلا الله ، وفي هذا أن التوحيد لابد فيه من هذين الركنين النفي والإثبات ، نفي العبودية عن كل من سوى الله وإثبات العبودية بكل معانيها لله وحده ، فلا يكون المرء موحداً إلا بالنفي والإثبات معاً فمن نفى ولم يثبت لا يكون موحداً ، ومن أثبت ولم ينف لا يكون موحداً ، إذ التوحيد لا يكون إلا بالنفي والإثبات « **أَنْ لاَ يُعْـبَدْ بِالحَقِّ مَأْلُوهٌ سِوَى الرَّحْمَنِ**»؛ « **أَنْ لاَ يُعْـبَدْ** »؛ أي لا تصرف العبادة والذل والخضوع ، « **بِالحَقِّ** » قال تعالى : ﴿**ذلك بأن الله هو الحق** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **له دعوة الحق** ﴾ وفي هذا أن صرفها لغيره باطل وضلال ،﴿ **ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير**﴾ فلا يعبد بحق إلا الله ، يقول الشيخ : أشهد باليقين أنه لا يعبد بالحق إلا الله إلا الرحمن ومعنى ذلك أن عبادة غير الرحمن أو صرف العبادة لغير الرحمن أياً كان ومهما كان باطل ولو كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً أو ولياً من الأولياء فعبادة غير الله تبارك وتعالى أبطل الباطل وأضل الضلال ، « **لاَ يُعْـــبَدْ بِالحَقِّ مَأْلُوهٌ** » ؛ المألوه : هو المعبود الذي يُذل له ويخضع ، والتأله هو التعبد فيقول رحمه الله :« **لاَ يُعْـبَدْ بِالحَقِّ مَأْلُوهٌ سِوَى الرَّحْمَنِ**» ؛ نعم بالباطل يعبد مألوهات كثيرة لكن « **لاَ يُعْـــبَدْ بِالحَقِّ مَأْلُوهٌ** »؛ أي معبود « **سِـوَى الرَّحْمَنِ**» أما بالباطل فما أكثر ما يعبدون بالباطل وكل عبادة تصرف لغير الله تبارك وتعالى فهي باطل وضلال .

« **مَنْ جَلَّ عَنْ عَيْبٍ وَعَنْ نُقْصَانِ** » ؛ أي : الله تبارك وتعالى وهذا فيه تنزيه الله تبارك وتعالى عن العيب وعن النقص ، والعيب عام لكل عيب فالله عز وجل منزه في كل صفاته عن أي عيب ومنزه في جميع صفاته عن أي نقص فهو سبحانه وتعالى له الكمال والجلال والعظمة في أسمائه وصفاته منزه عن النقص سبحانه وتعالى ، ولهذا من أسمائه الحسنى: القدوس و السلام و السبوح والطيب وجميع هذه الأسماء فيها تنزيه الله عن العيب وعن النقصان كلها أسماء تنزيه القدوس و السلام و السبوح والطيب ، الطيب من أسماء الله

الحسنى كما في الحديث في صحيح مسلم : « **إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً** » والطيب هو المنزه عن العيب و النقصان الذي أسماؤه وصفاته وأفعاله كلها طيب ولهذا نحن نقول في الصلاة : «**التحيات لله والصلوات والطيبات**» ؛ أي : الطيبات لله من الأسماء والأقوال والأفعال والصفات الطيبات لله ، فالله سبحانه وتعالى له الطيبات واسمه الطيب ومعنى ذلك أنه منزه عن العيب وعن النقصان وأصل الطيب الطهارة والتنزه عن النقص وعن ضد الطيب وهو الخُبث والخَبث فالله جل وعلا طيب أي منزه عن العيب وعن النقصان فذكر الشيخ -رحمه الله- تنزّه الله عن ذلك قال « **مَنْ جَلَّ** » ؛ أي تنزه وتقدس « **عَنْ عَيْبٍ وَعَنْ نُقْصَانِ** » والله جل وعلا ذو الجلال والاكرام .

قال : « **وَأَنَّ خَيْرَ خَلْقِهِ مُحَمَّدَا** » ؛ أي : وأشهد هذا مضاف إلى ما سبق : «**وَبَعْدُ إِنِي بِالْيَقِينِ أَشْهَدْ شَهَادَةَ الإِخْلاَصِ أَنْ لاَ يُعْبَدْ** » «**وَ**»أشهد أيضاً «**أَنَّ خَيْرَ خَلْقِهِ مُحَمَّدَا مَنْ جَاءَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَالهُدَى رَسُولُهُ** » ؛ « **أَنَّ خَيْرَ خَلْقِهِ مُحَمَّدَا... رَسُولُهُ** » هذه الشهادة بأن محمداً -صلى الله عليه وسلم- رسول الله ، فجمع رحمه الله في هذا الاستهلال وهذا البدء بين ذكر الشهادتين الشهادة لله بالوحدانية ولمحمد -صلى الله عليه وسلم- بالرسالة ، «**أَنَّ خَيْرَ خَلْقِهِ مُحَمَّدَا مَنْ جَاءَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَالهُدَى رَسُولُهُ** » ؛ أنا أشهد أن خير خلقه محمداً -صلى الله عليه وسلم- الذي « **جَاءَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَالهُدَى** » ؛ أي من الله عز وجل « **رَسُولُهُ** » ؛ أي رسول الله عز وجل مرسل من ربه ، والشهادة له - عليه الصلاة والسلام - بالرسالة تعني : طاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر وتصديقه فيما أخبر وألا يعبد الله إلا بما شرع ، هذا هو معنى الشهادة ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله**﴾ فالرسل بعثهم الله تبارك وتعالى ليطاعوا ، فمن شهد أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - رسول الله فإن هذا يعني طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر والانتهاء عما نهى عنه وزجر .

قال : « **رَسُولُهُ إِلى جَمِيعِ الخَلْقِ** » ؛ وهذا فيه الشهادة بأن رسالة النبي -صلى الله عليه وسلم- عامة :﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ ويقول -عليه الصلاة والسلام- : « **أنا الرحمة المهداة**» فهو - عليه الصلاة والسلام - رسول لجميع الخلق بماذا ؟ قال : « **بِالنُّورِ وَالهَدَى وَدِينِ الحَقِّ**» قال تعالى :﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السماوات ومافي الأرض ألا إلى الله تصير الأمور** ﴾ فهو - عليه الصلاة والسلام- مرسل بالنور الذي هو الوحي ﴿ **كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري**

ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً ﴾ قوله :« **وَالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ**» ؛ كما قال تعالى :﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله**﴾ ،« **وَالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ**» العلم النافع والعمل الصالح ، الهدى هو العلم النافع ودين الحق هو العمل الصالح ، والله عز وجل بعث نبيه - صلى الله عليه وسلم - بالهدى أي بالعلم النافع والعمل الصالح.

قال :

صَلّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَمَجَّدا وَالآل وَالصَّحْب دَوماً سَرْمَدَا

« **صَلّى**» ؛ أي عليه ، على النبي - صلى الله عليه وسلم - .

« **رَبُّنَا وَمَجَّدا** » فيه هذا الدعاء الذي هو الصلاة على النبي -عليه الصلاة والسلام- ، وقوله «**وَمَجَّدا** » أي أثنى عليه في الملأ الأعلى ، كما قال أهل العلم أبوالعالية وغيره في معنى صلاة الله على نبيه : «هي ثناؤه عليه في الملأ الأعلى» هذا معنى قوله -رحمه الله - : «**صَلّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَمَجَّدا** ».

« **وَالآلِ وَالصَّحْب** » ؛ أي : عليه وعلى الآل والصحب « **دَوماً سَرْمَدَا**» .

«**الآلِ**»؛أي: آل النبي -عليه الصلاة والسلام- ، ويطلق الآل ويراد به من آمن به من قرابته ويطلق الآل ليعم كل أتباعه -عليه الصلاة والسلام- بإحسان « **وَالآلِ وَالصَّحْب** »؛ أي:وصلى على الآل والصحب « **دَوماً سَرْمَدَا**» أي دائماً وأبداً ، يقول الشيخ في شرحه لمعنى الآل قال: « الآل : آله هم أتباعه وأنصاره إلى يوم القيامة كما قيل :

آل النبي همُ أتباع ملته على الشريعة من عجم ومن عرب

لو لم يكن آله إلا قرابته صلى المصلي على الطاغي أبي لهب »

لو كان المراد مجرد القرابة فقط إذن يكون الذي يصلي على الآل يصلي على أبي لهب ، فالآل إما أن يراد به من آمن به -عليه الصلاة والسلام- من قرابته أو يراد به إطلاق أعم وأوسع من ذلك وهم كل أتباعه -عليه الصلاة والسلام- بإحسان ويشهد لهذا المعنى ما جاء في الصحيح قوله -عليه الصلاة والسلام- :« إن آل أبي فلان ليس لي بأولياء إن وليي الله وصالح المؤمنين » .

قال – رحمه الله - :

وَبَعْدُ هَذا النَّظْمُ في الأُصُولِ لمَنْ أَرَادَ مَنْهَجَ الرَّسُولِ

سَأَلَني إِيَّاهُ مَنْ لَابُدَ لي مِنْ امْتِثَالِ سُؤْلِهِ المُمْتَثَلِ

فَقُلْتُ مَعْ عَجْزِي وَمَعْ إِشْفَاقِي مُعْتَمِداً عَلَى القَدِيرِ البَاقِي

ثم ذكر هنا هذا النظم والمقصود في نظمه وسبب هذا النظم فيقول :

« **وَبَعْدُ** » ؛ أي : بعد الشهادتين والثناء على الله بما هو أهله والصلاة والسلام على نبيه- عليه الصلاة والسلام-.

« **هَذا النَّظْمُ في الأُصُولِ** » ، « **هَذا النَّظْمُ** » ؛ الذي بين يديك « **في الأُصُولِ** »؛ والمراد بالأصول أي : أصول الدين وأمور الاعتقاد ومهمات الشريعة ، والدين له أصل وفرع ، أصوله هي العقائد ، العقائد الدينية الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿ **ألم ترَ كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء** ﴾ فالدين له أصل وفرع وأصول الدين هي العقائد التي يقوم عليه المدين تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، ويدخل في هذه الأصول مهمات الدين الكبار مما ألحقه أهل العلم في كتب العقائد بالأصول مثل : العقيدة في الصحابة – رضي الله عنهم –ولزوم الجماعة ونحو ذلك من مسائل الكبار التي تذكر في كتب العقائد المختصرة والمطولة فيقول : « **هَذا النَّظْمُ في الأُصُولِ** » ؛ أي : في أصول الدين .

«**لمنْ أَرَادَ مَنْهَجَ الرَّسُولِ** » ؛ هذا النظم في أصول العقائد للذي يريد « **مَنْهَجَ الرَّسُولِ** »، وهذا فيه براعة استهلال في بيان الكتاب ومقصوده ففي هذا البيت الواحد بين لك أن هذا الكتاب مؤلف في العقيدة على منهج الرسول ، مثل هذا قول ابن أبي العز في مقدمة شرحه للعقيدة الطحاوية قال :« كيف يرام إلى علم الأصول بغير ما جاء به الرسول –صلى الله عليه وسلم » لا يمكن أن تصل إلى الاعتقاد الصحيح والدين القويم إلا بالأخذ بما جاء به الرسول –صلى الله عليه وسلم- ، كان ابن تيمية-رحمه الله – كثيرا ما يقول « من فارق الدليل ضل السبيل » ولا دليل إلا بماجاء به الرسول –صلى الله عليه وسلم- ، فيقول :« **هَذا النَّظْمُ في الأُصُولِ لمنْ أَرَادَ مَنْهَجَ الرَّسُولِ** » – عليه الصلاة والسلام – ، الذي يريد العقيدة الصافية النقية مأخوذة من منهج الرسول – عليه الصلاة والسلام – يجدها هنا في هذا النظم ، نظمت هذه المنظومة لبيان ذلك ، هذه الطريقة في البدء درج عليها أهل العلم من أهل السنة في عامة كتب العقائد المختصرة والمطولة ، ولهذا انتبه لهذا عامة كتب أهل السنة المؤلفة في الاعتقاد المختصرة والمطولة دائماً يبدؤونها بذكر المصدر والمنبع الذي استمدوا منه هذه العقيدة وأنها مستمدة من كتاب الله وسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم- ، ولهذا يطمئن المسلم القارئ المطلع للعقيدة عندما يعلم أنها حقاً وصدقاً متلقاة من كتاب الله وسنة نبيه-

عليه الصلاة والسلام -، وهذا الاستهلال من أهل السنة وأئمة السلف –رحمهم الله – لكتبهم ليس مجرد دعوى بل هو إخبار عن حقيقة ما صنعوه وما كتبوه بخلاف أهل الأهواء فإن بعضهم يُلبس على العوام وعلى الجهال فيضع في مقدمة كتابه أو في عنوان كتابه وطُرّة كتابه أنه مستمد من الكتاب والسنة وإذا نظرت في حقيقة الأمر وإذا به مستمد من العقل أو من الرأي أو من المنطق وغير ذلك ويضع عنوان الكتاب عقيدة أهل السنة والجماعة أونحو ذلك من العناوين التي فيها إيهام للمطلع أنها مستمدة من الكتاب والسنة وهي بخلاف ذلك وما أكثر الكتب التي تروج ويضلل بها الناس بهذه الطريقة .

يقول :

سَأَلَني إِيَّاهُ مَنْ لَابُدَ لي مِنْ امْتِثَالِ سُؤْلِهِ المُمْتَثَلِ

وهذا أيضاً بيان لسبب تأليفه النظم وأن سبب ذلك أنه سأله أي طلب منه « **مَنْ لَابُدَ لي مِنْ امْتِثَالِ سُؤْلِهِ** »؛ أي : لا مناص لي إلا أن أجيبه وهو يشير هنا إلى شيخه الشيخ عبد الله القرعاوي لأنه لما رأى براعته في العلوم وفهمه للتوحيد وسهولة النظم عنده وإلمامه الجيد بأمور الاعتقاد أشار عليه أن يكتب منظومة في التوحيد فطلب منه هذا الأمر ولهذا يقول: «**سَأَلَنِي إِيَّاهُ مَنْ لَابُدَ لي مِنْ امْتِثَالِ سُؤْلِهِ المُمْتَثَلِ** » ؛ أي: هو شخص سؤله وطلبه ممتثل لمكانته ولقدره ولفضله ولأحقيته بذلك فاستجاب وهذا أيضاً فيه أدب الشيخ حافظ وتقديره لشيخه رحمه الله .

قال : « **فَقُلْتُ** » ؛ لما طلب مني « **فَقُلْتُ مَعْ عَجْزِي وَمَعْ إِشْفَاقِي مُعْتَمِداً عَلَى القَدِيرِ البَاقِي**»

« **فَقُلْتُ** » ؛ أي: جواباً لسؤاله لي وطلبه مني « **مَعْ عَجْزِي** »؛ أي : عدم مقدرتي على ذلك «**وَمَعْ إِشْفَاقِي**» ؛ أي : خوفي من الغلط ، فأنا ليس عندي قدرة على هذا الأمر وأيضاً أشفق أن أخطئ وهذا يقوله – رحمه الله تعالى – تواضعاً ولهذا في الشرح يقول :« مع خوفي من الغلط في هذا الباب الذي المسألة منه أكبر من الدنيا وما فيها وذلك لقصر باعي وقلة اطلاعي والذي قوى عزمي على ذلك هو كوني « **مُعْتَمِداً** »؛ أي : متوكلاً « **عَلَى القَدِيرِ** »الذي لا يعجزه شيء في السموات والأرض « **البَاقِي** » الذي كل شيء هالك إلا وجهه ، فاعتمادي على الله والتجائي إليه ورغبتي منه سبحانه وتعالى عزمت على هذا الأمر استجابة لطلب الشيخ مني هذا الطلب مع اعترافي بالعجز والقصور ».

والله أعلم، وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قال المصنف رحمه الله تعالى :

مقدمة

((تعرف العبد بما خلق له وبأول ما فرض الله تعالى عليه وبما أخذ الله عليه به الميثاق في ظهر أبيه آدم وبما هو صائر إليه))

اِعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلاَ لَمْ يَتْرُكِ الْخَلْقَ سُدَى وَهَمَلاَ
بَلْ خَلَقَ الْخَلْقَ: لِيَعْبُدُوهُ وَبِالإِلَهِيَّةِ يُفْرِدُوهُ

الشرح :

هذه المقدمة جعلها رحمه الله تعالى بين يدي هذه المنظومة الطيبة النافعة تنبيهاً إلى أهمية هذا الأمر وعظم شأنه ، وأنه الأمر الذي خلق الخلق لأجله ، وأوجدوا لتحقيقه ، ومثل هذه المقدمات التمهيدية مهمة للغاية ؛ لأنه من خلالها يتبين لطالب العلم أهمية هذا الموضوع وجلالة شأنه ، فإذا أدرك أهميته زادت عنايته به وزاد اهتمامه به ، فبدأ -رحمه الله عز وجل- بهذه المقدمة ، منبهاً من خلالها إلى أهمية هذا الموضوع الجليل ؛ موضوع التوحيد الذي هو مقصود هذا النظم والمراد بهذا النظم ، فجعل بين يديه مقدمة يبين بها أهمية التوحيد ، وأنه أول ما فرض الله -تبارك وتعالى- على العبد ، فذكر أهميته من جهة أن العبد خلق لأجله قال تعالى { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } وبيّن أهميته من جهة أنه أول ما فرض الله-سبحانه وتعالى- على العباد ؛ لأن التوحيد هو أفرض الفرائض وأوجب الواجبات وأعظم الأوامر ، فأول ما تأمر به الرسل أممهم هو توحيد الله عز وجل ، وأول الأوامر في القرآن الأمر بالتوحيد ، قال الله -عز وجل- في أول أمرٍ في كتاب الله { يا أيها الناس اعبدوا ربكم} وأول شيء نهى الله عنه في القرآن هو الشرك ضد التوحيد قال الله -تعالى- { فلا تجعلوا لله أندادا وانتم تعلمون } وكل الآيات التي في القرآن المشتملة على الأوامر والنواهي تُبدأ بالأمر بالتوحيد ، والنهي عن الشرك ، كقوله -تعالى- {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين

إحساناً }والآيات بعدها وقول الله-عز وجل- "{ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا} وقوله تعالى { قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا } وغيرها من الآيات في هذا المعنى فالتوحيد هو أعظم الأوامر ، أعظم شيء أمر الله به عباده هو التوحيد ، وأعظم شيء نهى الله -تبارك وتعالى- عنه عباده هو ضده الشرك بالله -سبحانه وتعالى- ، فالتوحيد هو أعظم الأوامر وهو مقصود الخليقة خلق الجن والإنس لأجله {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}وأمرٌ ثالث قال : (**وبما أخذ الله عليه به الميثاق في ظهر أبيه آدم**) (**وبما أخذ الله عليه**) أي على العبد (**به**) أي التوحيد (**الميثاق في ظهر أبيه آدم**) وهذا يشير إلى أمر سيأتي تقريره عنده -رحمه الله- وذكر الأدلة عليه في النظم وأن الله -عز وجل- أخرج في عالم الذر ذرية ادم من ظهر أبيهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ، وهذا مما يبين عظم شان التوحيد ، أن الله -عز وجل- اخرج ذرية آدم من ظهر أبيهم وأشهدهم على أنفسهم ، ألست بربكم{ قالوا بلى شهدنا}" كما سيأتي عند الناظم –رحمه الله تعالى- هذا يبين لنا أن التوحيد هو أعظم الأمور وأجلها قال (**وبما هو صائرٌ إليه**) أيضاً التوحيد أمره مصيري ، من كان موحداً فمصيره إلى الجنة أبد الآباد ، ومن مات -والعياذ بالله- مشركاً فمصيره إلى النار مخلداً فيها أبد الآباد ، لا يقضى عليهم فيموت ولا يخفف عنهم من عذابها ، فأمر التوحيد وضده أمرٌ مصيري ؛ إما جنة عرضها كعرض السماوات والأرض يخلد فيها الموحد أبد الآباد ، وإما نار فيها من العذاب الشديد الفظيع ويخلّد فيها أبد الآباد ، ولا يقضى على المشرك في النار فيموت ، ولا يخفف على المشرك من عذابها ، ولا يعاد إلى الدنيا مرة ثانية ليصحح العمل ؛ بل يبقى في النار أبد الآباد ، فهذا يبين لنا عظم شأن التوحيد وما يترتب عليه من الثمار والآثار العظيمة للموحد في الدنيا والآخرة ، وأيضاً ما يترتب على ضده وهو الشرك بالله من الأخطار والأضرار العظيمة على المشرك في الدنيا والآخرة ، هذه مقدمة مهمة بين يدي هذا الكتاب أو بين يدي هذا النظم ، قال –رحمه الله- :

اِعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلاَ لَمْ يَتْرُكِ الْخَلْقَ سُدَى وَهَمَلاَ

وكلمة (**اعلم**) يؤتى بها للتنبيه ، لاسيما على الأمور العظيمة المهمة الجليلة ، وتأتي في القرآن كثيراً ، تنبيهاً إلى الأمور المهمة التي تذكر بعد قوله اعلم ، ومن ذلكم قوله –تعالى- {فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك } والآيات في هذا المعنى كثيرة ، التي فيها الأمر بالعلم بالله وألوهيته وأسمائه وصفاته ، تقارب

الثلاثين آية في كتاب الله -جل وعلا - ، فاعلم هذه يؤتى بها بين يدي الأمور العظيمة المهمة، تنبيهاً للسامع وشداً لانتباهه ، ولهذا بدأ -رحمه الله- هنا بقوله :

اِعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلاَ لَمْ يَتْرُكِ الْخَلْقَ سُدَى وَهَمَلاَ

(**اعلم**) بأن الله-جل وعلا- خالق هذه الخليقة ، وموجد الناس ، وباري البرية -سبحانه وتعالى-، لم يترك الخلق سداً وهملاً ، قال تعالى {أيحسب الإنسان أن يترك سدى} : فالله -عز وجل- منزه عن ذلك ، لم يخلق الخلق عبثا أو باطلاً تنزه ربنا وتقدس عن ذلك ، لهذا يقول أولو الألباب { ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك } أي ننزهك يا ألله ، فالله ما خلق الخلق باطلاً ولا أوجدهم هملاً ولا يتركهم سداً : أي لا يؤمرون ولا ينهون ، بل هو -سبحانه وتعالى- خلق الخلق ليأمرهم وينهاهم ، وأعظم شيءٍ أمرهم به توحيده ، وأعظم شيء نهاهم عنه الإشراك به قال :-

اِعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلاَ لَمْ يَتْرُكِ الْخَلْقَ سُدَى وَهَمَلاَ

أي لم يتركهم دون أن يأمرهم أو ينهاهم ، بل خلقهم -سبحانه- ليأمرهم وينهاهم ، ولذلك أرسل رسله وأنزل كتبه بالأوامر والنواهي ، قال ((**بَلْ خَلَقَ الْخَلْقَ: لِيَعْبُدُوهُ**)) لم يخلق الخلق سدى وهملاً ، بل خلقهم ليعبدوه قال : ((**وَبِالإِلَهِيَّةِ يُفْرِدُوهُ**))هذا الذي لأجله خلق الخلق -سبحانه وتعالى- ، خلقهم ليعبدوه : أي ليخصوه وحده بالعبادة ، ويفردوه -تبارك وتعالى- بالطاعة كما قال -عز وجل- { وما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون} جاء عن ابن عباس وغيره أن كل أمرٍ في القرآن بالعبادة أمرٌ بالتوحيد فقوله {إلا ليعبدون} أي إلا ليوحدون ، أي إلا ليفردوني وحدي بالعبادة ، فهذا الذي خلق الخلق لأجله قال :

بَلْ خَلَقَ الْخَلْقَ: لِيَعْبُدُوهُ وَبِالإِلَهِيَّةِ يُفْرِدُوهُ

ذكر هنا أمرين مستفادين من اسمه -تبارك وتعالى- (**الله**) فالله هذا الاسم العظيم يدل على الألوهية التي هي صفة الجلال والكمال والعظمة التي بها استحق أن يعبد ، ويخضع له- تبارك وتعالى- ويدل هذا الاسم على العبودية التي هي صفة العبد وأعماله التي يقتضيها إيمانه بأن الله -سبحانه وتعالى- هو الإله ، كما قال ابن عباس -رضي الله عنهما- [الله ذو الالوهية والعبودية على خلق أجمعين] ، الالوهية صفة الله ، وهي صفات الجلال والكمال والعظمة التي بها استحق أن يعبد ويخضع له -تبارك وتعالى- ويذل ، وأن يخص وحده -تبارك وتعالى -بالعبادة ، والعبودية التي هي أعمال العباد التي يقتضيها إيمانهم بألوهية الله ، ولهذا

توحيد الالوهية يقال له تارة توحيد الالوهية ؛ باعتبار استحقاق الله -عز وجل- بذلك واختصاصه -سبحانه- بذلك ، فهو الإله الحق ، والمعبود بحق ولا معبود بحق سواه ، ويقال له توحيد العبادة وتوحيد الإرادة وتوحيد القصد ، وتوحيد الطلب ، التوحيد العملي إلى غير ذلك من الأسماء باعتبار أفعال المكلفين التي يقتضيها إيمانهم بالله -تبارك وتعالى- الإله وأنه -سبحانه- المعبود بحق ولا معبود بحق سواه ، فقوله -رحمه الله- في هذا البيت الجميل :

بَلْ خَلَقَ الْخَلْقَ: لِيَعْبُدُوهُ وَبِالإِلَهِيَّةِ يُفْرِدُوهُ

إشارة إلى هذين الأمرين .

قال رحمه الله :

أَخْرَجَ فِيْمَا قَدْ مَضَى مِنْ ظَهْرِ آدَمَ : ذُرِّيَّتَهُ ((كَالذَّرِّ))
وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ لاَ رَبَّ مَعْبُودٌ بِحَقٍّ غَيْرَهُ

ذكر هنا في بيان أهمية التوحيد وعظيم مكانته أن الله -عز وجل-

أَخْرَجَ فِيْمَا قَدْ مَضَى مِنْ ظَهْرِ آدَمَ : ذُرِّيَّتَهُ ((كَالذَّرِّ))
وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ لاَ رَبَّ مَعْبُودٌ بِحَقٍّ غَيْرَهُ

ذكر هنا -رحمه الله- ما دل عليه قول الله- سبحانه وتعالى- في سورة الأعراف { وإذ أخذ ربك من بني آدم ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون }

وهذه الآية معناها كما قرره جماهير السلف وأهل التفسير أن الله -تبارك وتعالى- أخرج ذرية آدم بعد خلقه لآدم -سبحانه وتعالى- وإيجاده له ، أخرج ذريته من ظهره جميع للذرية ، اختلف أهل العلم أين كان هذا الإخراج ، منهم من قال كما جاء عن ابن عباس في صعيد عرفة وذكر أماكن أخرى الله أعلم ، فالله -جل

وعلا- أخرج ذرية أدم ، أخرجهم كلهم من ظهره ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ أي المستحق لئن أعبد وحدي وأن أخص بالطاعة وحدي وأن تفردوني بالعبادة ؟ {قالوا بلى شهدنا } الشهادة هنا على التوحيد شهدوا كلهم وأقروا بذلك لله- تبارك وتعالى- أنه الرب المعبود بحق ولا معبود بحق سواه ، وهذا الإقرار إقرار بتوحيد العبادة وأنه لا معبود بحقٍ إلا الله -سبحانه وتعالى- كما يوضح ذلك ويدل عليه تمام السياق { أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا } فإقرارهم هنا إقرارهم بأنه- تبارك وتعالى- الرب المعبود بحق ولا معبود بحق سواه ، وأنه لا يصرف شيء من العبادة إلا له ، أقروا كلهم بذلك { وقالوا شهدنا }وهذا ميثاقٌ أخذه الله -سبحانه وتعالى- وعهدٌ أخذه الله -جل وعلا- على الناس على ذرية آدم أجمعين عندما أخرجهم من ظهر أبيهم آدم ، وقد يقول قائل هنا وما يدري الناس عن هذا العهد وهذا الميثاق ؟ والجواب : يدريهم عن هذا العهد والميثاق أمران : ١) الأول : أن الله فطرهم جميعاً على التوحيد ، جاء في صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عن ربه أنه قال : [خلقت عبادي حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم] ، وقال -عليه الصلاة والسلام- كما في حديث أبي هريرة [كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه]

٢) والامر الثاني : الرسل، رسل الله ؛ لأن الرسل بعثهم الله -سبحانه وتعالى- ليذكروهم بهذا العهد والميثاق ، أرسل الله- عز وجل- رسله ليذكروا الناس بهذا العهد والميثاق وسيأتي تقرير هذا المعنى عند الناظم -رحمه الله-.

وفي معنى الآية تقرير أهل العلم لها جاء أحاديث عديدة ساقها المصنف -رحمه الله- بتوسع وتقصٍ في كتابه معارج القبول .

وبهذه المناسبة أحب أن أنبه تنبيها و أُأكد عليه ألا وهو أن هذا الدرس وهذه المذاكرة لهذه المنظومة ؛ اعتبروها كالتمهيد والتوطئة لقراة كتابه الحافل وسفره الطيب معارج القبول فهذا الدرس كالتوطئه والتمهيد لقراءة الكتاب ، لهذا يحسن في هذه القراءة أن تكون أولاً بأول ، عندما ننتهي من درس مباشرة تحاول أن تقرأ ما قرره -رحمه الله- حول الأبيات التي شرحت إن تمكنت من ذلك فبها ، وإلا بعد انتهاء الدورة وفي فرصة قريبة جداً تقرأ كتاب معارج القبول للشيخ -رحمه الله- وهذه المذاكرة أشبة ما تكون بالتمهيد والتوطئة بين يدي قراءة كتاب الشيخ -رحمه الله- معارج القبول .

(**أَخْـرَجَ**) أي الله -سيحانه وتعالى- (**فِيْمَـا قَـدْ مَضَـى مِـنْ ظَهْـرِ**) أي في الزمان الذي مضى من ظهر آدم ، (**أخرج**) أي الله ، في الزمان الذي قد مضى ـ عندما خلق آدم -سـبحانه وتعالى- أخرج من ظهره ذريته ، أي كلهم أجمعين أخرجهم في عالم الذر ، ولهذا قال -رحمه الله- أخرج ذريته كالذر: أي كهيئة الذر أخرجهم ، ونثرهم في مكان واحد وأشـهدهم -تبارك وتعالى- على أنفسـهم ألسـت بربكم قالوا بلى ، جاء في الصـحيحين من أنس بن مالك عن النبي – صـلى الله عليه وسـلم- أنه قال [يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به ؟ فيقول : نعم ، فيقول : قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم ألا تشـرك بي شـيئاً فأبيت إلا أن تشـرك بي] أخرجاه في الصـحيحين ، وسـاق المصـنف -رحمه الله- أحاديث عديدة جداً في هذا المعنى يمكن مطالعتها في كتابه معارج القبول ، قال (**وأخذ العهد عليهم أنه**) أي أخذ الله -سـبحانه وتعالى- عليهم أي : على هؤلاء الذراري أي الذين أخرجهم (**أنه**) أي الله (**لا رب معبود بحق غيره**) هذا يبين لكم ما جاء في الآية { ألست بربكم } أي الرب الذي يخص بالعبادة وتصرف العبادة له وحده ، ولهذا قال :

أخذ العهد عليهم أنه لا رب بحق غيره .

لا معبود بحقٍ سواه ، وهذا هو معنى لا إله إلا الله .

قال رحمه الله :

وبعد هذا رسله قد أرسلا لهم وبالحق الكتاب أنزلا

لكي بذا العهد يذكروهـم وينذروهم ويبشروهم

كي لا يكون حجةً للناس بل لله أعلى حجة عز وجل

فمن يصدقهم بلا شقـاق فقد وفى بذلك الميثاق

وذاك ناجٍ من عذاب النار وذلك الوارث عقبى الدار

ومن بهم وبالكتاب كذبا ولا الإعراض عنه والإبا

فذاك ناقض كلا العهدين مستوجبٌ للخزي في الدارين

الشرح :

قال -رحمه الله -(**وبعد هذا**) أي بعد هذا الميثاق الذي أشار إليه في البيتين المتقدمين ، (**رسله قد أرسلا**) (**وبعد هذا**) أي بعد أن أخذ الميثاق وأخرج ذرية آدم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم بعد هذا (**رسله قد أرسلا**) أي أرسل -تبارك وتعالى- رسله الكرم-عليهم صلوات الله وسلامه- (**لهم**) أي لهؤلاء الذرية ، أرسل الله -عز وجل- رسله تترا رسول من بعد رسول حتى ختم بمحمد -صلى الله عليه وسلم- قال (**وبالحق الكتاب أنزلا**) أرسل الكتب لهم (**وبالحق الكتاب أنزلا**) أي على الرسل ، فأنزل الكتاب وأل في الكتاب للاستغراق أو الجنس تشمل جميع كتب الله ، فأنزل الله -تبارك وتعالى- كتبه أي على رسله الكرام، فبعد الميثاق أرسل الرسل -جل وعلا- وأنزل على الرسل كتبه لأجل لماذا ؟ قال (**لكي بذا العهد يذكروهم**) فالله -جل وعلا- أرسل الرسل لغاية ولغرض من ذلكم أن يذكروا الناس بالعهد الذي أُخذ عليهم في عالم الذر العهد الأول ، يذكروهم به وقول الناظم هنا (**لكي بذا العهد يذكروهم**) فيه جواب لسؤال من يقول وما يدري الناس عن هذا العهد ؟ يدريهم أن الرسل ذكروهم بهذا العهد وأخبرهم بذلك وهم صادقون مصدوقون (**لكي بذا العهد**) أي العهد الذي أخذ الله -عز وجل- الناس والميثاق الذي أخذه عليهم (**يذكروهم**) أي الرسل يذكروا الناس بذلك ، وأيضاً (**وينذروهم ويبشروهم**) كما قال -سبحانه وتعالى- {رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل } فأرسل الرسل ليذكروا الناس بذاك العهد والميثاق وليكونوا مبشرين ومنذرين ، مبشرين بالتوحيد وبالجنة لمن أطاع الله -عز وجل- ووحده ومنذرين من النار ومن الشرك بالله -تبارك وتعالى- وأن عاقبة المشركين النار والخزي في الدارين .

(**كي لا يكون حجة للناس بل لله أعلى حجةٍ عز وجل**) أي إرسال الرسل وإنزال الكتب لئلا يكون للناس حجة وهذا واضح في الآية الكريمة {رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل } أي بعد أن أرسل -تبارك و تعالى- عليهم وإليهم رسله ، ولهذا من يدخل النار يوجه إليه هذا السؤال هل قامت عليك هذه الحجة ؟ في قوله تعالى { وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسلٌ منكم يتلون عليكم آيات ربكم } وفي سورة الملك {وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى } فلا يكون لأحد حجة بعد الرسل ، ولهذا قال (**كي لا يكون حجة للناس بل لله أعلى حجة عز وجل**) وهذا فيه إشارة إلى قوله { قل فالله الحجة البالغة } فالله -

تبارك وتعالى- له أعلى حجة ، (**لله أعلى حجة عز وجل**)ثم ذكر أن الناس على قسمين حول هذا الميثاق ، حول هذا العهد ولزومه أنهم على قسمين قال مبيناً القسم الأول :

فمن يصدقهم بلا شقاق فقد وفى بذلك الميثاق

(**فمن يصدقهم**) أي الرسل (**بلا شقاق**) أي بلا امتناع ولا معاندة ولا رد ولا رفض (**فقد وفى بذلك الميثاق**) من كان مصدقاً للرسل مؤمناً بما جاءوا به متبعاً لهم مطيعاً لأوامرهم منتهياً عما ينهونه عنه ، من كان كذلك فقد وفى بذلك الميثاق ، وهذا بيان لحال أهل الإيمان الذين أكرمهم الله -سبحانه وتعالى- ومنّ عليهم بتصديق المرسلين والإيمان بهم ، (**فقد وفى بذلك الميثاق**) ما ثوابه ؟ قال (**وذاك ناجٍ من عذاب النار وذلك الوارث عقبى الدار**) فذكر القسم الأول وذكر ثوابهم عند الله ، قال ثواب هؤلاء الذين صدّقوا المرسلين ووفوا بذلك الميثاق والتزموه عاقبتهم النجاة من عذاب النار ، ينجيهم الله -سبحانه وتعالى- من عذاب النار يوم القيامة ، وأيضاً يورثهم عقبى الدار: أي الجنة ، ولهذا لما ذكر -سبحانه وتعالى- سوق أهل الجنة للجنة زمراً في آخر سورة الزمر { وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين} فذكر -سبحانه وتعالى- أنهم ورثوا عقبى الدار أي ورثوا الجنة ، وهذا الورث للجنة هو ثواب الوفاء بذلك الميثاق ، والطاعة للمرسلين والتوحيد لرب العالمين -سبحانه وتعالى- هذا القسم الأول من الناس ، القسم الثاني قال :

ومن بهم وبالكتاب كذبا ولا زم الإعراض عنه والإبا

فذاك ناقض كلا العهدين مستوجب للخزي في الدارين

هذا القسم الثاني من هم ؟ قال (**من بهم**) أي بالرسل (**وبالكتاب**) أي بالكتب (**كذبا**) أي كان مكذبا للمرسلين ومكذبا لكتب رب العالمين المنزلة على رسله -صلوات الله وسلامه عليهم- ، (**ولازم الإعراض عنه والابا**) أي كان ملازماً للإعراض معرضاً عن كتاب الله لا يقرؤه ولا يسمعه ولا يتدبره ، قال -عز وجل- {ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى } فهنا يقول (**ولازم الإعراض عنه والابا**) الابا هو الامتناع ، يمتنع عن قبول الحق {إلا إبليس أبى واستكبر } فمن لازم الإعراض والإبا وكان مكذباً بكتب الله -عز وجل- وبرسله ، فهذا ناقضٌ كلا العهدين ، ما العهدان ؟

١) الميثاق الأول : الذي أشار إليه رحمه الله في البيتين الأوليين أخذ الميثاق في عالم الذر .

٢) والعهد الثاني : يشير إلى بعث الرسل وإرسالهم ، فمن كذب بالكتاب ولازم الإعراض والابا .

(**فذاك ناقض كلا العهدين**) العهد الأول للذي هو الميثاق ، والعهد الثاني هو إتباع المرسلين والإيمان بهم وبما جاءوا به ، وما عقوبة من كان كذلك ؟ قال : (**مستوجب للخزي في الدرين**) كما قال تعالى { وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين } فعقوبة من كان كذلك الخزي في الدارين أي في الدار الدنيا وفي الدار الآخرة أجارنا الله وإياكم ووقانا ووقاكم.

قال رحمه الله :

الفصل الأول

في كون التوحيد ينقسم إلى نوعين ، وبيان النوع الأول وهو توحيد المعرفة والإثبات .

أول واجب على العبيد معرفة الرحمن بالتوحيد

إذ هو من كل الأوامر أعظم وهو نوعان أيا من يفهم

إثبات ذات الرب جل وعلا أسمائه الحسنى صفاته العلا

الشرح :

هذا الفصل عقده -رحمه الله- ليبن من خلاله أن التوحيد الذي خلق الخلق لأجله وأوجدوا لتحقيقه نوعان :

١- النوع الأول : توحيد المعرفة .

٢- النوع الثاني : والإثبات توحيد الإرادة والطلب.

يقال للأول التوحيد العلمي ، ويقال للثاني التوحيد العملي ، فالتوحيد نوعان علمي وعملي ، وان شئت قل توحيد معرفةٍ واثبات ، وتوحيد إرادة وطلب ، فهذان التوحيدان هما الأمر الذي لأجله خلق الخلق -سبحانه وتعالى- ، ويدل على ذلك آيتان ، الأولى في آخر سورة الطلاق والثانية في أواخر سورة الذاريات ، آخر آية في الطلاق وهي قوله -تعالى- { الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن قد أحاط بكل شيء علما } والآية الثانية في أواخر الذاريات { وما خلق الجن والإنس إلا ليعبدون } في الأولى قال خلق لأجل ماذا ؟ { لتعلموا } والثانية خلق { لتعبدوا

} فدلت الآيتان أن الله-سبحانه وتعالى- خلق الخلق لهذين التوحيدين التوحيد العلمي {الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله } لماذا ؟ { لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيءٍ علما} والنوع الثاني في قوله {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } والتوحيد العلمي مستلزمٌ للعملي ، والتوحيد العملي متضمنٌ للعلمي ؛ أي أن من عبد الله مخلصاً له الدين عرف الله ؛ لأن عبادة الله بإخلاص الدين له فرعٌ عن معرفته –سبحانه- والتوحيد العلمي مستلزمٌ للتوحيد العملي أي يلزم من أقرّ بأن الرب الخالق الرازق المتصف بصفات العلا هو الله أن يفرده -تبارك وتعالى- بالعبادة ، وأن يخصه وحده بالذل والخضوع ، إذن هذا الفصل عقده الناظم -رحمه الله تعالى وغفر له- ليبين أن التوحيد نوعان ؛ نوعٌ في المعرفة والإثبات ، ونوع يتعلق بالإرادة والطلب ، ثم ينبه -رحمه الله- أن هذا الفصل سيكون خاصاً بالنوع الأول الذي هو المعرفة والإثبات ، وسيأتي فصل قادم لبيان النوع الثاني وهو توحيد الإرادة والطلب ، قال رحمه الله – تعالى-

أول واجب على العبيد معرفة الرحمن بالتوحيد

هذا أول واجب على العبيد معرفة الرحمن بالتوحيد ، أول ما يجب على العبيد هذا الأمر الذي خلق الخلق لأجله وأوجدوا لتحقيقه ؛ أي التوحيد بنوعيه العلمي والعملي فهذا أول ما يجب ، أول ما يجب على العبيد أن يحققوا التوحيد بنوعيه العلمي والعملي قال :

أول واجب على العبيد معرفة الرحمن بالتوحيد

إذ هو من كل الأوامرْ أعظم وهو نوعان أيا من يفهم

قوله هنا (**إذ**) هذا حرف تعليل لكون التوحيد أول واجب يعلل الشيخ -رحمه الله -كون التوحيد أول واجب بقوله (**إذ هو من كل الأوامرْ أعظم**) فهو من كل الأوامر التي يأمر الله -تبارك وتعالى- عباده بها أعظم ، أي أنه أعظم شيء أمر الله-تبارك وتعالى- به ، كما أن ضده وهو الشرك أعظم شيء نهى الله عنه ، وقد أشرت فيما سبق إلى أن آيات الأوامر والنواهي في القرآن تُبدأ بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك ، فالتوحيد أعظم شيءٍ أمر الله به ، وضده الذي هو الشرك ، أعظم شيء نهى الله -تبارك وتعالى عنه- ، إذن التوحيد أول شيء يجب على العبيد وإذا قيل لماذا هو أول واجب على العبيد يأتي الجواب في البيت الثاني لأنه أعظم شيء أمر الله به ، ثم وضح أن التوحيد نوعان قال (**وهو نوعان**) أي هذا التوحيد الذي هو أول

الواجبات وأوجب الواجبات وأعظم الأوامر وأجلها هو نوعان (**أيا من يفهم**) ما هما ؟ بدأ بالأول وسيكون هذا الفصل كله عن النوع الأول وهو المعرفة والإثبات ، قال :

إثبات ذات الرب جل وعلا أسمائه الحسنى صفاته العلا

وهذا يسميه أهل العلم كما ذكر الشيخ في العنوان توحيد المعرفة والإثبات ، ويسمونه التوحيد العلمي لماذا ؟ لأن المطلوب من العبيد في هذا النوع من التوحيد هو المعرفة والإثبات والعلم هذا هو المطلوب ، المطلوب من العباد أن يعلموا أن يعرفوا أن يثبتوا ، فهذا هو المطلوب منهم أن يقروا بأن الرب الخالق الرازق المنعم المتصرف المدبر هو الله وحده لا شريك له ، الملك لهذا الكون وأن يقروا بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، يثبتونها - تبارك وتعالى- له كما أثبتها لنفسه وكما أثبتها له رسوله -صلى الله عليه وسلم- (**إثبات ذات الرب جل وعلا**) أي إثبات وجود الرب سبحانه وأنه الخالق لهذه المخلوقات والموجد لهذه الكائنات والإقرار بذلك ، والملك لهذه المخلوقات السماوات والأرض ولجميع المخلوقات الإيمان بذلك ، والإيمان أيضاً بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ، وبهذا يعلم أن توحيد المعرفة والإثبات أو ما يقال عنه التوحيد العلمي يدخل تحته توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ، والنوع الآخر الذي سيأتي وهو توحيد الإرادة والطلب أو التوحيد العملي هو توحيد العبادة ، ولهذا لا فرق بين من يقول التوحيد نوعان توحيدٌ في المعرفة والإثبات ، وتوحيدٌ في الإرادة والطلب ، وبين من يقول التوحيد ثلاثة أنواع توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الالوهية لماذا ؛ لأن من قال التوحيد نوعان أدخل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات في التوحيد العلمي أو توحيد المعرفة والإثبات ؛ لأن المطلوب في كلٍ منهما هو معرفةٌ واثباتٌ وعلم ، والقسم الثاني : التوحيد العملي وهو توحيد العبادة ، ويقال له توحيد القصد ويقال له توحيد الإرادة ويقال له توحيد الالوهية إلى غير ذلك من الأسماء وسيأتي الكلام عليها عند المصنف -رحمه الله -

إثبات ذات الرب جل وعلا أسمائه الحسنى صفاته العلا

أي واثبات أسمائه الحسنى وثبات صفاته العلا ، وتقرير هذا الإجمال يأتي في الأبيات القادمة يعني أجمل هذا التوحيد في هذا البيت وجمعه ، جمع هذا النوع وهو توحيد المعرفة والإثبات في هذا البيت الواحد

إثبات ذات الرب جل وعلا أسمائه الحسنى صفاته العلا

وما سيأتي إلى نهاية الفصل كله شرح لهذه الجملة وتفصيل لها .

قال رحمه الله :

وأنه الرب الجليل الأكبر الخالق البارئ والمصور

باري البرايا منشئ الخلائق مبدعهم بلا مثال سابق

الشرح :

قال رحمه الله تعالى (**وأنه**) أي الله يدخل في توحيد الإثبات أو توحيد المعرفة أو التوحيد العلمي ؛ الإيمان بأن الله -سبحانه وتعالى- (**الرب**) ، والرب هو الخالق الرازق المتصرف الملك لهذا الكون ، فالإيمان بأنه الرب الإيمان بهذا الاسم والإيمان بوصف الله الذي يدل عليه اسمه الرب وهو الربوبية ، فالربوبية صفة الله ، وتشمل الخلق والرزق والتصرف والملك والتدبير ، فمن توحيد المعرفة والإثبات إيماننا بأنه الرب- سبحانه وتعالى- (**الجليل**) أي الذي له صفات الجلال كما قال تعالى { ذو الجلال} الإيمان بأنه الجليل أي الذي له الجلال في صفاته ، قال تعالى { ذو الجلال والإكرام } يقول أهل العلم : إلى هذين الاسمين [ذو الجلال والإكرام] ترجع الصفات كلها ، الذاتية ترجع إلى الجلال ، والفعلية ترجع إلى الإكرام فجميع الصفات ترجع إلى ذلك ، فقوله (الجليل) ذو الجلال وهذا يشمل كل صفات الله- سبحانه وتعالى- الذاتية ، فهو -سبحانه وتعالى- له الجلال في صفاته ، ليس له إلا صفات العظمة والكمال -سبحانه وتعالى- وصفاته الفعلية كلها إكرام ، وكلها فضل ومنّ -سبحانه وتعالى- ، (**الجليل الأكبر**) أي من كل شيء ، كما يقول المصلي في صلاته مكرراً ذلك مرات [الله أكبر] أي من كل شيء ، قال تعالى في القرآن { فكبره تكبيرا} فهو -سبحانه وتعالى- الأكبر من كل شيء ، ومعنى قول المصلي والذاكر لله – جل وعلا- الله أكبر أي من كل شيء { قل أي شيء أكبر شهادة قل الله }، وجاء في الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لعدي ما يفرك ؟- أي من الإسلام- أيفرك أن يقال لا إله ألا الله وهل من إله غير الله ؟ ثم قال له : ما يفرك أيفرك أن يقال الله أكبر وهل شيء أكبر من الله] فقوله -عليه الصلاة والسلام – [وهل شيء أكبر من الله] هذا فيه تفسير لمعنى الله أكبر أي من كل شيء فمن توحيد المعرفة والإثبات الإيمان بأنه -سبحانه وتعالى- أكبر من كل شيء -جل وعلا- ، قال (**الخالق البارئ والمصور**) ذكر هنا ثلاثة أسماء حسنى لله -جل وعلا- جاءت مجتمعة في آخر آية من سورة الحشر في قوله تعالى {هو الله الخالق البارئ المصور } فذكر هذه الأسماء الحسنى الثلاث الخالق البارئ المصور ، الخالق أي للمخلوقات فهو –سبحانه وتعالى- الموجد لها قدرها وخلقها وأوجدها كما شاء ، والبارئ المصور هما كما يقول العلامة ابن القيم-رحمه الله- في كتابه شفاء

العليل [كالتفصيل لاسمه الخالق] ، لأن معنى البارئ أي الموجد للشيء من العدم ، (**باري البرية**) أي موجدها من العدم ، وخالقها بعد أن لم تكن ، { هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا } والمصور هو الذي يوجد هذه الكائنات ويخلقها على الصورة التي أراد { وصوركم فأحسن صوركم } فيوجدها يخلقها على الصورة التي أراد ، { ولقد خلقناكم ثم صورناكم } فالتصوير هو إيجاده للمخلوقات على الصورة التي أراد- سبحانه وتعالى- ، فإذن البارئ المصور هما كالتفصيل للخالق ، ثم هي في الترتيب (**الخالق البارئ المصور**) كما في القرآن وكم رتبها الناظم -رحمه الله- وأيضاً فيه مراعاة لوجود المخلوقات ؛ لأن أولاً الخلق والتقدير ، ثم البري وهو الإيجاد من العدم ، ثم فعلها على الصورة التي أرادها -سبحانه وتعالى- ، قال في البيت الذي بعده :

باري البرايا منشئ الخلائق مبدعهم بلا مثال سابق

هذا فيه توضحي لمعنى الخالق البارئ المصور ، قال (**باري البرايا**) أي موجد البرايا ومبدعهم وخالقهم بعد أن لم يكونوا ، أوجدهم من العدم (**باري البرايا منشئ الخلائق**) أي موجد الخلائق ؛ فهو الذي برى البرية : أي الخليقة ، وأنشأ الخلائق أي أوجدهم -سبحانه وتعالى- من العدم (**مبدعهم**) والمبدع هو الموجد للشيء بلا مثال سابق { بديع السماوات والأرض }، المبدع موجد الشيء بلا مثال سابق ، ولهذا لما قال مبدعهم ذكر ما يوضح ذلك وهو قوله (**بلا مثال سابق**) مبدعهم أي موجدهم تبارك وتعالى بلا مثال سابق .

قال رحمه الله :

الأول المبدي بلا ابتداء والآخر الباقي بلا انتهاء

الشرح :

ثم ذكر -رحمه الله تعالى- في هذا البيت أن الله الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء ، الأول والآخر كما في قوله -تبارك وتعالى- في سورة الحديد { هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم } وتفسير ذلك جاء في حديث النبي -عليه الصلاة والسلام- الذي كان يقوله -عليه الصلاة والسلام- إذا أوى إلى فراشه لينام كان يقول -عليه الصلاة والسلام- [اللهم رب السماوات السبع ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذبك من شر

كل دابةٍ أنت آخذ بناصيتها ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عني الدين وأغنني من الفقر] ففسر النبي -عليه الصلاة والسلام- في هذا الحديث وهذا الدعاء الأول الذي لا شيء قبله ، والآخر أي الذي لا شيء بعده ولهذا قال الناظم هنا (**الأول بلا ابتداء**) أي أنه -سبحانه وتعالى- أوليٌّ ليس لأوليته ابتداء ، وآخر ليس لآخريته- تبارك وتعالى- انتهاء ، فهو أول -تبارك وتعالى- بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء ، فالأول بلا ابتداء هذا يتعلق في الأزل ، والآخر بلا انتهاء هذا يتعلق فيما لم يزل ، فهو -سبحانه وتعالى- أولٌ بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء ، وذكر أيضا أنه المبدي في البيت الأول قال (**الأول المبدي بلا ابتداء**) المبدي أي للذي أوجد هذه المخلوقات { يبدئ ويعيد } يبدئ هذه المخلوقات أوجدها بلا مثال سابق ، وبعد فنائها يعيدها -تبارك وتعالى- مرة ثانية فهو -سبحانه وتعالى- المبدئ والمعيد ، المبدئ الذي يبدأ الخلق ، والمعيد الذي يعيدهم ، المبدئ الذي يبدأ الخلق ويوجد الخلق بلا مثال سابق ، والمعيد هو الذي يعيد الحلق مرة ثانية ، قال :(**والآخر الباقي**) الباقي هذا تفسير للآخر وتوضيح لمعناه ، وفي القرآن يقول الله -سبحانه وتعالى- { كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام }

قال رحمه الله :

الأحد الفرد القدير الأزلي الصمد البرّ المهيمن العلي

علو قهرٍ وعلو الشان جل عن الأضداد والأعوان

كذا له العلو والفوقية على عباده بلا كيفية

الشرح :

ثم ذكر -رحمه الله تبارك وتعالى- جملة من الأسماء الحسنى لله -تبارك وتعالى- وأيضاً ما يخبر عن الرب -تبارك وتعالى- به مما تدل عليه أسماؤه وصفاته قال :

(**الأحد الفرد**) الأحد اسم من أسماء الله-تبارك وتعالى- الحسنى ، والفرد يخبر عن الله-تبارك وتعالى- به وهو بمعنى الأحد ، فالأحد الفرد أي المتوحد -تبارك وتعالى- بصفات الجلال والكمال والعظمة ، المتفرد بخلق هذه المخلوقات وإيجادها من العدم لا شريك له ، الواحد في أسمائه وصفاته-تبارك وتعالى- لا شبيه له ولا مثيل ، { قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد } فالأحد أي الذي لا شبيه

له ولا نظير ولا شريك له في ألوهيته ولا في ربوبيته ، -سبحانه وتعالى- ولا في شيء من أسمائه وصفاته ، (**القدير**) الذي له القدرة الكاملة التامة على كل شيء ، كما قال- سبحانه وتعالى- { إن الله على كل شيء قدير } فالقدير الذي له القدرة الشاملة فهو -تبارك وتعالى- قدير على كل شيء ، فنؤمن بأحديته ونؤمن بقدرته -تبارك وتعالى- الشاملة للذي يدل عليها اسمه -تبارك وتعالى- القدير ، ونؤمن بأنه -تبارك وتعالى- الأزلي : أي بذاته -تبارك وتعالى- وبصفاته بلا ابتداء ، فهو-سبحانه وتعالى- لم يزل ولا يزال كاملاً بذاته وأسمائه وصفاته- جل وعلا- ، أول بلا ابتداء آخر بلا انتهاء (**الصمد**) اسم من أسمائه الحسنى وهو يدل على صمديته- جل وعلا- ، والصمد هذا من الأسماء الحسنى الدالة على معانٍ كثيرة ؛ لأن من الأسماء الحسنى ما هو دال على معنى مفرد ؛ مثل العليم العلم ، السميع السمع ، البصير البصر ، ومنها ما هو دالٌ على معانٍ عديدة لا على معنى مفرد ؛ كالسيد والصمد والحميد والمجيد ونحو هذه الأسماء ، فالصمد يدل على صمدية الله -تبارك وتعالى- وفي ذلك يقول ابن عباس في معنى الصمد قال [هو السيد الذي قد كمل في سؤدده ، الشريف الذي كمل في شرفه العظيم الذي كمل في عظمته الحليم الذي كمل في حلمه العليم الذي كمل في علمه] إلخ كلامه- رضي الله عنه- ، فالصمد يدل على كمال الله -تبارك وتعالى- في أسمائه وصفاته ، كماله في علمه في قدرته في سمعه في بصره في جميع صفاته -سبحانه تعالى- ، والعرب كانت تطلق على إشرافها وذوي السيادة فيها باسم الصمد ، والله -عز وجل- الصمد الذي كمل في صفاته ، والصمد الذي تصمد إليه الخلائق بمعنى ترجع إليه -سبحانه وتعالى- وأيضاً يدل هذا الاسم على غنى الله عن المخلوقات ، ويدل على افتقار المخلوقات كلها إلى الله -سبحانه وتعالى- في كل حاجاتها (**البر**) وهذا اسم من أسماء الله الحسنى وقد جاء في القرآن { إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم } والبر هذا الاسم يدل على ساعة بره : أي إحسانه وفضله وعظيم إنعامه- جل وعلا- ، البر العام للمخلوقات كلها بالإيجاد والإمداد ونحو ذلك من العطايا والمنن ، وأيضاً البر الخاص بأوليائه وأصفيائه بأن هداهم للإيمان ووفقهم لهذا الدين وجعلهم من أهل طاعته وعبادته ثم يكرمهم يوم القيامة بدخول جنته (**المهيمن**) وهذا اسمٌ جاء في القران في آية الحشر قال تعالى {هو الله الذي لا اله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن } والمهيمن هو الرقيب المطلع على العباد الشهيد عليهم الذي أحاط بهم علماً- سبحانه وتعالى- وأحصى كل شيء عددا ، ولا تخفى عليه-تبارك وتعالى- خافية في الأرض ولا في السماء (**العلي**) وهذا الاسم ثابت في

القران { وهو العلي العظيم } وهو من أسماء الله -تبارك وتعالى- الحسنى وهو يدل على علو الله -تبارك وتعالى-يقول الناظم -رحمه الله- مبيناً معنى العلي وما يدل عليه :

علو قهر وعلو الشان جل عن الأضداد والأعوان

كذا له العلو والفوقية على عباده بلا كيفية

فهذان البيتان شرح فيهما اسم الله العلي ، وأن هذا الاسم يدل على ثبوت معاني العلو الثلاثة لله -تبارك وتعالى- ، علو القدر وعلو القهر وعلو الذات ، فهذه المعاني الثلاثة للعلو كلها ثابتة لله -سبحانه وتعالى- ويدل عليها اسمه العلي والأعلى والمتعال ، هذه كلها تدل على علو الله عليها ذاتاً وقدراً وقهراً ، ولهذا قال- رحمه الله- في تبيينه لهذا الاسم ، (**علو قهرٍ**) هذا النوع الأول كما قال عز وجل { وهو القاهر فوق عباده} (**وعلو الشان**) أي علو القدر والمكانة ويدل عليه قول الله عز وجل { وما قدروا الله حق قدره } وقوله تعالى {ما لكم لا ترجون لله وقارا} فهو له علو القهر هذا الأول ، وله علو الشأن هذا الثاني (**جل عن الأضداد والأعوان) وهذا تنبيه لطيف جداً في توضيح علو الشأن ؛ لان من يجعل لله ضداً وشريكاً وعويناً هذا ما قدر الله حق قدره لم يثبت علو الله ، لهذا قال الله** {وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون } فالذي يثبت مع الله الشركاء والأنداد هذا ما قدر الله حق قدره ، نظير هذه قوله تعالى {يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره } أي الذي يجعل مع الله الشركاء والأنداد والأعوان والنظراء هذا ما اثبت لله علو القدر ، كما قال تعالى "{ما قدروا الله حق قدره } ثم ذكر النوع الثالث وهو قوله (**كذا له العلو والفوقية على عباده بلا كيفية**) وهذا علو الذات على المخلوقات، وانه-سبحانه وتعالى- عليٌّ بذاته على مخلوقاته (**الفوقية**) بمعنى العلو ، فهو -سبحانه وتعالى- له العلو والفوقية على عباده ، أي أنه سبحانه وتعالى بذاته عليٌّ على مخلوقاته ، مستوٍ على عرشه بائن من خلقه -جل وعلا- ، هذا من معاني العلو ، اسم الله العلي يثبت منه معاني العلو الثلاثة لله ، علو القهر وعلو الشأن وعلو الذات ، وعلو الذات بينه في هذا البيت الأخير (**كذا له العلو والفوقية على عباده بلا كيفية**) (**بلا كيفية**) وهذا يقال في جميع الصفات ف العلو وغيره تثبت لله كما جاءت ، وتمر بما وردت ، وقوله (بلا كيفية) أي نعلمها -هذا هو المراد - أما علو الله-سبحانه- له كيفية يعلمها هو -سبحانه -، كل صفاته لها كيفية يعلمها هو -سبحانه- فلا تنفى الكيفية نفي وجود ؛ إنما

تنفى نفي علمٍ منا بها ، فنحن لا نعلم كيفية الصفات ولهذا قول السلف [بلا كيف] أي بلا كيف نعلمه ، ونفي الكيف نفي العلم بالكيفية وليس نفياً لوجود الكيفية ؛ لان مالا كيف له عدم ، لهذا الإمام مالك قال [الكيف مجهول] ولم يقل معدوم ، وفرقٌ بين الكيف مجهول والكيف معلوم ، صفات الله لها كيفية وما لا كيفية له عدم لكن الذي ننفيه نحن الذي ننفيه علمنا بالكيفية لماذا ننفي علمنا بالكيفي ؟ ؛ لانا اخبرنا بالصفات ولم نخبر بكيفيتها ، ولهذا إثبات أهل السنة والجماعة للصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف ، إثبات وجود نحن نثبت وجود الصفات اليد السمع العلو البصر النزول إلى غير ذلك من صفات الله ، نثبت وجودها أما كيفيتها لا نعلمها ، ننفي العلم بالكيفية لأنا اخبرنا بالصفات ولم نخبر بكيفيتها .

قال رحمه الله :

ومع ذا مطلعٌ إليهم بعلمه مهمينٌ عليهم

وذكره للقرب والمعيّة لم ينفِ للعلو والفوقية

فإنه العليّ في دنوه وهو القريب جل في علوه

الشرح :

لما ذكر -رحمه الله تعالى- إثبات علو الله بذاته فوق مخلوقاته -جل وعز -وأنه عليٌ على خلقه ، وأنه فوق المخلوقات مستو على العرش -جل وعلا- استواء يليق بجلاله ، لما ذكر ذلك قال (**ومع ذا**) أي مع الإيمان بعلو الله وفوقيته- سبحانه وتعالى- (**مطلع إليهم بعلمه مهيمن عليهم**) مع علوه-تبارك وتعالى- فهو مطلع على العباد ، كما جمع-سبحانه وتعالى- بين علوه واطلاعه وعلمه بالعباد ، وأنه معهم بعلمه ، جمع بين ذلك في آيات كثيرة ، بل تابعوا آيات الاستواء الواردة في القرآن وهي في سبعة مواضع -أظنها والله اعلم- كلها أو جلها فيها الجمع بين الاستواء واطلاع الله على العباد ، في سورة الرعد { الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش } وبعده بآيات قال { الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد } وفي سورة السجدة قال { الله الذي خلق السماوات والأرض ما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش } ثم بعدها بآيات قال {ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم } : في سورة طه {الرحمن على العرش استوى } ثم قال { يعلم ما في السماوات وما الأرض وما بينهما وما تحت الثرى } فذكر الاستواء وذكر الاطلاع ، في سورة الحديد قال -سبحانه وتعالى- {هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيامٍ ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها

وهو معكم } أي بعلمه واطلاعه -سبحانه وتعالى- ، فنحن نؤمن بأن الله فوق مخلوقاته ومستو على عرشه استواء يليق بجلاله ومع ذلك نؤمن بأنه مطلعٌ عليهم وهذا معنى قول الناظم :

ومع ذا مطلع إليهم بعلمه مهيمن عليهم

فهو مع علوه مطلع إليهم : أي إلى العباد يراهم ، لا تخفى عليه منهم خافية ، يرى -جل وعلا- من فوق سبع سنوات دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويرى جريان الدم في عروقها وكل جزء من أجزائها ، لا يخفى عليه-تبارك وتعالى- خافية في الأرض ولا في السماء (**مطلع إليهم**) أي يراهم -تبارك وتعالى- أجمعين ، كل المخلوقات لا يخفى عليه منهم شيء ، (**بعلمه مهيمن عليهم**) مطلع عليهم بعلمه ، مطلع عليهم برؤيته-جل وعلا- يراهم ، أحاط علمه-تبارك وتعالى- بهم {أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا } (**مهيمن عليهم**) وقد مر معنا اسم الله-تبارك وتعالى- المهيمن ومعناه ، قال (**وذكره**) أي -سبحانه وتعالى- (**للقرب والمعية لم ينف للعلو والفوقية**) وهذا فيه أن علو الله -سبحانه وتعالى- لا ينافي قربه ومعيته ، لا منافاة لأن هذا حق وهذا حق ، هذا ثابت وذاك ثابت ، العلو والفوقية ثابت في النصوص ، والقرب والمعية أيضاً ثابتة ، المعية سواء العامة التي هي معية الاطلاع والعلم كما هو مبين في البيت الأول ، أو المعية الخاصة التي هي تأييد الحفظ التوفيق { لا تحزن إن الله معنا } {إنني معكما اسمع وارى } هذه معية خاصة { إن الله مع الذين اتقوا الذين هم محسنون} فهذه المعية العامة والخاصة لا تنافي العلو، وأيضاً القرب ؛ قربه من أولياؤه وأصفياؤه ، قربه من العابدين وقربه من الداعين { وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان } وهذا لا ينافي علو الله -سبحانه وتعالى- ولا فوقيته لأن هذا حق وهذا حق . قال :

فإنه العلي في دنوه وهو القريب جل في علوه

جاء عن بعض السلف أنه قال في وصف الله قال : [العالي في دونه الداني في علوه] أي علو الله-سبحانه وتعالى- لا ينافي قربه ودنوه من عباده كيف شاء- سبحانه وتعالى- فكل ما ثبت في النصوص فهو حق نؤمن به كما جاء ونثبته كما ورد .

قال رحمه الله :

حي وقيومٌ فلا ينامُ وجل أن يشبهه الأنام

لا تبلغ الأوهام كنه ذاته ولا يكيف الحجا صفاته

الشرح :

ثم ذكر هنا بعض أسماء الله وصفاته (**حي وقيوم**) كما قال الله في أعظم آية في القرآن { الله لا إله إلا هو الحي القيوم } الحي : المذي له الحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ، ولا يحلقها فناء الحياة التي لها كمال الصفات والأسماء ، الله-عز وجل- حيٌ له الحياة الكاملة -سبحانه وتعالى- وقيوم : أي قائم -سبحانه- بنفسه ومقيم لخلقه ، لهذا قال أهل العلم : أن اسم الله القيوم يدل على كمال الغنى وكمال القدرة ، كمال الغنى لأنه قائم بنفسه ، والقدرة لأنه قائم بخلقه { أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت } لهذا قال أهل العلم أن صفات الله ترجع إلى هذين الاسمين إلى الحي ترجع الصفات الذاتية ، والقيوم ترجع الصفات الفعلية (**حي وقيوم فلا ينام**) كما قال -تعالى -{ الله لا اله إلا هو الحي القيوم لا تأخذ سنة ولا نوم }فهو -تبارك وتعالى- حيٌ قيوم لا ينام ؛أي منزهٌ عن النوم قال -صلى الله عليه وسلم-[إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام] (**وجل أن يشبهه الأنام**) (**جلّ**) أي تنزه وتقدس -سبحانه وتعالى- أن يشبهه الأنام : أي أن يشبهه احد من المخلوقات فهو منزه عن ذلك ، لا يشبه احد من خلقه ولا يشبهه احدٌ من خلقه ، فالتشبيه باطل بنوعيه ، والتشبيه نوعان : تشبيهٌ للمخلوق بالخالق ، وتشبيهٌ للخالق بالمخلوق وكل من التشبيهين باطل (**وجل يشبهه الأنام**) أي لا يشبهه -تبارك وتعالى- احد من خلقه فهو منزه -جل وعلا-عن الشبيه والنظير -جل وعلا- (**وجلّ أن يشبهه الأنام**) قال تعالى { ليس كمثله شيء } وقال تعالى { هل تعلم له سميا } وقال تعالى {فلا تضربوا لله الأمثال} وقال تعالى { لم يكن له كفوا أحد } (**لا تبلغ الأوهام كنه ذاته**) هذا أمر ينبه عليه -رحمه الله- فيما يتعلق بأوصاف الله-عز وجل- وصفاته ، يقول الأوهام : أي الإفهام والعقول لا تبلغ : لا يمكن أن تصل إلى معرفة كنه الذات ، لا يمكن أن تصل إلى ذلك ، فالعقول قاصرة وكاله وعاجزة أن تبلغ كنه ذاته ، وإذا كانت العقول عاجزة عن أن تبلغ كنه كثير من المخلوقات ؛ فكيف بخالقها ومبدعها -سبحانه وتعالى- !! ، رأى عبد الرحمن بن مهدي كما أورد ذلك الذهبي في السير [غلاماً كان يخوض في كنه الصفات والكيفيات فقال له : يا غلام دعنا ننظر في كيفية بعض المخلوقات ؛ فان بلغتها عقولنا انتقلنا إلى الكلام في كيفية خالقها ، وان عجزنا أو عجزت عقولنا فنحن عن كيفية صفات خالقها اعجز ؟ ووافق قال : أخبرني عن ملك من الملائكة له ستمائة جناح أين هذه الأجنحة ؟ ثم بهر قال أهون عليك ، اخبرني عن ملك من الملائكة له ثلاث أجنحة { أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع} له ثلاث اجنحة جناح عن يمينه

، وجناح عن يســاره ، الثالث هذا أين وكيف يطير ؟ فقال الغلام : انتهيت] عجز عن أن يعرف كيفية مخلوق من مخلوقات الله-سـبحانه وتعالى- فكيف به يتطاول ويقحم عقله القاصر في محاولة معرفة كيفية الخالق ، ولهذا قال: (**لا تبلغ الأوهام كنه ذاته**) ، وأنا أقول في هذا الباب يكفينا قولنا [[الله اكبر]] هذه تكفي في هذا الباب [[الله اكبر]] من كل شيء ، ومن ذالكم اكبر من كل شيء تقدره من الكمال في عقلك وفي ذهنك اكبر من ذلك -سبحانه وتعالى- ، مهما قدرت من الجلال والكمال والعظمة في الصفات وقدرته بذهنك وزعمت انه وصفٌ لله ، الله اكبر من ذلك اكبر من كل شيء

(**ولا يكفي الحجا**) أي العقل (**صفاته**) العقل لا يمكن أن يعرف كيفية صفات الله -تبارك وتعالى- ولهذا الإمام مالك لما قال له الرجل : { الرحمن على العرش استوى } كيف استوى ؟ قال : [الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول] هكذا قال بأكثر الروايات عنه ، هذا الأثر روي عنه بقرابة عشرة من تلاميذه ، أكثر الروايات عنه بهذا اللفظ ، [[الاستواء غير مجهول]] أي المعنى ، غير مجهول المعنى ؛ لا نجهل معناه ، معناه علا وارتفع ، واضــح المعنى ، [[والكيف غير معقول]] أي لا يمكن للعقول أن تبلغه، وهذا معنى قول الناظم هنا (**ولا يكيف الحجا صــفاته**) الحجا التي هي العقول لا تعرف ولا يمكن أن تبلغ معرفة كيفية صفات الرب -تبارك وتعالى- .

والله تعالى اعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله وأصحابه أجمعين.

الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المصنف -رحمه الله تعالى- :

بَاقٍ فَلاَ يَفْنَى وَلاَ يَبِيدُ وَلاَ يَكُونُ غَيْرَ مَا يُرِيدُ

مُنفَرِدٌ بِالْخُلْقِ وَالإِرَادَهْ وَحَاكِمٌ جَلَّ بِمَا أَرَادَهْ

الشرح:

لا يزال حديث المصنف -رحمه الله تعالى- عن النوع الأول من أنواع التوحيد وهو التوحيد العلمي أو توحيد المعرفة والاثبات وسبق المصنف -رحمه الله تعالى- أن ذكر أولاً في بيت واحد تعريفاً جامعاً لهذا النوع من التوحيد ثم أخذ يفصا تفاصيل عظيمة ونافعة تتعلق بهذا النوع ، يقول في هذين البيتين :

« **باقٍ** » أي الله الذي له البقاء الآخر الذي ليس بعده شيء كما قال جل وعلا: ﴿ **كل شيء هالك الا وجهه** ﴾ ﴿ **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام** ﴾

فهو باق أي له البقاء ، كما أن ليس لأوليته ابتداء ؛ وكذلك ليس لآخريته انتهاء فهو باق -جل وعلا -

« **فَلاَ يَفْنَى وَلاَ يَبِيدُ** » وهذا فيه توضيح لمعنى الباقي أي الذي لا يفنى ، الفناء للمخلوقات ام هو -سبحانه وتعالى- يفني ولا يفنى كما قال الله -عز وجل- ﴿ **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك** ﴾ فهو لا يفنى ولا يبيد ، وهذا معنى الباقي ومعنى الآخر وقد سبق ذكر تفسير النبي-صلى الله عليه وسلم – لهذا الاسم قال: « **أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء** » وقوله -رحمه الله-: « **وَلاَ يَكُونُ غَيْرَ مَا يُرِيدُ** » أي لا يكون في ملكه وكونه -سبحانه وتعالى- ومخلوقاته غير ما يريد أي الشيء الذي يريده –تبارك وتعالى-« **لاَ يَكُونُ غَيْرَ مَا يُرِيدُ** » أي لا يكون في ملكه -جل وعلا- وهذا خبر كان محذوف لا يكون في ملكه غير ما يريد ؛ أي لا يكون فيما خلقه الله – عز وجل- وأوجده في هذا الملك وهذا الكون شيءٌ لا يريده الله ، وهذا فيه أن الله – عز وجل- له المشيئة النافذة وله –تبارك وتعالى- القدرة الشاملة فلا يكون غير ما يريد ، فكل ما يريده –سبحانه وتعالى- في هذا الكون لا بد أن يقع طبقاً لما أراد ، والمراد هنا بالإرادة في قوله –رحمه الله- (لا يكون غير ما يريد) الإرادة الكونية القدرية ، لا الإرادة الدينية الشرعية ، لأن الإرادة التي تضاف إلى الله –عز وجل- تارة يراد بها الإرادة الكونية القدرية ، وتارة يراد بها الإرادة الشرعية الدينية ، والإرادة

الكونية هي المعنية هنا والمرادة بقوله « **وَلاَ يَكُونُ غَيْرَ مَا يُرِيدُ** » أي لا يكون شيء غير الذي يريده الله-تبارك وتعالى- أي كوناً وقدراً ، أما مايريده- جل وعلا- شرعاً وديناً قد يقع وقد لا يقع مايريده من عباده شرعاً وديناً أراد منهم العبادات الطاعة الصلوات البر الإحسان هذه كلها أراده الله-سبحانه وتعالى- من عباده شرعاً ودينا ، لكن منهم من فعل هذه الأمور التي أرادها لله ومنهم من لم يفعلها أما فيمايتعلق بالإرادة الكونية القدرية فلا يكون إلا ما يريد ، أي أن ما أرده سبحانه كان طبقاً لما أراد وما لا يريد – سبحانه وتعالى- لا يكون ، ماشاء الله كان ولم يشا لم يكن ، والإرادة الكونية القدرية ترادف المشيئة ، فما أراده الله كوناً وقدراً أي ماشاءه سبحانه وماشاء الله كان ولم يشأ لم يكن .

« **مُنفَرِدٌ** » أي الله « **بِالْخَلْقِ وَالإِرَادَهْ** » أي لا شريك له « **مُنفَرِدٌ بِالْخَلْقِ** » أي هو وحده -تبارك وتعالى- الخالق لهذه المخلوقات والمنشئ لهذه البريات والموجد لهذه الكائنات لا شريك له ، هذا معنى المنفرد أي لا شريك له ﴿ **هل من خالقٍ غير الله يرزقكم** ﴾ الجواب لا ، فهو سبحانه منفردٌ بالخلق ﴿ **قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ومالهم فيهما من شرك وما لهم منهم من ظهير** ﴾ فهو سبحانه وتعالى منفردٌ بالخلق ، ومنفردٌ بالإرادة ؛ أي له تبارك وتعالى الإرادة المطلقة التي لا معقب لها ولا راد ، فهو سبحانه ما أراده يكون لا معقب لحكمه ولا رادّ لقضائه سبحانه وتعالى .

« **وَحَاكِمٌ جَلَّ بِمَا أَرَادَهْ** » حاكم أي بين العباد بما أراده هو سبحانه وتعالى ، فهو الذي له الإرادة المطلقة والمشيئة النافذة والقدرة الشاملة في هذا الكون ، فلا يكون قي هذا الكون إلا ما أراده الله له الحكم وله الأمر جل وعلا .

قال – رحمه الله – :

فَمَنْ يَشَأْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِهِ وَمن يَشَأْ أَضَلَّهُ بِعَدْلِهِ
فَمِنْهُمُ الشَّقِيُّ والسَّعِيدُ وَذَا مُقَرَّبٌ وَذَا طَرِيدُ

الشرح :

« **فَمَنْ يَشَأْ وفقه بفضله** »أي الله -جل وعلا- «**ومن يشأ أضله بعدله**»أي الأمر له سبحانه في هذا الكون فهو المتصرف فيه وحده لا ند له ولا شريك سبحانه وتعالى يتصرف في العباد كيف يشاء ويقضي ما يريد ، ولهم فيهم المشيئة النافذة ، ومعنى المشيئة النافذة أي ما شاءه كان ولا بد ، ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن حتى وإن لم يشأ العبد ذلك لا بد أن يقع الشيء الذي شاءه الله- جل وعلا- ، فما شاء كان لابد أن يقع ، له –

سبحانه وتعالى- المشيئة النافذة كما له القدرة الشاملة إن الله على كل شيء قدير ، « **فمن يشأ وفقه بفضله ومن يشأ أضله بعدله** » كما قال تعالى ﴿ **من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم** ﴾ كما قال تعالى ﴿ **من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون**﴾ وكان – عليه الصلاة والسلام- يقول لخطبة الحاجة « **من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له** » فالأمر بيد الله الهداية والضلال والكفر والإيمان والطاعة والعصيان كل ذلك بيده قال سبحانه ﴿ **أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء** ﴾ فالأمر بيده من اهتدى فهدايته منةٌ من الله عليه ، قال تعالى ﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحدٍ أبدا ولكن الله يزكي من يشاء** ﴾ قال تعالى ﴿ **ولكنّ الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلاً من الله ونعمة** ﴾ هذا التحبيب للإيمان وشرح الصدر له والتكريه بالكفر هذا فضل من الله ،﴿ **فضلاً من الله ونعمة والله عليمٌ حكيم** ﴾ قال سبحانه ﴿ **يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان** ﴾ فالهداية للدين منة الله هو الهادي هو الموفق ،ولهذا جاء في صحيح البخاري كانوا يرتجزون يقولون :

لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا

الاعتراف والإقرار بمنة الله أهل الجنة إذا دخلوا الله –نسأل الله من فضله- يقولون ﴿ **الحمدلله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله** ﴾ هذه منة الله –جل وعلا- وهو فضل منه وانعام ولهذا قال الناظم- رحمه الله- فمن يشأ وفقه بفضله ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى ﴿ **ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلاً من الله ونعمة** ﴾ فالهداية فضل من الله يتفضل بها على من يشاء سبحانه وتعالى هذا معنى قوله « **فَمَنْ يَشَأْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِهِ** » أي الله سبحانه وتعالى « **وَمن يَشَأْ أَضَلَّهُ بِعَدْلِهِ** » لا يظلم الرب سبحانه وتعالى أحد ﴿ **وما ربك بظلامٍ للعبيد** ﴾ فمن أضله الله ؛ أضله تبارك وتعالى بعدله وهذا فيه أن ينتبه المسلم هنا إلى أن الله-سبحانه وتعالى- لا يظلم أحداً

« **وَمن يَشَأْ أَضَلَّهُ بِعَدْلِهِ** » الناس منقسمون إلى فريقين فريقٌ هدى الله وفريقٌ حقت عليهم الضلالة كما قال تعالى ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم حقت عليه الضلالة**﴾ فالناس منقسمون إلى فريقين قسمٌ هداهم الله بفضله وهم السعداء ، وقسمٌ أضلهم الله بعدله وهم الاشقياء ﴿ **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنة فسنيسره للعسرى**

﴿ ولهذا قال الناظم « **فَمِنْهُمُ الشَّقِيُّ والسَّعِيدُ** » أما السعيد فهو الذي هداه الله بفضله وأما الشقي فهو الذي أضله الله بعدله .

« **وَذَا مُقَرَّبٌ وَذَا طَرِيدُ** » «**ذَا**»الاشارة الى السعيد هذا « **مُقَرَّبٌ**» إلى الله سبحانه وتعالى «**وَذَا طَرِيدُ**» أي من رحمته طريد أي مبعد من رحمة الله سبحانه وتعالى .

« **وَذَا** » أي السعيد « **مُقَرَّبٌ** » أي إلى الله سبحانه « **وَذَا** » أي الشقي« **طَرِيدُ** » أي من رحمة الله عز وجل .

ونظير هذين البيتين قول الشافعي -رحمه الله- في أبيات له جميلة في القدر قال :

ما شئت كان وإن لم أشأ وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن

خلقت العباد على ما علمت وفي العلم يجري الفتى والمسن

على ذا مننت وهذا خذلت وهذا أعنت وذا لم تعن

فمنهم شقي ومنهم سعيد ومنهم قبيح ومنهم حسن

قال - رحمه الله - :

لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ قَضَاهَا يَسْتَوْجِبُ الْحَمْدَ عَلَى اقْتِضَاهَا

« **لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ** » أي هذا الذي ذكر في البيتين السابقين وهو أنه -سبحانه وتعالى- يهدي من يشاء بفضله ويضل من يشاء بعدله وأن الناس منهم شقي ومنهم سعيد ، منهم مقربٌ ومنهم طريد هذا كله لحكمة ، هذا كله صادر عن حكمة قال « **لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ قَضَاهَا** » فالله- سبحانه وتعالى- لا يفعل شيء ولا يصدر منه شيء إلا عن حكمة ومن أسمائه -تبارك وتعالى- الحكيم فهو- تبارك وتعالى- عليمٌ حكيمٌ خبيرٌ- جل وعلا- فكل هذه الأمور التي تقع في هذا الكون وتوجد إنما وجدت بمشيئة الله وإرادته -جل وعلا- وكل ما يقع في هذا الكون لله فيه حكمة ، ليس في أفعاله ما هو عبث أو ما هو صادرٌ عن غير حكمة -جل الله عز وجل- وتنزه عن ذلك ، فكل ما خلقه له -تبارك وتعالى- في ذلك حكمة وهذه المخلوقات هي مقتضى اسمائه هو سبحانه المالك الرافع القابض الباسط المبدي المعيد ، فهذه كلها من آثار ومن مقتضيات أسمائه -تبارك وتعالى- فالذي يقول لماذا يوجد هداية وضلال، خفض ورفع ، عز وذل ، عطاء ومنع ؛ مثله من يقول لماذا الله الخافض الرافع المعطي المانع ؟ هذا اعتراض على اسماء الله ، وعلى موجب أسمائه-تبارك وتعالى- كل ما يقع في هذا الكون هو موجب أسمائه ومقتضى حكمته ولا يكون إلا ما يريد كونا وقدرا سبحانه ولا يفعل شيئا الا عن حكمة ولهذا قال رحمه الله « **لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ قَضَاهَا** » أي خلق هذه الكونيات وأوجد هذه

المخلوقات وصرفها تبارك وتعالى كيف يشاء كل ذلك لحكمة « **يَسْتَوْجِبُ الْحَمْدَ عَلَى اقتِضَاهَا** » يستوجب أي يستحق -تبارك وتعالى- أن يحمد على اقتضاها ؛ أي اقتضاءه لهذه الأشياء وخلقه لهذه المخلوقات عن حكمة بالغة ، فهو-سبحانه وتعالى- مستحقٌ للحمد ، يحمد -جل وعلا- على كل حال ، يحمد تبارك وتعالى على كل حال ويتعوذ به -تبارك وتعالى- من حال أهل النار .

قال - رحمه الله - :

وهُوَ الَّذِي يَرَى دَبِيبَ الذَرِّ في الظُّلُمَاتِ فَوْقَ صُمِّ الصَّخْرِ
وَسَامِعٌ لِلْجَهْر وَالإِخفاتِ بِسَمْعِهِ الْوَاسِعِ لِلأَصْوَاتِ

الشرح :

ثم ذكر -رحمه الله- في هذين البيتين اثبات البصر والسمع لله -جل وعلا- قال في البيت الأول :

وهُوَ الَّذِي يَرَى دَبِيبَ الذَرِّ في الظُّلُمَاتِ فَوْقَ صُمِّ الصَّخْرِ

أي أنه -سبحانه وتعالى- بصير يرى دبيب الذر ، والذر هو النمل الصغير فهو -سبحانه- يرى دبيب الذر أي يرى مشي النمل الصغير (**في الظلمات فوق صم الصخر**) لاحظ الآن نملة صغيرة جداً وليلة ظلماء ، في آخر الشهر عندما لا يكون هناك ضياء للقمر ليلة ظلماء ظلام دامس ، وصخرة صماء فالنملة التي تدب ، النملة الصغيرة التي تدب على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويكون لونها أسود ، ولون الصخرة اسود ، أو لونها أحمر ولون الصخرة أحمر ، إذا اقتربت أنت منها ودنوت وكنت حاد البصر ودققت النظر هل ترى شيئاً في الليلة الظلماء ؟ رب العالمين -جل وعز- يراها من فوق سبع سموات ، وليس هذا بل يرى جريان الدم في عروقها ، ويرى -جل وعلا- كل جزء من أجزاءها ، فنحن نؤمن بأن الله-سبحانه وتعالى- بصير ببصر يرى به كل المبصرات دقت أو جلت كبرت أو صغرت يرى كل شيء جميع المبصرات يراها-جل وعلا- من فوق سبع سموات وهذا معنى قوله : **وهُوَ الَّذِي يَرَى دَبِيبَ الذَرِّ في الظُّلُمَاتِ فَوْقَ صُمِّ الصَّخْرِ**

أي فوق الصخرة الصماء ، ثم قال :

« **وَسَامِعٌ لِلْجَهْرِ** » **أي الله** « **وَالإِخفاتِ** » يسمع السر والنجوى يسمع الصوت الخافت وغير الخافت « **بِسَمْعِهِ الْوَاسِعِ لِلأَصْوَاتِ** » وسع سمعه الأصوات كلها ليس فقط العالي ، بل وسع الأصوات كلها العالي منها وغير العالي ، ولهذا لما قال بعضهم للنبي -صلى الله عليه وسلم- أربنا بعيدٌ فنناديه أم قريبٌ فنناجيه ؟ قال : [إن الذين تدعونه سميعا بصيرا قريبا] أو كما قال -عليه الصلاة والسلام- ، وفي قصة المجادلة خولة

بنت حكيم –رضي الله عنها– لما جاءت تجادل النبي – عليه الصلاة والسلام– في زوجها وتشتكي إلى الله ، قالت أم المؤمنين عائشة–رضي الله عنها– « الحمدلله الذي وسع سمعه الأصوات » تقول المجادلة كانت في البيت ويغيب عني أكثر كلامها ، وسمع الله صوتها من فوق سبع سماوات ، وأنزل على نبيه قوله سبحانه ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير** ﴾ فعائشة –رضي الله عنها– لما نزلت هذه الآيات تقول « الحمدلله الذي وسع سمعه الأصوات» ،البشرية كلهم بل الإنس والجن قاموا أجميعن من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، قاموا في لحظةٍ واحدة وفي صعيدٍ واحد ، ونادوا في لحظة واحدة نداءً واحداً كلٌّ يذكر حاجته وكلٌّ يذكر طلبته بلهجته ولغته في لحظة واحدة لسمعهم الله تبارك وتعالى أجميعن دون أن يختلط عليه صوت بصوت أو لغة بلغة أو حاجة بحاجة ، قال الله في الحديث القدسي « يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيت كل واحد منكم مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئاً إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر » فهو سبحانه وتعالى وسع سمعه الأصوات كلها وهذا معنى قوله رحمه الله « **وَسَامِعٌ لِلْجَهْرِ وَالإِخفاتِ** » « **بِسَمْعِهِ الْوَاسِعِ لِلأَصْوَاتِ** » هنا ينبغي أن ينبغي للمؤمن وطالب العلم إلى أن معرفة العبد لأسماء الله وصفاته العلى ينبغي أن يترتب عليه مقتضيات هذه المعرفة وهذا الإيمان بأن يحقق العبوديات التي تقتضيها هذه المعرفة ، فإذا عرفت أن ربك سميع وأنه بصير يسمع جميع الأصوات ، ويرى جميع المبصرات ؛ما العبودية التي يقتضيها علمك بأن الله سميع وأنه بصير؟ قد قال ابن القيم–رحمه الله– [لكل اسم من أسماء الله وصفه من صفاته عبودية موجبات الإيمان بها] فإيمان العبد بأن الله سميع هذا من أكبر الأمور التي تدفع الإنسان إلى صيانة لسانه وحفظ منطقه وأن يحافظ على كلامه ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا** ﴾ فيحافظ على لسانه ويصونه صيانةً بالغة الإنسان إذا كان بحضرة شخصٍ مهيبٍ عنده وله مكانة ومنزلة وله شأن ؛ تجده يحافظ على لسانه ، ويعتدل في كلامه ، ولا يتكلم إلا بالكلام الذي يسره أن يكون هذا الوجيه أو هذا الفاضل يسمعه منه ، وإذا أراد أن يقول كلمة يزنها وزناً دقيقاً ، والله سبحانه وتعالى أحق أن نخشاه – جل وعلا– فاستحضار العبد لهذه الأسماء والصفات هو أكبر حاجز ، الشيخ الشنقيطي –رحمه الله– في بعض كتبه يقول [اتفق أهل العلم أو أجمع أهل العلم في أن أكبر زاجر للإنسان أن يعلم أن الله يراه] هذا أكبر زاجر أكبر زاجر أن تعلم أن الله يراك مطلع عليك يسمع كلامك ولا تخفى منه خافية ، ويرى مكانك ويرى حركاتك وسكناتك ولا تخفى عليه تبارك وتعالى منك منه خافية .

قال -رحمه الله- :

وَعِلْمُهُ بِمَا بَدَا وَمَا خَفِي أَحَاطَ عِلْماً بالْجَلِيِّ وَالْخَفِي

أي ونؤمن ونثبت ما أثبته الله سبحانه وتعالى لنفسه وأثبته له رسوله -عليه الصلاة والسلام- أنه عليمٌ بعلم ولهذا قال(**وعلمه بما بدا وما خفي**) ما بدا أي ما ظهر عليمٌ بالظواهر والخفيات أحاط علما جل وعلا بكل شيء يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون أحاط بكل شيءٍ علماً وأحصى كل شيء عدداً ، يعلم ما يجري في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم أي بعلمه واطلاعه- سبحانه وتعالى- فهو جل وعلا عليم بكل شيء قال عز وجل ﴿ **الحمدلله الذي ل ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير* يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل في السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور* وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لا تأتينكم عالم الغيب لا مثقال ذرة في السماوات والأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتابٍ مبين** ﴾ فهو سبحانه وتعالى علمه واسع وسع كل شيء ﴿ **ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلما**﴾ فعلمه محيطٌ بالمخلوقات ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾ هو الذي خلق هذه المخلوقات وأبدع هذه الكائنات وأوجدها على غير مثال سابق-جل وعلا- فعلمه محيط بها ﴿**الله الذي خلق سبع سماوت ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيءٍ قدير وأن الله قد أحاط بكل شيءٍ علما**﴾ فخلقه للمخلوقات دليلٌ على إحاطة علمه تبارك وتعالى بها ، فهو -جل وعلا-عليمٌ بعلم يعلم به ما بدا وما خفي ، يعلم الأمور الظاهرة والأمور الخفية ، لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، الغيب عنده شهادة والسر عنده علانية ، لا يخفى عليه خافية الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين ، وهذا الإيمان بإحاطة علم الله هو أقوى أمر لتحقيق الاحسان الذي هو أعلى منازل الدين وأرفع رتبه ، ولهذا لما قال أخبرني عن الإحسان قال : [أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك] فأكبر دافع للإحسان في العبادة والاتيان بها على أحسن وجه وأتم حال أن تعلم أن الله يراك ويطلع عليك وعليم بك ولا تخفي عليه خافية .

« **أَحَاطَ عِلْماً بالْجَلِيِّ وَالْخَفِي** » الجلي أي الظاهر من الأمور والخفي ضده .

قال -رحمه الله- :

وهو الغني بذاته سبحانه   جلّ ثناؤه تعالى شانه

وكل شيءٍ رزقه عليه   وكلنا مفتقرٌ إليـه

الشرح :

(**وهو الغني بذاته**) الغني اسم من أسمائه الحسنى كما قال-جل وعلا- { ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد } فالله-سبحانه وتعالى- غني ،واسمه الغني لا يتنافى مع كمال غناه وأن غناه-تبارك وتعالى- غنى ذاته ، فهو غني عن مخلوقاته من كل وجه ، ومخلوقاته مفتقرةٌ إليه من كل وجه لا غنى لها عنه طرفة عين ، كما أنها مفتقرة إليه سبحانه في ايجاده لها من العدم وخلقه لها بعد أن لم تكن ، فهي مفتقرة إليه في حركاتها وسكناتها وقيامها وقعودها وكل شيء ، فالمخلوقات فقيرة إلى الله من كل وجه ، في كل لحظة وفي كل حركة وفي كل سكون ، لا غنى لها عنه طرفة عين ، وهو -سبحانه وتعالى- غني عن المخلوقات من كل وجه ، غني عن العرش وما تحته ، والعرش وما تحته كلهم فقراء إلى الله ، هو الممسك للعرش والممسك للسماوات والممسك للأرض ، و القائم على كل نفسٍ بما كسبت قال الله تعالى { إن الله يمسك الأرض والسماوات أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفورا } فهو -جل وعلا- الغني عن المخلوقات ، والمخلوقات كلها فقيرةٌ إليه ، وهذا يبينه الناظم بقوله (**وهو الغني بذات سبحانه**) : أي أن غناه عن المخلوقات غنى ذاتي ، وفقر المخلوقات إليه فقرٌ ذاتي أي فقيرةٌ إليه من كل وجه وهو غني عنهم من كل وجه .

(**جل ثناؤه تعالى شانه**) فهو-تبارك وتعالى- الذي له الثناء الحسن (**جل**) أي عظم ثناؤه لا يحصى ثناء عليه -تبارك وتعالى- (**وتعالى شأنه**) أي تقدس شأنه سبحانه وتعالى .

قال (**وكل شيء رزقه عليه**) {وما من دابة إلا على الله رزقها} كل شيء رزقه على الله لهذا قال تعالى { فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له } فكل شيء رزقه على الله { إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين } فكل شيء رزقه على الله ، هو الرزاق للناس والرزاق للدواب والرزاق للطيور والرزاق للهوام والحشرات ، ما من دابة إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها .

ذكر بعض أهل العلم من الآثار منهم ابن كثير-رحمه الله- أن داود قال في مناجاته لله [اللهم يا رازق النعاب في عشه] النعاب قال في شرحه : صغار الغراب ، والغراب ريشه أسود اللون ، وعندما يخرج صغيره من البيضه يكون لونه أبيض فتعافه أمه ؛ لأنه على لون غير لونها فتعافه ، لاحظ تهيأ له المكان وتدفئُه

فيه إلى أن يفقس من البيضة ثم تراه من اللون الأبيض فتتعافه وتذهب وتتركه ، تتركه في عش رفيع عالي في الشجرة ولا تأتي له بطعام تعافه فيقول : [يا رازق النعاب في عشه] ما من دابة إلا على الله رزقها ، يقول أهل العلم [أن النعاب لما يخرج من البيضة ولونه أبيض ، يكون عليه سائلٌ لزج فيسخر الله حشرات صغيرة تطير وتلزق بهذه المادة اللزجة على ريشه وشعره فتلزق به ويأكل منها يسوق الله له هذه الحشرات الصغيرة ويأكل منها إلى أن ينمو قليلاً ويبدأ لونه أسود وشعره يسوّد فترغبه أمه وتبدأ تأتي له بالحب ، ما من دابة إلا على الله رزقها هذا معنى قوله (**وكل شيء رزقه عليه**) أي على الله فالله تكفل بالأرزاق {إن الله هو ذو القوة المتين } (**وكلنا**) : أي معشر المخلوقات فقراء إلى الله لا غنى له عنه طرفة عين ، لا في قيامنا ولا في قعودنا ولا في طعامنا وشرابنا ولا في غدونا ولا في رواحنا ولا في أي أمر ، كلنا أي معشر المخلوقات (**مفتقرٌ إليه**) أي مفتقرون إليه سبحانه وتعالى ، ولهذا يقول جل وعلا في الحديث القدسي [ياعبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم] فكله بيد الله في مناجاة ابراهيم الخليل وبيانه لقبح عبادة الاصنام قال { والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين }

قال -رحمه الله-

كلّم موسى عبده تكليما ولم يزل بخلقه عليما

كلامه جلّ عن الإحصاء والحصر والنفاد والفناءِ

لو صار أقلاماً جميع الشجر والبحر تلقى فيه سبعة أبحر

والخلق تكتبه بكل آن فنت وليس القول منه فاني

والقول في كتابه المفصل بأنه كلامه المنزل

على الرسول المصطفى خير الورى ليس بمخلوقٍ ولا بمفترى

يحفظ بالقلب واللسان يتلى كما يسمع بالآذان

كذا بالأبصار إليه ينظر وبالأيادي خطه يسطر

وكل ذي مخلوقةٍ حقيقة دون كلام بارئ الخليقة

جلت صفات ربنا الرحمن عن وصفها بالخلق والحدثان

فالصوت والألحان صوت القاري لكنما المتلو قول الباري

ما قاله لا يقبل التبديلا كلا ولا أصدق منه قيلا

الشرح :

قال –رحمه الله– في باب صفة الكلام لله –جل وعلا –وأنه –سبحانه وتعالى– يتكلم بما يشاء متى شاء وأنه متصف بالكلام هذه الأبيات ساقها لبيان هذه الصفة بدأها بقوله :

(**كلم**) : أي الله ، (**موسى**) : أي رسوله عليه السلام ، (**تكلمياً**): أي تأكيد كما قال الله عزوجل { وكلم الله موسى تكليما } الله كلم موسى بصوت سمعه من الله ، فموسى سمع كلام الله من الله بلا واسطة ، تكلم الله وموسى سمع كلام الله من الله ، ولهذا يقال له كليم الله ؛ لأن الله كلمه ، فقوله (**كلم موسى عبده تكليما**) هذا فيه اثبات أن الله–عز وجل– يتكلم بما شاء متى شاء –جل وعلا– وأنه كلم موسى قال تعالى { تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله } فالله كلم موسى وسمع موسى كلام الله–جل وعلا– من الله ، قال : (**ولم يزل بخلقه عليما**) : علمه –تبارك وتعالى– بخلقه الأزلي بكل ما كان وما سيكون ولم يزل –تبارك وتعالى– محيطاً بكل ما يكون وما لم يكن وما سيكون أحاط علماً– تبارك وتعالى– بكل شيء .

(**ولم يزل بخلقه عليما**) ثم قال (**كلامه جل عن الاحصاء والحصر والنفاد والفناء**)

كلام الله –عز وجل– أي تنزه وتقدس عن الإحصاء، أي تحصى كلمات الله وجلت كلمات الله عن النفاد والفناء ، فكلمات الله لا نهاية لها كما أنه هو آخر ليس شيء بعده فكلماته تبارك وتعالى لا نهاية لها ولا نفاد لها ولا فناء ، وجلت عن الاحصاء من أن يستطيع أحد أن يحصرها ولهذا قال تعالى { قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا } قال تعالى { ولو أنما في الأرض شجرة أقلاما والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله } يعني لو أشجار الأرض كلها تتحول إلى أقلام والبحار تتحول إلى مداد ويكتب بها كلمات الله لفنيت الأقلام ونفد المداد و لم تنفد كلمات الله ، فكلمات الله جلّت عن الإحصاء والحصر وجلت عن النفاد والفناء ، قال مبيناً أنها لا تنفد قال :

لو صار أقلاماً جميع الشجرِ والبحر تلقى فيه سبعة أبحرِ

والخلق تكتبه بكل آنِ فنت وليس القول منه فانِ

يعني لو صارت جميع الأشجار التي في الدنيا وتحولت إلى أقلام ، والبحر تلقى فيه سبعة أبحر ؛ يعني يتحول إلى مداد ويكتب فيه إلى أن يجف ثم يلقى في سبعة أبحر، والخلق تكتبه في كل آن ، في كل لحظة في كل وقت بالليل والنهار لا يقفون عن الكتابة ، البحار تنفذ والأقلام أيضاً تنتهي وكلمات الله لاتنتهي ،

(والخلق تكتبه بكل آن فنت) : أي الأقلام والمداد وليس القول منه أي من الله فان ، هذا فيه اشـارة إلى آية الكهف وآية لقمان .

قال رحمه الله :-

(والقول في كتابه المفصلْ) بسكون اللام مراعاة للروي .

القول أي الحق الذي نعتقده وندين الله به في كتابه : أي القرآن المفصل كما وصفه الله بذلك { كتابٌ فصلت آياته } القول في كتابه المفصـل والعقيدة التي نعتقدها في كتابه المفصـل أنه كلامه المنزل ، هذا الذي نعتقده نعتقد في القرآن وعقيدتنا في القرآن بأنه كلام الله-تبارك وتعالى- منزلٌ غير مخلوق ، هذه عقيدتنا في القرآن :

القول في كتابه المفصل بأنه كلامه المنزل

هذا الذي نعتقده في القرآن ، نعتقد أنه كلام الله غير مخلوق المنزل أي من الله ،كما قال تعالى { تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين } وكما قال تعالى { نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرن بلسـان عربي مبين }

قال : **بأنه كلامه المنزل على الرسول** .....

الجار والمجرور في قوله **(على الرسـول)** متعلق بما سبق في البيت الأول وهو قوله المنزل ، فكلامه المنزل على الرسـول أي محمد-صـلى الله عليه وسـلم- **(المصـطفى)** أي المختار ، قال تعالى { الله يصـطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس }

(على الرسول المصطفى خير الورى)

أي أفضـلهم وإمامهم ومقدمهم كما قال – عليه الصلاة والسلام- [أنا سيد ولد آدم] **(ليس بمخلوق)** أي كلام الله القرآن الذي نعتقده في القرآن أنه كلام الله المنزل على رسـوله ليس مخلوق واضـافته إلى الله إضـافة صفةٍ إلى موصوف { وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله } الإضافة هنا في قوله(كلام الله) مثل الإضافة في قولنا سمع الله أو بصر الله وعلم الله وإرادة الله وحكم الله ، هذه كلها إضافتها إلى الله إضافةُ صفة إلى موصوف ، وكلها غير مخلوقه فالله -سبحانه وتعالى- بأسمائه وصفاته خالق وما سواه – جل وعلا- مخلوق

(**ليس بمخلوق**) أي كلام الله (**ولا بمفترى**) أي مختلق ومكذوب وهذا فيه ابطال لعقيدة المشركين في كلام الله الذين يقولون في القرآن بأنه مفترى وأنه تقوله الرسول-صلى الله عليه وسلم- وأنه افتراه-صلى الله عليه وسلم- { قالوا أساطير الأوليين اكتتبها } { وقالوا إن هذا إلا إفكٌ يفترى } { وقالوا إن هذا إلا إفكٌ افتراه } { ويقولون إنما يعلمه بشر } { قالوا إن هذا إلا اختلاق } فالناظم يقول كلام الله ليس بمخلوق ولا بمفترى ؛ أي ليس بمختلق ولا مكذوب ، قوله -رحمه الله- في كلام الله (**ليس بمخلوق**) : أطال -رحمه الله- في كتابه معارج القبول في جمع الأدلة والشواهد من كلام السلف وأئمة المسلمين أطال اطالة نافعة جداً لطالب العلم يمكن الاطلاع عليها في كتابه ، وذكر جملة من الأدلة ؛ومما ذكره -رحمه الله- من الأدلة الواضحة البينة على أن كلام الله لس بمخلوق ؛ الجمع بين آيتين وهما قوله سبحانه { وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا } والآية الثانية قوله سبحانه { ألا له الخلق والأمر } فكلام الله الذي هو وحيه { روحاً من أمرنا } كلام الله من خلقه أو أمره ؟ الله يقول { ألا له الخلق والأمر } جعلهما شيئان الخلق شيء والآمر شيء وكلامه من أمره لأن الله فرق بينهما ، ثم بعد ذلك قال رحمه الله :

(**يحفظ**) أي القرآن .

يحفظ بالقلب وباللسان يتلى كما يسمع بالآذان

كذا بالأبصار إليه ينظرُ وبالأيادي خطه يسطرُ

وكل ذي مخلوقة ..... ((هذه التي عددها))

هنا ينبه المصنف- رحمه الله- على فائدة عظيمة جداً ومهمة في عقيدتنا القرآن وأنه كلام الله -سبحانه وتعالى -غير مخلوق وهي أننا نعتقد أن القرآن أينما توجه فهو كلام الله ؛ سواء حفظ في القلوب أو تلي بالألسن أو سمع بالآذان أو نظر إليه بالأبصار أو كتب في السطور، فالقرآن أينما توجه فهو كلام الله غير مخلوق ؛ سواء كتُب أو حفظ أو تلي أو سمع أو نظر إليه في المصاحف أينما توجه فهو كلام الله غير مخلوق ، وهذا هو كلام السلف -رحمهم الله-وغيره يقولون القرآن أينما توجه فهو كلام الله غير مخلوق ، وهو يتوجه إلى أمور خمسة جمعها الناظم في بيتين : إما حفظٌ في القلب قال { وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك } قال تعالى { بل هو آياتٌ بيناتٌ في صدور الذين أوتوا العلم } فالقرآن إذا حفظ في الصدور هذا الأمر الأول ، أو تُلي بالألسن هذا الأمر الثاني على حسب ترتيب الناظم ، { لا تحرك به لسانك لتعجل به } الثالث : السماع بالآذان { وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله } الرابع نظر إليه بالأبصار ،

عندما ينظر إليه المؤمنون في الأبصار وهو في المصحف ، هل نظر الناس إليه بالأبصار يغيره عن حقيقته وأنه كلام الله ؟ وإن نظر إليه بالأبصار فهو كلام الله غير مخلوق الأمر الخامس : وبالأيادي خطه يسطر حتى وإن كتب في المصاحف فهو كلام الله .

إذن القرآن كلام الله غير مخلوق سواء حفظ بالقلوب أو تُلي بالألسن أو سُمع بالآذان أو أُبصر بالأبصار أو كُتب في السطور خمسة هذه فهو كلام الله ، والكلام يُنسب إلى من قاله ابتداءً لا إلى من نقله أداءً وهذا أمر متقرر ؛ الكلام ينسب إلى من قاله ابتداءً لا إلى من نقله أداءً ، وهذا واضح عند الناس ، الآن لما تنقل للآخر بيت من الشعر لأحد من المتقدمين هل نقلك لهذا البيت أصبح البيت لك وينسب إليك ؟ لا أحد ينسبه إليك ، كونك نقلته لا أحد ينسبه إليك ويقول البيت قاله فلان مع أنك نقلته ، الكلام ينسب إلى من قاله ابتداءً ، الناقل لا يُنسب إليه الكلام إلا على وجه البلاغ ، {إنه لقول رسولٌ كريم} هذا بلاغ ، أما الكلام ينسب إلى من قاله ابتداءً والقرآن ممن بدأ ؟ { تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين } لهذا قال السلف [منه بدأ وإليه يعود] فالقرآن بدأ من الله-سبحانه وتعالى- فهو كلامه ولا يخرجه عن كونه كلام الله هذه الأمور، كونه يُحفظ في القلوب أو يُتلى بالألسن أو يُسمع بالآذان أو يُبصر بالأعين أو يُكتب في السطور هو كلام الله أينما توجه ، قال : (**وكل ذي مخلوقه**) : القلب مخلوق ، واللسان مخلوق ، والأسماع مخلوقة ، والأبصار مخلوقة ، والحبر والورق والمداد مخلوقة ؛ وكلام الله غير مخلوق ، لهذا لا تخلط الأمور كوننا حفظناه في صدورنا ، القلب أو الصدر مخلوق أما المتلو والمحفوظ فهو كلام الله غير مخلوق ، كوننا نقرأه بألسنتنا اللسان مخلوق ، الصوت صوت القارئ والكلام كلام الباري ، وسيأتي عند الناظم بيت في هذا المعنى ، فالقلب مخلوق واللسان مخلوق والأذن مخلوقة والأبصار مخلوقة والحبر والمداد والقراطيس مخلوقة ولهذا قال الناظم : (**وكل ذي مخلوقة**) الإشارة في ذي إلى ما ذكرته لك في الأبيات .

كل ذي مخلوقة حقيقة دون كلام بارئ الخليقة

فكلام بارئ الخليقة غير مخلوق ، إذن يفرق بين التلاوة والمتن ، يفرق بين الصوت وبين الكلام ، يفرق بين هذه المخلوقات وبين كلام الله- سبحانه وتعالى- قال (**دون كلام بارئ الخليقة**) أي أن كلام الله منزلٌ غير مخلوق ولهذا يقول رحمه الله :

جلت صفات ربنا الرحمنِ عن وصفها بالخلق والحِدثانِ

(**جلت صفات ربنا**) : أي تنزهت وتقدست صفات الله -سبحانه وتعالى- أن توصف بالخلق (**الحدثان**) أي أنها مخلوقة أو محدثة فصفات الله سبحانه منزه عن ذلك (**والحِدثان**) أظن لو قيل (**الحَدثان**) ينكسر البيت وأنا لا أفقه هذه الأمور الحدثان أي أنها محدثة مخلوقة فصفات الله جلت وتنزهت عن ذلك .

قال :

فالصوت والألحان صوت القاري لكنما المتلو قول الباري

(**الصوت والألحان صوت القاري**) نحن نقول صوت عالي وصوت خافض ، والألحان نقول فلان صوته جميل وصوته حسن ، وفلان صوته غير جميل ؛ هذا المدح وعدمه منصبٌ إلى هذا الشيء المخلوق ، الصوت والألحان صوت القاري فالصوت والألحان ما شأنها ؟ مخلوقة الصوت صوت القاري يقال فلان صوته غير جميل ، فهذا الذي يقال عنه غير جميل مخلوق ليس هذا وصفٌ للكلام وإنما وصفٌ للصوت ، فيقول الصوت والألحان صوت القاري ، السلف قالوا قديماً [الصوت صوت القاري ، والكلام كلام الباري] ولهذا قال تعالى { وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله } كونه تُلي لا يخرجه عن كونه كلام الله وأن الله هو الذي تكلم به -سبحانه وتعالى-

(**لكنما المتلو**) الذي هو القرآن الكريم قول الباري ؛ أي كلام الله منزلٌ غير مخلوق .

قال :

ما قاله أي الله لا يقبل التبديلا كلا ولا أصدق منه قيلا

شاهد ذلك قوله تعالى { ما يبدل القول لدي } { لا مبدل لكلماته } فما قاله لا يقبل التبديلا؛ بخلاف قول غيره(**كلا**) أي لا يكون ذلك كلام الله لا يقبل التبديل (**ولا أصدق منه**) أي من الله تبارك وتعالى (**قيلا**) كما قال عزوجل { ومن أصدق من الله حديثا } { ومن أصدق من الله قيلا} وكان النبي-صلى الله عليه وسلم- يقول في خطبة الحاجة [أما بعد فإن أصدق الحديث كلام الله]

قال -رحمه الله- :

وقد روى الثقات عن خير الملا بأنه عزّ وجلّ وعلا

في ثلث الليل الأخير ينزلُ يقول هل من تائبٍ فيقبل

هل من مسيءٍ طالبٍ للمغفرة يجد كريماً طالباً للمعذرة

يمنّ بالخيرات والفضائل ويستر العيب ويعطي السائل

الشرح

ثم ذكر في هذه الأبيات اثبات صفة النزول لله -عز وجل- وأن هذه الصفة ثابتة لله -تبارك وتعالى- بالأحاديث المتواترة عن النبي-صلى الله عليه وسلم- وحديث النزول حديث ثابت كما قرر بذلك اهل الشأن وأهل الحديث وعدد الصحابة الذين رووا عن النبي- صلى الله عليه وسلم- بلغت عدتهم كما ذكر ابن القيم-رحمه الله-وعدهم في كتابه الصواعق ثمان وعشرين صحابياً كلهم رووا عن النبي-صلى الله عليه وسلم- حديث النزول ولهذا يقول الناظم :

(**وقد روى الثقات عن خير الملا**) : أي عن محمد –صلى الله عليه وسلم-

بأنه عز وجل وعلا في ثلث الليل الأخير ينزلُ

هنا يبين الشيخ أن حديث النزول رواه الثقات (**عن خير الملا**) أي عن النبي-صلى الله عليه وسلم- وهذا فيه نوع إلماحة إلى تواتر هذا الحديث عن النبي –صلى الله عليه وسلم- .

(**في ثلث الليل الأخير ينزل**) روى الثقات عن النبي-صلى الله عليه وسلم- أن الله ينزل في الثلث الأخير من الليل ؛ كما جاء في حديث أبي هريرة وغيره في الصحيحين يقول النبي –صلى الله عليه وسلم- [ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلية حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفرله من يدعوني فأستجيب له] فهو تبارك وتعالى ينزل في الثلث الأخير من الليل كما أخبر بذلك النبي-صلى الله عليه وسم- (**يقول**) أي الله حينما ينزل: هل من تائب فيقبل !!

هل من مسيءٍ طالبٍ للمغفرة يجد كريماً قابلا بالمعذرة

وهذا فيه اشارة إلى ماجاء في الحديث [هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له هل من داعٍ فأستجيب له] وهذا فيه فضل هذا الوقت المبارك وأنه أحرى أوقات الإجابة وأحرى أوقات الدعاء والاستغفار ولهذا قال سبحانه { وبالأسحار هم يستغفرون } وقال تعالى { والمستغفرين بالأسحار } فهو وقت فاضل وأحرى أوقات الإجابة لأن الرب سبحانه وتعالى ينزل في ذلك الوقت ويقول هذه الكلمات (من يسألني من يستغفرني من يدعوني) .

(**يمن بالخيرات والفضائل**) :أي أنه سبحانه ينزل ليمن على عباده بالخيرات والفضائل ، الخيرات غفران الذنوب واجابة الدعوات وإقالة العثرات

(**ويستر العيب يعطي السائل**) : هذه فضائل وخيرات يمنّ الله سبحانه وتعالى بها على عباده في هذ الوقت المبارك ، وهذا الوقت هو من أكثر الأوقات ضياعاً في زماننا ، عند طلبة العلم وغيرهم ؛ لأن الناس الآن اعتادوا على السهر والنبي-صلى الله عليه وسلم- نهى عن السمر بعد هدئة الليل ، والنوم المبكر هو الذي يعين بإذن الله تبارك وتعالى على المحافظة على هذا الوقت الفاضل ، والقيام فيه بالدعاء والاستغفار والطلب من الله- سبحانه وتعالى- وكانوا قديماً خاصةً قبل هذه الحضارة الإضاءة والأنوار ، الآن مع الأنوار الليل أصبح مثل النهار بينما سابقاً ما كانت هذه الاضاءات حتى من لا يريد أن ينام يضطر إلى النوم؛ لأن الكون يهدأ والدنيا تظلم ، يريد أن يعمل شيء لا يستطيع ،الكون ظلام فليس له حل إلا أن ينام والصباح الباكر يقوم ، لكن الآن مع توفر هذه الاضاءات تخرج في الشوارع كلها أنوار حتى النجوم ما نعرفها السماء ، نمشي في الشوارع ما نرى النجوم الإضاءة غطت الأماكن كلها في المدن، تجد الحركة بعد العشاء طبيعية مثل الحركة في الصباح ، بينما الآن القرى في العالم التي ما دخلتها الحضارات ينامون مبكراً ، والذي ينام مبكر يقوم آخر الليل بنشاط ؛ الآن حتى طلبة العلم يقومون لصلاة الفجر بكسل ، وبعضهم ما يقوم يأذّن للصلاة ، دعك من قيام الليل والنوافل الآن في الفريضة ، مصيبة الناس ليست بهذه الرغائب والفضائل بل الفرائض، الآن بعض طلبة العلم ينام عن صلاة الفجر وبعضهم يأتي إليها متأخر باستمرار؛ تفوته الركعة الاولى وربما يأتي باستمرار يأتي عندما يسلم الإمام ليست المسألة في الرغائب بل الفرائض وجاء في الحديث الصحيح أن الله عزوجل يقول [يابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره] قال ابن تيمية- رحمه الله- المراد سنة الفجر وفريضة الفجر ، الآن حتى هذه الفريضة التي هي فريضة الفجر { وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً } الآن بعض طلبة العلم ينام عنها ؛ والسبب السهر بالليل ، والسهر بالليل لو كان على تلاوة قرآن وحفظ للعلم إذا اكان على حساب صلاة الفجر فهو حرام يأثم ؛ حتى لو كان على تلاوة القرآن فكيف إذا كان في السمر واللهو والمرح والحديث ، السهر حرام ، يكتب على الإنسان اثماً حتى لوكان في قراءة القرآن إذا كان على حساب الفرض ، فلا تضيع الفرائض بالنوافل ، فكيف بمن يضيع الفرائض باللهو واللعب والسمر الباطل ، فهذا أمر ينبغي أن يتنبه له الناس عموماً وطلبة العلم على وجه الخصوص ، وإذا كان الإنسان يضيع صلاة الفجر ثم حصّل علماً وحفظ متوناً وتفقه ثم رجع إلى بلده وهو على عادته ينام عن صلاة الفجر ، ماذا يكون شأنه عند العوام ومن كانوا يتحرون فلان جاء من بلد كذا وعنده علم ، ثم عن صلاة الفجر يجدونه مفرّط فيها ، أو يجدونه في آخر الصف تفوته ركعة أو تفوته

ركعتين أو ثلاث ، ويكون مفرطاً، ولهذا أذكر أحد العوام المحافظين على الصلاة والتبكير لها زرته مرة في مسجده وجلست أتحدث معه وقلت له ماشاء الله عندكم طلبة علم في هنا في هذا الحي قال : حينا هذا ؟ قلت : نعم ، قال : الحي هذا ؟ قلت : نعم أعرف فيه بعض طلبة العلم ، قال : حيّنا هذا ويعيدها لي ، قلت : نعم ، قال : يارجال الذي لا يأتي للصلاة ولا يبكر لها هذا ليس بطالب علم . سعيد بن جبير يقول : [أربعين سنة ما فاتتني تكبيرة الاحرام]، وبعض السلف يقول : [إذا رأيت الرجل تفوته تكبيرة الاحرام اغسل يدك منه] ، فالآن حتى عند بعض طلبة العلم فليست المسألة في هذا الوقت الفاضل بل في الفريضة فريضة الفجر، ولهذا يجب أن نتعاون على البر والتقوى ونتقي الله ، ونعمل بما علمنا الله عز وجل وما فقهنا به ونكون أشد ما نكون محافظة على الفرائض ، في الحديث القدسي يقول تعالى [ما تقرب عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه] النبي-صلى الله عليه وسلم- سئل أي العمل أحب إلى الله ؟ قال الصلاة على قتها ، { إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا} هذا الأمر لابد أن ننتبه له .

ثم انتقل إلى صفة أخرى :

وأنه يجيء يوم الفصلِ كما يشاء للقضاء العدلِ

(**يجيء**) أي الله سبحانه وتعالى (**يوم الفصل**) أي يوم القيامة يوم الجزاء يوم الحساب يجيء بنفسه ، وهذا من كمال مجازاته سبحانه وتعالى وهو الديان ؛ ومن أسمائه الحسنى الديان أي المجازي { إنا لمدينون } أي مجزيون ، { هذا يوم الدين } أي الحساب { مالك يوم الدين } أي الحساب فيوم الدين الذي هو يوم الجزاء والحساب من كمال الله ومجازاته أنه جل وعلا يجيء بنفسه كما قال الله { وجاء ربك } أي هو سبحانه وتعالى { وجاء ربك والملك صفا صفا } { هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة } { هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك } فنؤمن أي نعتقد وندين الله سبحانه وتعالى بأنه جل وعلا يجيء يوم الفصل (**كما يشاء**) يجيء مجيئاً يليق بجلاله كما يشاء سبحانه لانعلم كيفيته ولا نخوض في كيفيته (**كما يشاء**) لأجل ماذا ؟ (**للقضاء العدل**) أي ليقضي بين العباد تبارك وتعالى بالعدل { ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئا }

قال رحمه الله :

وأنه يرى بلا إنكار في جنة الفردوس بالأبصار

كل يراه رؤية العيان كما أتى في محكم القرآن

وفي حديث سيد الأنام من غير ما شك ولا إبهام

رؤية حق ليس يمترونها كالشمس صحوا لا سحاب دونها

وخص بالرؤية أولياؤه فضيلة وحجبوا أعداؤه

ثم في هذه الأبيات أخذ يتحدث رحمه الله تعالى عن رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة- نسأل الله الكريم من فضله- في هذه الأبيات يتحدث رحمه الله عن الرؤية ، وأنها حق ثابتة في القرآن الكريم وفي سنة النبي-صلى الله عليه وسلم- أما في القرآن يقول الله عزوجل { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} ويقول { كلا إنهم عن ربهم يوئذ لمحجوبون } وهي ثابتة في سنة النبي الكريم- عليه الصلاة والسلام- كما ستأتي الاشارة عند الناظم -رحمه الله- قال :

(**وأنه يرى**): أي نعتقد ونؤمن أنه : أي الله ، يرى يوم القيامة كما قال – عليه الصلاة والسلام- [اعلموا أنكم لن ترون ربكم حتى تموتوا]

(**بلا إنكار**): أي بلا جحود .

(**في جنة الفردوس بالأبصار**) : في جنة الفردوس يراه المؤمنون حقيقةً بأبصارهم ، ولهذا قال -عليه الصلاة السلام-في الصحيحين [إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وصلاةٍ قبل غروبها فافعلوا] يعني يامن يطمع في رؤية الله –عزوجل- يوم القيامة لا تضيع الصلاة ،[إن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا] وهنا انتبه الصلة بين الصلاة والرؤية، هذه الصلة بين الصلاة والرؤية دل عليها الحديث هذا كما سمعتم ودل عليها القرآن { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى } من هو الذي يبوء بهذه العقوبة ؟ الذي لا يصدق ولا يصلي ، {وجوهٌ يومئذ باسرة} أما الذي يتصدق ويصلي يكرمه الله بهذا الفضل ، ولهذا كان -عليه الصلاة والسلام- في صلاته يقول : [اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة] يدعو بهذا الدعاء في الصلاة كما ثبت في النسائي وغيره ففيه صلة بين الصلاة والرؤية ولهذا لما ذكر الرؤية -عليه الصلاة والسلام- قال [إن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس-صلاة الفجر- وصلاة قبل غروبها –صلاة العصر- فافعلوا] وهذا فيه فضيلة هاتين الصلاتين الفجر والعصر .

(**كلٌ يراه رؤية العيان**) : أي أهل الإيمان يرونه رؤية العيان أي بأبصارهم حقيقة .

(**ما أتى في محكم القرآن**) : مثل قوله تعالى { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة }

وقوله تعالى { على الأرائك ينظرون } وأيضا الآية التي أشرت إليها { كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون }

قال الشافعي رحمه الله [حجبه لهم في السخط دليل على رؤيته لأوليائه له في الرضا]

(**وفي حديث سيد الأنام**) : الجار والمجرور متعلق بقوله (**أتى**) أي أتى في محمك القرآن وأتى في حديث سيج الأنام .

(**من غير ما شك ولا ايهام**): أتى ثابتاً بالأسانيد الصحيحة وواضحاً صريحاً ليس فيه شك ولا ابهام فهو من حيث السند ثابت ومن حيث المعنى واضح ، صحيحٌ صريح عن خير الأنام(**سيد الأنام**) -صلى الله عليه وسلم- ، ماهو ؟ قال :

(**رؤية حق ليس يمترونها**) : أنه يرى رؤية حق ليس فيها شك ولا ريب يرونه رؤية حق لا يمترونها ليس فيها امتراء قد قال عليه الصلاة والسلام [إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر] هذا تأكيد وتثبيت أنها رؤية لا امتراء فيها كما ترون القمر ليلة البدر وهذا تسبيه للرؤية بالرؤية وليس للمرء بالمرء.

(**كالشمس صحواً لا سحاب دونها**) : وهذا المعنى ثابت عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ثبت عنه في بعض الأحاديث ذكر الشمس وبعضها ذكر القمر ، قال :

(**وخصَّ بالرؤية أولياؤه فضيلة**) : أي أن هذه الرؤية خاصة بأولياؤه فضيلة لهم وإكراماً ، ولهذا جاء في صحيح مسلم يقول –عليه الصلاة والسلام- [إذا دخل أهل الجنة الجنة يناديهم الله عز وجل هل تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تكرمنا ألم تنجنا من النار ألم تدخلنا الجنة ؟ قال : فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى الله عز وجل] وهذا يدل أن النظر إلى الله هذا أكبر نعيم ، أكبر نعمة وأعظم منة وأجل عطية أن يكرمك الله أن تراه ، ليس فوق هذه النعمة نعمة أكبر النعم قال [فما أعطوا شيئاً] متى قيلت هذه الكلمة ، [قالوا ألم تدخلنا الجنة ألم تنجنا من النار ألم تبيض وجوهنا ألم ألم] بعد هذه النعم المتواترة والنعيم الذي يهنؤن به ويسعدون قال [فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى الله] هذا دليل واضح أن رؤية الله-نسأل الله جميعاً من فضله- أكبر نعمة وأجل منة ، اللهم إنا نسألك النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة .

(**وحجبوا أعدائه**) : هذا دليله قوله تعالى { كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم }

قال : -رحمه الله-

وكل ما له من الصفات أثبتها في محكم الآيات

أو صح فيما قاله الرسول فحقه التسليم والقبول

نمرها صريحة كما أتت مع اعتقادنا لما له اقتضت

من غير تحريف ولا تعطيل وغير تكييف ولا تمثيل

بل قولنا قول أئمة الهدى طوبى لمن بهديهم قد اهتدى

وسم ذا النوع من التوحيد توحيد اثبات بلا ترديد

قد افصح الوحي المبين عنه فالتمس الهدى المنير منه

لا تتبع أقوال كل مارد غاو مضل مارق معاند

فليس بعد رد ذا التبيان مثقال ذرة من الإيمان

يقول -رحمه الله- بعد أن سرد سرداً طيباً نافعاً لأسماء الله -تبارك وتعالى- وصفاته قال بعد هذا التفصيل:

وكل ما له من الصفات : أي ما ذكر قليل من كثير والقاعدة في الصفات والأسماء كلها واحدة وبابها واحد والقول فيها واحد ،(**وكل ما له من الصفات**) مما ذكرناه ووما لم نذكره

أثبتها : أي الله (**في محكم الآيات**) (**أو صح فيما قاله الرسول**) (**فحقه التسليم**) (**حقه**) هذا جواب لقوله(**كل ما له**) فكل ماله من الصفات حقه التسليم ، مثل ما قال الزهري -رحمه الله- [من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم] فكله حقه التسليم كل ما جاء في صفات الله من القرآن والسنة حقه التسليم والقبول .

وكل ما له من الصفات أثبتها في محكم الآيات

سواء المثبت في محكم الآيات أي التي أثبتها الله في محكم الآيات .

أو صح في ما قاله الرسول فحقه التسليم والقبول

معنى البيتين أن كل ما ثبت في القرآن وسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- من صفات الباري -سبحانه وتعالى-حقه التسليم والقبول ، ليس حقه الانتقاد و التحريف والتعطيل وغير ذلك من المسالك الباطلة

كل ما له من الصفات مما ثبت في القرآن وثبت في السنة حقه التسليم ،لهذا يقول الإمام أحمد رحمه الله [ونصف الله بما وصف به نفسه وبما وصف به رسوله-صلى الله عليه وسلم- لانتجاوز القرآن والحديث] ثم قال :

نمرها صريحة كما أتت مع اعتقادنا لما له اقتضت

هذا بيت جميل جداً يبين المنهج ؛ منهج أهل السنة في الصفات أنهم يمرونها صريحةً كما أتت (**صريحة**) أي على ظاهرها (**كما أتت**) هي جاءت – وهذه انتبوا لها- هي جاءت في القرآن والسنة محملة بمعاني ، آيات الصفات وأحاديث الصفات أتت محملة بمعاني ، والسلف رحمهم الله ذكروا قاعدة جميلة يشير إليها الناظم في هذا الباب وهي : نمرها كما جاءت ، كيف يتم لنا امرارها كما جاءت ؟ لا يتم لنا امرارها كما جاءت إلا بما ذكره الناظم هنا :

نمرها صريحة كما أتت مع اعتقادنا لما له اقتضت

إذا لم نعتقد ما اقتضته الصفات لم نمرها كما أتت لماذا ؟ لأنها أتت محملة بالمعاني ، الآن قوله{ الرحمن على العرش استوى} { بل يداه مبسوطتان } { غضب الله عليهم} إلى غيرها من آيات الصفات هذه ألفاظ لامعاني لها أو ألفاظ محملة بمعاني هي ألفاظ محملة بمعاني ، ولا يمكن أن نمرها كما جاءت إلا بما قاله الشيخ (**مع اعتقاد لما له اقتضت**) وهي اقتضت أن نثبت ما أثبته له نفسه ، ونحن لا نكون ممرين لقوله تعالى { الرحمن على العرش استوى } إلا إذا اعتقدنا أن الله مستو على العرش حقيقة كما أخبر لا نكون ممرين لقوله تعالى { غضب الله عليهم } إلا إذا اعتقدنا أن الله يغضب سبحانه ، لا نكون ممرين لقوله تعالى { رضي الله عنهم } إلا إذا اعتقدنا أنه يغضب كما اخبر ، فلا يكون العبد ممراً لآيات اصفات وأحاديث الصفات كما جاء إلا إذا حقق هذا المعنى للذي أشار إليه الناظم بقوله : (**مع اعتقادنا لما له اقتضت**) ثم يحذر من أمور أربعة ومسالك أربعة باطلة يجب أن يحذر منها قال :

من غير تحريف ولا تعطيل وغير تكييف ولا تمثيل

تحريف : أي من غير أن نغير أو نبدل لا في الألفاظ ولا في المعاني **ومن غير تعطيل** التعطيل هو النفي لا ننفي أسماء الله ولا شيئاً منها

والتكييف : هو محاولة معرفة كيفيتها التكييف باطل .

ولا تمثيل : أي من غير أن يمثل تبارك وتعالى بخلقه أو أن يمثل به أحد من خلقه قال تعالى { ليس كمثله شيء } { هل تعلم له سميا} هذه امور أربعة يحذر منها التحريف التعطيل التكييف التمثيل .

(بل قولنا قول أئمة الهدى) : قولنا في صفات ربنا وفي الدين كله هو قول أئمة الهدى والله تعالى { والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان } وقال تعالى { ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى } فالناظم يقول قولنا قول أئمة الهدى ، قولنا الذي ندين الله به ونعتقده هو قول أئمة الهدى من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان ثم يثني على من وفق على هذا المسلك ويسير في هذا المسار قال :

طوبى : أي الجنة أو الثواب العظيم .

(لمن بهديهم قد اهتدى) : والله قال { الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مئاب }

طوبى لمن وفق للاهتداء بهدي السلف جعلنا الله جميعا كذلك ، لما نتهى من شرح هذا النوع قال :

وسم ذا النوع من التوحيد توحيد إثبات.....

سم أي يا طالب العلم والحق **ذا النوع** أي هذا النوع الذي شرح لك في الأبيات المتقدمة من التوحيد أي من نوعي التوحيد ، فسمي ذا النوع من التوحيد **توحيد اثبات** أيضاً سمه توحيد المعرفة وان شئت سمه توحيد العلمي وان شئت سمه توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات .

بلا ترديد : قل ذلك قولاً جازماً ولا تتردد .

قد أفصح الوحي المبين عنه فالتمس الهدى المنير منه

هذا البيت جميل جداً يبين فيه –رحمه الله– أن هذا التقسيم أو هذه الأقسام للتوحيد من أين أخذت ؟ قال : (**قد أفصح الوحي المبين عنه**) هذه أقسام التوحيد أفصح الوحي عنها ، فأقسام التوحيد أخذت من التتبع والاستقراء لكلام الله وكلام رسوله–صلى الله عليه وسلم–، وبهذا يُعلم أن أقسام التوحيد حقيقة شرعية ليس أمراً اصطلاحياً ، بعض أهل الأهواء يقول اقسام التوحيد ثلاثة هذا اصطلاحي اصطلح عليه بعض اهل العلم ولا مشاحة في الاصطلاح ، حتى يقول نحن نصطلح كذا وانتم اصطلحوا كذا ، الحق أن هذه الأقسام للتوحيد ليست اصطلاحية هذه حقيقة شرعية لهذا يقول الناظم : (**قد أفصح الوحي المبين عنه**) وبعض أهل البدع لاحظ كلام الناظم هنا وبعض أهل البدع يقول أول من قال بأقسام التوحيد هو ابن

تيمية ، فانظر الفرق إلى من هم على بصيرة في دين الله ، ومن هم على ضلال والعياذ بالله ، يكفيك في أقسام التوحيد الثلاث أن تقرأ فاتحة الكتاب ، وأن تقرأ سورة الناس ، وهناك آيات في القرآن عديدة جمعت أقسام التوحيد كقوله-سبحانه وتعالى-{ رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا} هذه الآية جمعت أقسام التوحيد الثلاثة ، وهناك آيات كثيرة في القرآن جمعت أقسام التوحيد الثلاثة فالوحي أفصح عن هذه الأقسام و أبين الإفصاح .

فالتمس : أي اطلب ، **الهدى** : أي اصابة الحق الواضح البين ، **منه** : أي من الوحي .

لاحظ لا يحيل الشيخ على آراء أومنطقيات أو فلسفات يحيل على الوحي يقول التمس الهدى أي اطلبه من الوحي المبين ؛ كلام الله وكلام رسوله ثم يحذر -رحمه الله- :

لا تتبع أقوال كل ماردٍ غاوٍ مضل مارق معاند

احذر هؤلاء احذرهم أن يفتونك عما جاء من الحق ، وما أكثر المضلون لما بين لك ان تهتم بطلب الحق من الوحي حذرك قال :

لا تتبع أقوال كل مارد : الزائغ المنحرف عن الحق ، المشتد في ضلاله وباطله .

غاوٍ : أي في نفسه زائغ ومنحرف عن الحق والهدى .

مضلٍ : لغيره ، فهو في نفسه غاو مضل لغيره .

مارقٍ معاندٍ : مارق عن الحق ومعاند للحق لكلام الله ورسوله-صلى الله عليه وسلم-

ثم يبين -رحمه الله- بعد هذا الشرح البين والشرح الواضح يقول :

فليس بعد رد ذا التبيان مثقال ذرة من إيمان

ذا التبيان : أي هذا الأمر المبين لك الواضح الذي دلائله وبيانته وحججه كثير ساطعة بينه في كتاب الله

مثقال ذرة من الإيمان : من الذي يجرأ أن يرد كلام الله وكلام رسوله-صلى الله عليه وسلم- وأفصح الله عنه في كتابه وأفصح عنه رسوله-صلى الله عليه وسلم-في سنته ،من الذي يجرأ على رد ذلك إلا الذي ما عنده مثقال ذرة من إيمان { وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا } {فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً } .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الناظم –رحمه الله تعالى– :

فصلٌ

في بيان النوع الثاني من التوحيد وهو توحيد الطلب والقصد وأنه هو معنى لا إله إلا الله

هذا وثاني نوعي التوحيدِ إفراد ربّ العرش عن نديدِ

أن تعبد الله إلهاً واحداً معترفاً بحقه لا جاحدا

الشرح :

هذا الفصل هو أعظم فصول هذه المنظومة في بيان أعظم الأمور وأجلها وأكبرها ألا وهو عبادة الله –تبارك وتعالى– وإخلاص الدين له ، وقد قال – عز وجل– { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } وهذا النوع من التوحيد متضمنٌ للنوع الذي قبله توحيد الإرادة والقصد والطلب متضمنٌ لتوحيد المعرفة والإثبات لأن من عبد الله – عز وجل– وأخلص له الدين فعبادته فرعٌ عن معرفته بالله – عز وجل– عرفه فعبده وأخلص له الدين ، أما الذي وجد عنده توحيد المعرفة ؛ بمعنى أنه عرف الله واقرّ بأنه الخالق الرازق وآمن بما آمن به من أسمائه وصفاته قد يكون مع هذا عابداً لله مخلصاً له الدين وقد يكون متخذاً الأنداد والشركاء ، أما الذي عبد الله وأخلص الدين له فإنه حقق التوحيد بنوعيه المعرفة والإثبات والإرادة والطلب ولهذا فإن هذا النوع متضمنٌ للذي قبله وأما الذي قبله فهو مستلزمٌ لهذا النوع ، بمعنى أن من عرف الله–تبارك وتعالى – يلزمه أن يخلص الدين له – جل وعلا– .

يقول –رحمه الله– (**فصلٌ في بيان النوع الثاني من نوعي التوحيد**) كان قد ذكر فيما سبق أن التوحيد نوعان توحيدٌ في المعرفة والإثبات وشرحه في أبيات عديدة مرّت معنا ، ثم ذكر هنا النوع الثاني من أنواع التوحيد وسماه توحيد الطلب والقصد ، ويسمى توحيد الإلهية ويسمى توحيد العبادة ، ويسمى التوحيد العملي ، ويسمى توحيد النية ، كل هذه الأسماء لمسمى واحد ومقصود واحد وهو إفراد الله–تبارك وتعالى– بالعبادة ، قال (**توحيد الطلب والقصد**) لأن مبناه على إخلاص القصد لله – عز وجل– والقيام بما أمر الله –تبارك

وتعالى- عباده به من العبادة ولزوم طاعة الله –جل وعلا- وإخلاص الدين له ، قال (**وأنه معنى لا إله إلا الله**) كما قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله- في كتاب التوحيد قال : [بابٌ في تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله] عطف شهادة أن لا إله إلا الله على التوحيد وهذا من باب عطف الدليل على المدلول لأن مدلول شهادة أن لا إله إلا الله هو التوحيد ، فعطف المدلول على الدليل ، أو عطف على المدلول دليله ، فلا إله إلا الله هذه الكلمة هي كلمة التوحيد وهي دالة عليه ، بل لا توحيد للعبد إلا بتحقيق ما تضمنته هذه الكلمة وهي قائمة على ركنين النفي والإثبات ، النفي في أولها والإثبات في آخرها ولا توحيد إلا بهذه الركنين النفي والإثبات ، فمن نفى ولم يثبت يكون ملحداً ومن أثبت ولم ينفِ يكون مشركاً ، ولا يكون موحداً إلا بالنفي والإثبات لا إله إلا الله ، ولا إله إلا الله نافية نفياً عاماً لكل ما يعبد من دون الله – عز وجل- لأن إله نكرة في سياق النفي فيعم كل إله يعبد لا إله يعبد حقٌ إلا الله نفت العبودية عن كل من سوى الله وأثبتت العبودية بكل معانيها لله وحده ولهذا لا إله إلا الله أولها نفيٌ عام وآخرها إثبات خاص ، أولها نفيٌ عام للعبودية عن كل من سوى الله ، أياً كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً أو ولياً أو شجراً أو حجراً أو غير ذلك ، نفي عام عن كل ما يعبد من دون الله ، وإلا الله إثبات خاص للعبودية بكل معانيها لله وحده فهذا هو التوحيد ، التوحيد مدلول لا إله إلا الله ولهذا قال الشيخ هنا (**وأنه**) أي التوحيد (**معنى**) أي مدلول (**لا إله إلا الله**) فهذه الكلمة تدل على التوحيد ولا يكون العبد موحداً إلا بها ، وهذا الفصل الذي عقده –رحمه الله تعالى- عقده لشرح هذا النوع من التوحيد الذي هو توحيد الإرادة والقصد الذي هو مدلول كلمة التوحيد لا إله إلا الله ، قال :

هذا وثاني نوعي التوحيد إفراد رب العرش عن نديدِ

التوحيد نوعان : الأول مرّ وهو توحيد المعرفة والإثبات ، وهذا هو النوع الثاني ما هو ؟ قال (**إفراد رب العرش عن نديد**) الإفراد هو الإخلاص وهو الإيمان بوحدانية الله-تبارك وتعالى- والبراءة من اتخاذ الأنداد والشركاء (**رب العرش**) أي الله – عز وجل – وإضافة العرش إلى الله إضافة مخلوقٍ إلى خالقه ، وذكر العرش هنا لأنه أكبر المخلوقات ، فهو سبحانه رب العرش وما دونه ، جميع المخلوقات مربوبة لله- سبحانه وتعالى- لكنه خص بالذكر لأنه سقف المخلوقات وأعظمها وأوسعها ، فهو عرشٌ عظيم وعرشٌ مجيد وعرشٌ كريم ، كما وصفه ربه-تبارك وتعالى- بذلك ، قال (**إفراد رب العرش عن نديد**) النديد هو الشريك وإفراد الله سبحانه وتعالى من أن يتخذ معه الشركاء ، قال تعالى { فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم

تعلمون } أنداداً أي شركاء ، فتوحيد العبادة هو إفراد رب العرش عن نديد ، إفراده أي بالعبادة وأن تخلص له وحده-تبارك وتعالى- وأن لا يجعل معه نديد أي شريك ، ثم زاد في بيان ذلك قال :

أن تعبد الله إلهاً واحداً معترفاً بحقه لا جاحداً

(**أن تعبد الله إلهاً واحداً**) أي مخلصاً له الدين -تبارك وتعالى- قال تعالى { وإلهكم إلهٌ واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم } وقال تعالى { إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما} قال تعالى { الله لا إله إلا هو الحي القيوم } قوله هنا (**أن تعبد الله إلهاً واحداً**) أي أن تفرده -تبارك وتعالى- بالعبادة لا تجعل معه أحداً غيره فهو المعبود تبارك وتعالى بحق ولا معبود بحق سواه ، (**أن تعبد الله إلهاً واحداً**) وهذا فيه نفي الشركاء ولا يكون ذلك إلا بالإخلاص ، قال تعالى { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين } قال تعالى { ألا لله الدين الخالص } .

(**معترفاً بحقه لا جاحداً**) معترفاً بحقه وهو التوحيد وأنه حق الله على العبيد ، قال شيخ الإسلام [كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد] فتعترف بهذا الحق لله ، قال يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ ثم قال : [أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً] هذا حقٌ لله تبارك وتعالى على عبيده فيعترف العبد لله -تبارك وتعالى- بهذا الحق وان العبادة حقٌ لله وأنه تبارك وتعالى كما أنه المتفرد بالخلق والرزق والإنعام والإيجاد والإعداد والإمداد وغير ذلك فهو المستحق للعبادة وحده وأن يفرد بها لله وحده فهي حقه – جل وعلا- لذلك قال – جل وعلا- { ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل } قال تعالى { ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى } قال تعالى { له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون له بشيءٍ إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال } .

(**معترفاً بحقه**) أي الله وحقه التوحيد (**لا جاحداً**) أي لا جاحداً لهذا الحق أو مستكبراً عن قبوله ، قال الله عن الكفار { إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعرٍ مجنون } وقالوا { أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيءٌ عجاب } ، والتوحيد هو أن نعبد الله إلهاً واحداً هذا هو التوحيد ، والمشركون يتعجبون من هذا الأمر يقولون { أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيءٌ عجاب } فأخذوا يتواصونهم على المحافظة على نقيضه وهو الشرك { وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيءٌ يراد } .

قال -رحمه الله- :

وهو الذي به الإله أرسلا رسله يدعون إليه أولا

وأنزل الكتاب والتبيانا من أجله وفرق الفرقانا

الشرح :

قال –رحمه الله– (**وهو**) الإشـارة هنا إلى توحيد العبادة ، وهو أي توحيد العبادة ، (**الذي به الإله أرسـل رسـله**) فالله –جل وعلا– بهذا التوحيد أرسـل رسـله ، قال تعالى { ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسـولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت } وقال تعالى { وما أرسـلنا من قبلك من رسـولٍ إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون } وقال تعالى { واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون } وقال تعالى { واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله } الشاهد قوله { قد خلت النذر } أي الرسل { من بين يديه ومن خلفه } لغاية واحدة ومقصد واحد ما هو ؟ ألا تعبدوا إلا الله ، هذا أمرٌ (به الإله أرسلا) أي جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم فما من رسولٍ بعثه الله– تبارك وتعالى– إلا ودعا قومه إلى توحيد الله ، بل إن أول شيءٍ يبدأ به الرسـل في دعوتهم لأقوامهم وأول شيءٍ يقرع أسـماع أقوامهم من الرسـل هو التوحيد فبه يبدأون ولهذا قال (**يدعون إليه أولاً**) فهذا فيه أن التوحيد هو الذي كانوا يبدأون به ويقدمونه على غيره ولا يبدأون بغيره قبله ، فهو أول ما يبدأ به الرسل في دعوتهم لأقوامهم أرسـلوا بالتوحيد وأول شيءٍ يدعون أقوامهم إليه هو توحيد الله وهذا فيه أن التوحيد أولاً وأن منهج الرسـل في الدعوة إلى الله – عز وجل– البداءة بالتوحيد ، هذا هو منهجهم من أولهم إلى آخرهم وقد قال الله–تبارك وتعالى– { قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني } فالبصيرة والنهج الذي كان عليه نبينا– عليه الصلاة والسلام– وكان عليه الرسل الكرام– عليهم الصلاة والسلام– من قبله هو الدعوة إلى التوحيد والبداءة به قبل أي شيء ، قال (**يدعون إليه أولاً**) وقد جعل نبينا– عليه الصـلاة والسـلام– وهذا الأمر منهج الدعاة كما هو واضـح في حديث معاذ لما بعثه النبي– عليه الصـلاة والسـلام– إلى اليمن قال [إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شـهادة أن لا إله إلا الله] وفي رواية [أن يوحدوا الله] قال (**وأنزل الكتاب والتبيانا من أجله** ...) الكتاب هنا أل في الكتاب للجنس والمراد جميع الكتب التي أنزلها الله ، ليس المراد كتاباً معيناً بل المراد جميع الكتب والكتب التي أنزلها الله– تبارك وتعالى– على رسله الكرام– عليهم صلاة الله وسلامه – كلها متفقة على الدعوة إلى التوحيد والبدء به ، بل إنها أنزلت لأجله ، لأجل التوحيد ، قال (**وأنزل الكتاب والتبيانا**) وقوله هنا والتبيان ذكر هنا –رحمه

الله- أن العطف من عطف التفسير ، الذي هو أعمّ من المفسّر لأن التبيان الذي أنزله الله قال (**أنزل الكتاب والتبيانا**) التبيان الذي أنزله الله أعم من الكتاب بل يشمل من التبيان ما تعبد الله-تبارك وتعالى- الناس بتلاوته وما لم يتعبدهم بتلاوته مثل ما في سنة النبي-عليه الصلاة والسلام- هي تبيان وليست هي من الكتاب الذي تعبد الله-سبحانه وتعالى-بتلاوته ، فالتبيان أعم يشمل القرآن ويشمل السنة ، قال (**وأنزل الكتاب والتبيان من أجله** ..) أي من أجل التوحيد (**وفرق الفرقانا**) كما قال – عز وجل- { وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكثٍ ونزلناه تنزيلا } فالشاهد أن الكتب المنزلة والتبيان المنزل كله لأجل توحيد الله – عز وجل- وإخلاص الدين له .

قال-رحمه الله- :

وكلف الله الرسول المجتبى قتال من عنه تولى وأبى

حتى يكون الدين خالصاً له سراً وجهراً دقه وجله

وهكذا أمته قد كلفوا بذا وفي نص الكتاب وصفوا

الشرح

قال –رحمه الله- (**وكلف الله الرسول المجتبى**) أي نبينا-صلى الله عليه وسلم- كلفه الله ؛ أي أمره-سبحانه وتعالى- والمجتبى : أي الذي اجتباه ربه واصطفاه ، وهو صفوة المرسلين وخير النبيين وسيد ولد آدم أجمعين –صلوات الله وسلامه – أجمعين ، قال (**قتال من عنه**) أي عن التوحيد (**تولى وأبى**) كما قال – عز وجل- { يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير } وفي الحديث الصحيح قال- عليه الصلاة والسلام [أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله] وقال تعالى { وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله } أي لا يكون شركٌ ، قال :

(**تولى**) أي عن التوحيد (**وأبى**) أي من قبوله إما إعراضاً أو إباءً وامتناعاً واستكباراً ، فكلف الله رسوله- عليه الصلاة والسلام- أن يقاتل من أبى عن قبول التوحيد أو من تولى عن التوحيد وأعرض عنه ، يقاتلهم حتى يكون الدين لله ، وحتى هنا للغاية ، القتال يكون لغاية وهي أن يكون الدين لله –تبارك وتعالى- خالصاً ، (**حتى يكون الدين خالصاً له**) أي لله – عز وجل- ومعنى خالصاً : أي صافياً نقياً لله وحده لا يجعل مع الله في شيئاً ، لا في الصلاة ولا الصيام ولا الركوع ولا السجود ولا الدعاء ولا في غير ذلك من أنواع العبادة ، فالدين كله يكون لله بأن يصرف وحده ولا يجعل ، مع أحدٍ فيه شيئاً ، قال (**حتى يكون**

الدين خالصاً له) أي لله – عز وجل – (**سراً وجهراً**) أي بين الإنسان وربه ، وجهراً يكون الدين لله تبارك وتعالى ـــ وهذا فيه أن الدين لابد فيه من صلاح الظاهر والباطن ، السر والعلانية ، قال (**دقه** وجله) أي الدين ، دق الدين وجله أي قليل الدين وكثيرة ، فالدين يكون كله لله ، فقوله (**دقه وجله**) يرجع إلى الدين ، بأن يكون الدين كله لله –تبارك وتعالى– قليل الدين وكثيرة ، قال (**وهكذا أمته قد كلفوا**) أمة محمد – عليه الصلاة والسلام– _ (**قد كلفوا بذا**) الإشارة بقوله بذا إلى قتال من تولى وأبى عن التوحيد (**وفي نص الكتاب وصفوا**) كما قال تعالى { محمدٌ رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم } وكما قال تعالى { إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله }

قال –رحمه الله– :

وقد حوته لفظة الشهادة فهي سبيل الفوز والسعادة

من قالها معتقداً معناها وكان عاملاً بمقتضاها

بالقول والفعل ومات مؤمناً يبعث يوم الحشر ناجٍ آمنا

حوته : أي التوحيد ولفظة الشهادة : أي لا إله إلا الله ، فقوله (**وقد حوته لفظة الشهادة**) أي جمعته واشتملت عليه ، (**لفظة الشهادة**) كلمة التوحيد لا إله إلا الله ، وهذا معنى قوله قريباً في الفصل وأنه معنى لا إله إلا الله ، فلا إله إلا الله حوت التوحيد أي جمعت التوحيد واشتملت عليه ، (**وقد حوته لفظة الشهادة**) أي كلمة التوحيد لاإله إلا الله ، قال تعالى { شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم } فهي كلمة الشهادة ، وقال تعالى { إلا من شهد بالحق وهم يعلمون } أي بلا إله إلا الله { وهم يعلمون } أي معنى ما شهدوا به ، (**فهي**) أي كلمة الشهادة (**سبيل الفوز والسعادة**) سبيل الفوز أي برضا الله وجنته ، والسعادة أي في الدارين ، لا يسعد إلا أهل التوحيد ، ولا يشقى إلا من أعرض عن التوحيد ، كما قال الله تعالى { فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى } أي يسعد ، و{ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا} وقال تعالى { طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى } بل أنزلناه لتسعد فأهل التوحيد هم أهل السعادة في الدنيا والآخرة والمناقضون للتوحيد هم أهل الشقاء في الدنيا والآخرة ، قال (**فهي سبيل الفوز**) وهذا هو الفوز الحقيقي كما قال الله { فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز } هذا هو الفوز وإذا جاء الحديث عن الفوز والفائزين ومن الفائز هذا هو الفوز وهذا الفوز الأكبر وكثير من العقول شغلت في باب الفوز إلى الحديث

عن اللعب واللهو ولا يذكرون الفوز إلا في اللعب ، عندما يقال من فاز أو من الفائز أو من هم الفائزون أو فزنا أو أنا الفائز وهذه لا ترد في أذهان كثير من الناس إلا في اللعب واللهو بينما الفوز الحقيقي هو هذا { فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز } الفوز هو بالتوحيد والفائزون هم أهل التوحيد وأهل الصدق مع الله وإخلاص للدين له – جل وعلا – (**فهي سبيل الفوز والسعادة**) لكن هذه الكلمة ما يكفي فيها مجرد أن يقولها المرء بلسانه ، ولهذا قال الناظم مبيناً وموضحاً قال :

من قالها معتقداً معناها وكان عاملاً بمقتضاها

بالقول والفعل ومات مؤمناً يبعث يوم الحشر ناجٍ آمنا

وهذا فيه التنبيه إلى أن لا إله إلا الله لا تكف بمجرد النطف أو بمجرد قولها باللسان ، بل لابد من هذه الأمور التي بينها قال (**من قالها معتقداً معناها**) هذا الأمر الأول معتقداً معناها أي عارفاً معنى هذه الكلمة ومدلولها التي تدل عليه ويعتقد ذلك ، فلا يكفي القول ولا يكفي أن يعرف معنى هذه الكلمة وما تدل عليه ، بل لابد مع ذلك أن يعتقد معنى هذه الكلمة واعتقاد المعنى فرعٌ عن معرفته ، ولهذا قال الله تبارك وتعالى { إلا من شهد بالحق وهم يعلمون } قال غير واحد من المفسرين : إلا من شهد بلا إله إلا الله ، وهم يعلمون أي معنى ما شهدوا به ، فيشهد شهادة الحق معتقداً لها عارفاً بمعناها وما تدل عليه ، قال (**وكان عاملاً بمقتضاها**) أيضاً لا يكفي مجرد المعرفة والاعتقاد بل لابد من العمل بمقتضاها ، وقد عرفنا أن التوحيد ينتظم جانبين جانب العلم والعمل ، العمل بالمعرفة والعمل بالقيام بالطاعة لله – عز وجل – قولاً وفعلاً كما سيأتي توضيح ذلك عند الناظم –رحمه الله – قال (**وكان عاملاً بمقتضاها**) أي بما تقتضيه هذه الكلمة من التوحيد والإخلاص وإفراد العبادة ، إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة بجميع أنواعها ، قال (**في القول والفعل**) في القول والفعل يتعلق بما سبق وهو أن يكون عاملاً بمقتضاها بالقول والفعل أي قولاً وفعلاً ، قوله (**في القول**) يشمل أمرين :

- قول القلب اعتقاداً
- قول اللسان نطقاً .

القول إذا أطلق في نصوص الكتاب والسنة يشمل قول القلب وقول اللسان ، مثلاً قول الله تعالى { قولوا آمنا بالله } وقول النبي –عليه الصلاة والسلام– [قل آمنت بالله ثم استقم] القول إذا أطلق في نصوص القرآن والسنة يشمل قول القلب اعتقاداً وقول اللسان نطقاً وتلفظاً وإذا قيد يكون بحسب ما قيّد به مثل

قوله تعالى { ويقولون في أفواههم } { ويقولون في أنفسهم } إذا قيد القول في النفس أو قيد باللسان فهو بحسب ما قيّد به أما إذا أطلق فإنه يشمل قول القلب واللسان ، إذن هنا (**عاملاً بمقتضاها**) في القول أي قول القلب بالاعتقاد الصحيح وقول اللسان بالنطق بكلمة التوحيد لا إله إلا الله ، وقوله رحمه الله (**والفعل**) يشمل أموراً ثلاثة :

- فعل القلب .
- فعل اللسان .
- فعل الجوارح .

يشمل هذه الأمور الثلاثة ، فعل القلب وهي الأعمال القلبية مثل الحياء والخشية الانابة التوكل وغير ذلك ، وفعل اللسان يشمل الأقوال الطيبات والطاعات الزاكيات التي تكون باللسان وفعل الجوارح أنواع الطاعات التي يقوم بها العبد بجوارحه ، إذن التوحيد وتحقيق لا إله إلا الله يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح ، كل هذه تكون خاضعة لله متذللة له ، مفرده لله تبارك وتعالى قائمة بعبادته –جل وعلا– وللذل بين يديه كما أمر (**بالقول والفعل**)أيضاً لابد أن يموت على ذلك هذا بالثبات على التوحيد قال : [قل آمنت بالله ثم استقم] { إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا } فلابد أن يثبت على التوحيد إلا الممات وإلا لو كان موحداً ثم في آخر حياته تخلى عن التوحيد والعياذ بالله وأشرك ومات على الشرك فهو على ما مات عليه ، وقد قال – عليه الصلاة والسلام- [إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها] وهذا من فضل الله-سبحانه – لا يكون لمن صدق الله بتوحيده وإيمانه وعقيدته ثم نقل ابن القيم-رحمه الله-في كتابه الجواب الكافي عن بعض أهل العلم أنه قال [لا يعرف لمن صحت عقيدته أن يختم له بمثل هذه الخاتمة السيئة] فمن صدق مع الله فإن الله لا يخذله يثبته كما قال جل وعلا { يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة } ولهذا جاء في بعض روايات هذا الحديث ما يبين هذا المعنى من حديث سهل بن سعد –رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال [إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس] أي أنه ليس فيه الصدق مع الله ، أما الذي يصدق مع الله سبحانه ويحسن الالتجاء مع الله فإن الله – عز وجل – لا يخذله ولا يضيع عمله بل ثبته بالقول الثابت إلى أن يتوفاه وهو راضٍ عنه ويبعثه وهو راضٍ عنه ، قال (**يبعث**) وهذه الثمرة التي لا ينالها إلا الموحد (**يبعث يوم الحشر ـ ناجٍ آمنا**) يوم الحشر ـ أي يوم القيامة يوم يحشر ـ الناس ويجمعون

إلى رب العالمين ، يوم يقول الرب في ذلك اليوم أنا الديان أنا الملك ، في ذلك اليوم يبعث يوم الحشر ناجٍ وآمناً { لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة } { إن للذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون } { إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون } فأهل التوحيد للذين اعتقدوا التوحيد وعرفوا معناه وحققوا مقتضاه بالقول والعمل وماتوا على ذلك هؤلاء هم الذين يبعثون يوم القيامة ناجون آمنون ، { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلمٍ أولئك لهم الأمن وهم مهتدون } .

قال رحمه الله :

فإن معناها الذي عليه دلت يقيناً وهدت إليه

أن ليس بالحق إلهٌ يعبد إلا الإله الواحد المنفرد

بالخلق والرزق وبالتدبير جل عن الشريك والنظير

الشرح

ثم شرح في هذه الأبيات الثلاثة معنى لا إله إلا الله ، قال :

فإن معناها الذي عليه دلت يقيناً وهدت إليه

أن ليس بالحق إلهٌ يعبد إلا الإله الواحد المنفرد

هذا هو معنى لا إله إلا الله الذي دلت عليه (**فإن معناها**) أي لا إله إلا الله (**الذي عليه دلت يقيناً**) وحقاً ولا مدلول لها غيره (**وهدت إليه**) أي أرشدت إليه فهي كلمة هداية بل هي أعظم كلمات الهداية { وهدوا إلى الطيب من القول } فهي أعظم كلمات الهداية وهي أساس الهداية وهي تهدي إلى أعظم أمر وأجل غاية ولهذا كان أفضل الذكر لا إله إلا الله ، ما هو معناها ؟ قال (**أليس بالحق إلهٌ يعبد إلا الإله الواحد المنفرد**) وذكر هنا في معنى لا إله إلا الله أنه لابد من الأمرين اللذين سبق الإشارة إليها الأول النفي في الشطر الأول من البيت والثاني الإثبات في الشطر الثاني ، النفي قال (**أليس بالحق إله يعبد**) وهذا كما قدمت النفي العام ، (**ليس إلهٌ يعبد**) هذا نفي عام لكل ما يعبد سوى الله ، نفي العبودية عن كل ما سوى الله ، والإله هو المعبود وقولنا لا إله إلا الله ، الإله : هو المعبود أي لا معبود حقٌ إلا الله سبحانه وتعالى ، (**أليس بالحق إلهٌ يعبد**) قوله ليس بالحق هذا قيد مهم في هذا الباب وشاهده تقدم من القرآن { ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل } فقوله (**أليس بالحق إلهٌ يعبد**) هذا يبين لنا أن خبر لا النافية للجنس في لا إله

إلا الله المحذوف هذا هو تقديره لاإله حقٌ لا يجوز أن نقول لا إله موجود لأن الآلهة التي تعبد بغير حق كثيرة ، ولا إله حق إلا الله ، أما بالباطل كثيرة الآلهة ، الآن في زماننا في بعض المدن الصغيرة من يعبد فيها يقدرون بالآلاف ، فاللآلهة التي تعبد بالباطل كثيرة جداً فلا إله إلا الله أي لا إله حقٌ أما الآلهة التي تعبد بالباطل كثيرة ، قال (**أليس بالحق إلهٌ يعبد إلا الإله الواحد المنفرد**) أي إلا الله ، الإله الواحد هذان اسمان من أسمائه تبارك وتعالى ، الإله أي الذي له الألوهية على خلقه أجمعين ، والواحد أي المنفرد الذي لا شريك له تبارك وتعالى ، { قال أربابٌ متفرقون خيرٌ أم الله الواحد القهار } الواحد أي المنفرد الذي ليس معه تبارك وتعالى شريك ، قال :

أليس بالحق إلهٌ يعبد إلا الإله الواحد المنفرد

بالخلق والرزق وبالتدبير .....

الجار والمجرور هنا يتعلق بقوله المنفرد أي المنفرد بهذه الأشياء المنفرد بالخلق والرَّزق وبالتدبير ، الخلق والرَّزق والتدبير هذه أوصاف لله سبحانه وتعالى ، الخلق فهو منفردٌ به تبارك وتعالى ، والرَّزق للذي هو فعله جل وعلا منفردٌ به ، والتدبير الذي هو التصرف بهذا الكون فضاً ورفعاً عطاءً ومنعاً ، قبضاً وبسطاً ، عزاً وذلاً ، حياة وموتاً ، هداية وضلالاً إلى غير ذلك هو تبارك وتعالى منفردٌ بذلك كله ، منفردٌ بالخلق وبالرَّزق وبالتدبير ، والفرق بين الرَّزق والرِّزق بفتح الراء وبكسرها ، أن الرَّزق فعل الله وصفته والرِّزق بالكسر هو النعمة التي تفضل بها كما قال جل وعلا { فابتغوا عند الله الرِّزق } قال (**بالخلق والرَّزق وبالتدبير**) (**جل**) أي تنزه تبارك وتعالى ، (**عن الشريك والنظير**) أي أن يتخذ معه الشركاء أو أن يجعل معه نظير ، قد قال تعالى { قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرةٍ في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير }

قال رحمه الله :

وفي شروطٍ سبعةٍ قد قيدت وفي نصوص الوحي حقاً وردت

فإنه لم ينتفع قائلها بالنطق إلا حيث يستكملها

العلم واليقين والقبول والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة وفقك الله لما أحبه

الشرح

جزاها الله خيراً ، بيّن ويدعو (**وفقك الله لما أحبه**) هذه أبيات عظيمة جداً جمع فيها رحمه الله شروط لا إله إلا الله السبعة وبين فيها أن هذه الكلمة العظيمة كلمة التوحيد لا إله إلا الله لا تقبل إلا بشروط وهذه الشروط التي عدها رحمه الله وبسط أدلتها بسطاً وافياً وجميلاً ونافعاً في كتابه معارج القبول ، هي شروطٌ جمعها أهل العلم للاستقراء والتتبع لكلام الله وكلام رسوله – عليه الصلاة والسلام- فهي شروطٌ أخذت من الكتاب والسنة بالاستقراء والتتبع ، والشأن فيها كالشأن في عموم أمور الدين والعبادات ، الآن عندما تأتي للصلاة في كتب الأحكام يقول الصلاة لا تقبل إلا بشروط عددها كذا ، الحج له شروط عدده كذا ، والصيام له شروط عددها كذا ، من أين جاؤوا بها ؟ استقراء ، لهذا لما ذكر الشرط يتبعه بدليله ، يقول الشرط الأول كذا لقوله تعالى كذا ، والشرط الثاني كذا لقوله تعالى كذا ، ولو قال قائل لا يقبل كذا إلا بشرط كذا ولم يذكر دليله يؤخذ ؟ لا يؤخذ ، العبرة بالدليل الذي ساقه ، يقول ابن تيمية [كلٌ يحتج بقوله لا به ، إلا الله ورسوله] فهذه الشروط جمعها أهل العلم من الكتاب والسنة وذكروا على كل شرط أدلته وكما أن الشيخ رحمه الله تعالى بسط أدلة هذه الشروط بسطاً وافياً في كتابه معارج القبول .

قال (**وبشروط سبعة قد قيدت**) قيدت أي بهذه الكلمة فلا تقبل إلا بها ، قيدت بهذه الشروط السبعة بمعنى أنها لا تقبل من قائلها إلا إذا جاء بهذه الشروط ولهذا نقل الإمام البخاري رحمه الله في كتابه الصحيح عن وهب بن منبه –رحمه الله- أنه قيل له : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال : بلى ، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح] مشيراً بهذا إلى أن لا إله إلا الله التي هي مفتاح الجنة لا يكون هذا الفتح للجنة بهذا المفتاح إلا إذا جاء بالشروط ، وقيل للحسن البصري –رحمه الله- أليس من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ؟ قال : بلى من أدى حقها وفرضها] وقال الحسن للفرزدق [إن لا إله إلا الله شروطاً فإياك وقذف المحصنات] أي أن لا إله إلا الله لابد أن يحقق الإنسان شروطها العظمة التي دلّ عليها كتاب الله وسنة نبيه – عليه الصلاة والسلام- .

(**وبشروط سبعة قد قيدت**) إن قلت من أين هذه الشروط ؟ ومن أين هذه القيود ؟ وما الدليل عليها ؟ جاءك الجواب في الشطر الثاني قال (**وفي نصوص الوحي حقاً وردت**) نصوص الكتاب والسنة حقاً وردت أي جاءت فهذه الشروط السبعة التي سيذكرها رحمه الله هي شروط عظيمة لكلمة التوحيد وردت في كتاب الله وسنة نبيه – عليه الصلاة والسلام- ثم قبل أن يبين هذه الشروط ويعددها بين أهميتها فقال :

فإنه لم ينتفع قائلها بالنطق إلا حيث يستكملها

هذا يبين لنا أهمية هذه الشرـوط أن قائل لا إله إلا الله لا ينتفع بمجرد قوله لا إله إلا الله ، مجرد تلفظه بلا إله إلا الله هذا لا ينتفع به وحده ، متى ينتفع ؟ قال (**حيث يستكملها**) إذا استكمل الشرـوط وجاء بها انتفع بها، وأما إذا لم يأتِ بهذه الشرــوط فإن مجرد قوله لا إله إلا الله فإنه لا ينفعه ، ثم بينها رحمه الله شرطاً شرطاً فقال :

العلم واليقين والقبول والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة وفقك الله لما أحبه

الشــطر الأول أو البيت الأول ختمه بكلمة فيها التنبيه على أهمية هذا الأمر وهو قوله (**فادر ما أقول**) أي انتبه أعط هذا الأمر اهتمامك وعنايتك ورعايتك انتبه ، ادر ما أقول لأن هذا الأمر ينبغي لكل مســلم أن ينتبه له وأن يعيه وختم البيت الثاني بهذه الدعوة العظيمة قال (**وفقك الله لما أحبه**) ومن أعظم ما يحبه الله أو أعظم ما يحبه الله من عباده هذا التوحيد الذي تدل عليه لا إله إلا الله بشرــوطها وضــوابطها الواردة في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

أبدأ الآن ببيان هذه الشرـوط وأريد أن أنبه بعض الأخوة الذين يريدون أن يقومون أن عاقبة الصبر حميدة ، فيه هدية لمن يصبر ومن يذهب نسأل الله أن يحفظه في حله وترحاله .

قال رحمه الله :

العلم واليقين والقبول والانقياد .

العلم هذا الشرــط الأول ، العلم بمعنى هذه الكلمة هذا شرط من شروطها ، دليله قول الله تعالى {فاعلم أنه لا إله إلا الله } وفي صحيح مسلم عن عثمان –رضي الله عنه- [من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة] .

العلم أي بمعناها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل ، فلا إله إلا الله لا تنفع قائلها إلا إذا علم معنى هذه الكلمة العظيمة وعرف ما تدل عليه .

اليقين : انتفاء الشــك والريب وهو تمام العلم وكماله ، فلا تقبل لا إله إلا الله إلا باليقين والدليل على ذلك قول الله سبحانه { إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا } ومن السنة قول النبي-عليه الصلاة والســلام- [أشــهد أن لا إله إلا الله وأني رســول الله لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شــاكٍ فيهما إلا دخل الجنة]

فاشترط اليقين ، هذا قيد من الذي وضعه ؟ والقيد الأول من الذي وضعه ؟ [من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله] من الذي وضعه ؟ فهذه قيود حقاً وردت في كتاب الله وسنة نبيه – عليه الصلاة والسلام- .

الشرـط الثالث : القبول المنافي للرد ، والله سبحانه وتعالى قال عن المشرـكين { إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون } لم يقبلوا { ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعرٍ مجنون } وقالوا أيضاً { أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيءٌ عجاب } .

الشرـط الرابع : الانقياد المنافي للترك كما قال تعالى { وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له } فالانقياد هو الامتثال والقيام بطاعة الله ، ولهذا القبول يتعلق بالقول والانقياد يتعلق بالعمل ، فقائل لا إله إلا الله لابد أن ينقاد لله – عز وجل- مطيعاً مستسلماً خاضعاً لله تبارك وتعالى .

الشرـط الخامس : الصدق المنافي للكذب ، والصدق أن يواطيء القلب اللسان ، وقد قال الله تعالى عن المنافقين { إذا جاءك المنافقين قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون } .

الشرـط السادس : الإخلاص المنافي للشرـك والرياء والإخلاص مأخوذ من الخالص وهو الصافي النقي ، قال تعالى { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين } وقال تعالى { ألا لله الدين الخالص } وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام [من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة] .

قال (**والمحبة**) وهذا الشرـط السابع : المنافي للبغض والكره ، قال تعالى { ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله } .

وتطالعون شرح الشيخ رحمه الله تعالى لهذه الأبيات وذكره للأدلة عليها في كتابه معارج القبول .

أوصيكم بثلاث وصايا :

الأولى : حفظ المنظومة .

الثانية : قراءة كتاب معارج القبول كاملاً .

الثالثة : أن تعتنوا بالعمل بما تعلمون .

اللهم انفعنا بما علمتنا واجعل ما نتعلمه حجة لنا لا علينا واهدنا إليك صراطاً مستقيماً

وجزاكم الله خيراً وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

شرح منظومة
سلم الوصول إلي علم الأصول

لفضيلة الشيخ
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله تعالي

من الدرس (٥) إلي الدرس(٨)

الشيخ لم يراجع التفريغ

الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاقبة للمتقين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وعبده أجمعين .

قال –رحمه الله– :

فصلٌ في تعريف العبادة وذكر بعض أنواعها وأن من صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك .

ثم العبادة هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يرضي الإله السامع .

الشرح :

هذه ثلاثة أمور عقد –رحمه الله– هذا الفصل لتبيانها وإيضاحها ، الأول منها تعريف العبادة وذلك بذكر حد العبادة الذي به تعرف ، وشيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى ذكر في كتابه العبودية حداً للعبادة تناقله عنه أهل العلم واستحسنوه وارتضوه وهو قوله رحمه الله [العبادة اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة] فهذا حدٌ وضابطٌ للعبادة من حيث هي لا من حيث العابد ، لأن حد العبادة من حيث فعل العابد أو حقيقة حال العابد ؛ غاية الذل مع غاية الحب لله تبارك وتعالى ، أما حد العبادة وتعريفها من حيث هي ؛ هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة وبهذا يتبين أن العبادة منها ما يكون باللسان ومنها ما يكون بالقلب ومنها ما يكون بالجوارح فكل هذه لها حظها من العبودية لله تبارك وتعالى ، القلب له عبودياته من الخشية والإنابة والرجاء والخوف والتوكل وغير ذلك واللسان له أيضاً عبودياته من الذكر لله – عز وجل– والدعاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من الأعمال الصالحة التي تكون باللسان ، والجوارح أيضاً لها حظها من ذلك من صلاة وصيام وحج وغير ذلك من الطاعات التي يباشرها المرء بجوارحه ، فالعبادة جامعة لكل أمرٍ يحبه الله ويرضاه سواء كان هذا الأمر متعلقاً بالقلب أو من أعمال القلوب أو كان من أقوال اللسان أو كان من أفعال الجوارح فكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة كل ذلك عبادة وكل ذلك داخلٌ في مسمى العبادة ويتناوله اسمها ، الجانب الآخر عند المصنف–رحمه الله– في هذا الفصل في ذكر بعض أنواع العبادة وهذا سيأتي عنده يذكر فيه أنواعاً وأفراداً من العبادة كالاستعانة والاستغاثة والرجاء وغير ذلك مما سيأتي عنده –رحمه الله– والجانب الأخير في هذا الفصل بيان أن العبادة حقٌ لله –تبارك

وتعالى- وأن من صرف منها شيئاً لغيره فقد أشرك ؛ أي أشرك بالله – تبارك وتعالى- غيره ويكون بذلك ارتكب أعظم الظلم وأكبر الجرم كما قال الله تعالى { إن الشرك لظلمٌ عظيم } .

قال في الجانب الأول في العبادة قال :

ثم العبادة هي اسمٌ جامعُ لكل ما يرضي الإله السامع

العبادة اسم جامع ، جامعٌ لماذا ؟ جامعٌ لكل ما يرضي الإله تبارك وتعالى ، فالعبادة اسمٌ جامع لكل ما يرضي الإله ؛ أي ما يرضيه تبارك وتعالى من الأقوال أو الأعمال الظاهرة منه أو الباطنة ، فكل ما يرضي الإله فهو داخل في العبادة وهذا معنى قول شيخ الإسلام العبادة اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، فكل ما يرضي الإله وكل ما يحبه الله سبحانه وتعالى من الأقوال أو الأعمال الظاهرة منها والباطنة فهو داخلٌ في مسمى العبادة ، (**لكل ما يرضي الإله**) الإله اسم من أسماء الله –تبارك وتعالى- الحسنى وهو دالٌ على ألوهيته وأنه ذو الأولوهية والعبودية على خلقه أجمعين .

وقوله (**السامعُ**) أي لأصوات الخليقة وأنه تبارك وتعالى سميعٌ بسمع وأن سمعه تبارك وتعالى وسع الأصوات فهو السامع أي للأصوات ، وهذا من باب الإخبار عن الله ، أما اسم الله تبارك وتعالى الذي يدل على ثبوت السمع صفةً له فهو اسمه السميع قد جاء في مواضع عديدة من كتاب الله عز وجل منها قوله تعالى { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } ومنها قوله تعالى { قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميعٌ بصير } وقول الناظم هنا (**السامع**) هذا من باب الإخبار عن الله تبارك وتعالى .

قال –رحمه الله- :

وفي الحديث مخها الدعاء خوفٌ توكلٌ كذا الرجاءُ

ورغبةٌ ورهبةٌ خشوعُ وخشيةٌ إنابةٌ خضوعُ

والاستعاذة والاستعانة كذا استغاثةٌ به سبحانه

والذبح والنذر وغير ذلك فافهم هديت أوضح المسالك

وصرف بعضها لغير الله شركٌ وذاك أقبح المناهي

الشرح :

هنا في هذه الأبيات الخمسة سرد –رحمه الله تعالى– أنواعاً من العبادة وبدأها بالدعاء وبدؤه بالدعاء لأنه أعظم أنواع العبادة وأهمها كما صح في الحديث عن النبي–صلى الله عليه وسلم– أنه قال [الدعاء هو العبادة] وتلا قول الله تعالى { وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي } فالدعاء عبادة بل هو أعظم أنواع العبادة ، وجاء في الحديث [ليس شيء أكرم عند الله من الدعاء] فالدعاء عبادة وبه بدأ به –رحمه الله– وقوله (**وفي الحديث مخها الدعاء**) أشار في الشرح إلى أن هذا الحديث فيه شيء من الكلام ، والذي ثبت عن النبي–صلى الله عليه وسلم– هو قوله في حديث النعمان [الدعاء هو العبادة] وما جاء في لفظ [الدعاء مخ العبادة] لم يصح عن النبي الكريم–صلى الله عليه وسلم– فهذا أمرٌ أشار إليه الشارح – رحمه الله– في كتابه معارج القبول ، قال (**خوفٌ**) وهذا أيضاً نوع من أنواع العبادة ألا وهو الخوف أي من الله ، قال تعالى { إنما ذالكم الشيطان يخوف أوليائه فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين } فالخوف عبادة وهي عبادة قلبية بين الإنسان وبين الله –تبارك وتعالى– خوف السر في قلب الإنسان وفي باطنه ، والمؤمن لا يصرف هذه العبادة – التي هي خوف السر– إلا لله { فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين } قال (**توكلٌ**) وهذا أيضاً عبادة من العبادات التي يحبها الله – جل وعلا– ويرضاها قال { فعلى الله توكلوا إن كنتم مؤمنين } فالتوكل هو اعتماد القلب على الله وثقته به وحسن إلتجاؤه إليه وتفويض الأمر إليه تبارك وتعالى مع فعلٍ للأسباب ، قال (**كذا الرجاء**) الرجاء أيضاً عبادة { فمن كان يرجو لقاء ربه } قال تعالى { أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته } فالرجاء عبادة وهو الطمع فيما عند الله – عز وجل– وعدم اليأس بل إن الرجاء والخوف والحب هي أركان العبادة ، العبادة تقوم على أركان ثلاثة وهي الرجاء والحب والخوف ، ويصفها أو يشبهها أهل العلم بالطائر يقول [الحب رأسه والرجاء والخوف جناحاه] فالحب هو أصل في العبودية بل هو قاعدة العبودية ، والرجاء والخوف جناحاه ولابد منهما معاً متوازنين رجاءٌ وخوف لا يغلب أحدهما على الآخر ، إن غلب الخوف قنط ، وإن غلب الرجاء أمن ،و كلٌ منهما من كبائر الذنوب القنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله ، لذلك يجب على العبد أن يوازن بينهما رجاء وخوف لا يغلب الخوف ويهمل الرجاء ولا يغلب الرجاء ويهمل الخوف ولهذا قال بعض أهل العلم قديماً [من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجيء ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري –أي على طريقة الخوارج– ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد] قال (**ورغبةٌ**) الرغبة هي بمعنى الرجاء ، قال (**ورهبةٌ**) وهي بمعنى الخوف ، قال تعالى {يدعوننا رغباً

ورهباً } رغباً : أي راغبين وطامعين فيما عند الله – عز وجل- ورهباً : أي راهبين وخائفين من سخطه ، خائفين من أن ترد الأعمال عليهم ،قال تعالى { والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون } وجلة : أي خائفة ، خائفة من ماذا ؟ من أن ترد الأعمال كما جاء في المسند أن عائشة-رضي الله عنها- سألت النبي-صلى الله عليه وسلم- أهو الرجل يزني ويسرق ويقتل ويخاف أن يعذب ؟ قال : لا يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ألا يقبل] قال (**خشوعٌ**) وهذا من العبوديات التي يحبها الله تبارك وتعالى من عباده قال تعالى { إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين } والخشوع هو ذل الجوارح وطمأنينتها وانكسارها لله تبارك وتعالى ، وهو يكون في ما يقوم به العبد من عبوديات لله من صلاة وحج وغير ذلك ودعاء يدعو الله تبارك وتعالى وهو خاشعٌ لله عز وجل ، قال (**وخشية**) والخشية هي بمعنى الخوف ، قال تبارك وتعالى {فلا تخشوهم واخشونِ } والآية المتقدمة قال { فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين } قال (**إنابة**) الإنابة هي الرجوع إلى الله كما قال – عز وجل- { وأنيبوا إلى ربكم } الإنابة هي الرجوع إلى الله – عز وجل- بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه تبارك وتعالى وزجر ، قال (**خضوع**) والخضوع أيضاً من العبوديات المطلوبة من المسلم وهي عبودية يحبها الله تبارك وتعالى ، وهي التذلل لله تبارك وتعالى ، قال (**والاستعاذة والاستعانة**) الاستعاذة هي طلب العوذ ، والاستعانة هي طلب العون ، الاستعاذة طلب العوذ { قل أعوذ برب الناس } احتماءٌ بالله عز وجل والتجاءٌ إليه تبارك وتعالى أن يحمي عبده وأن يقيه { وإما ينزغنك من الشيطان نزغٌ فاستعذ بالله } أي منه ،فالاستعاذة فهي طلب العوذ واحتماءٌ والتجاءٌ إلى الله عز وجل واعتصامٌ به سبحانه وتعالى ، والاستعانة طلب العون قال تعالى { إياك نعبد وإياك نستعين } طلب العون من الله عز وجل بأن ييسر لعبده القيام بمصالح دينه ودنياه ، وقد قال النبي-عليه الصلاة والسلام – لمعاذ [لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك] (**كذا استغاثة**) الاستغاث هي طلب الغوث وتكون عند الشدة والكرب فيطلب من الله تبارك وتعالى أن يغيثه بأن يعينه على الخلاص من الشدة التي نابته أو المصيبة التي دهته فيستغيث بالله تبارك وتعالى { إذ تستغثون ربكم فاستجاب لكم } قال (**والذبح والنذر**) الذبح من العبادات العظيمة التي يحبها الله { قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي } النسك هو الذبح قال تعالى { فصل لربك وانحر } أي لربك وفي الحديث قال – عليه الصلاة والسلام- [من ذبح لغير الله] فالذبح عبادة ، إراقة الدماء دماء بهيمة الأنعام عبادة من أعظم العبوديات وفي الذبح عبادتان أولاً عبادة الاستعانة

فلا يذبح إلا بسم الله فمن ذبح بغير اسمه تبارك وتعالى فقد أشرك ، أشرك به سبحانه ، ولا يذبح إلا لله تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى ، ومن ذبح ذبيحةً متقرباً بها إلى غير الله فقد أشرك وشركه في باب العبادة لهذا الشرك الذي يكون في الذبح قد يكون في جانب الاستعانة وقد يكون في جانب العبادة ولهذا لا يذبح إلا لله ، ولا يذبح إلا باسمه استعانةً له تبارك وتعالى ، قال (**والذبح والنذر**) والنذر أيضاً عبادة وقد قال الله تبارك وتعالى { يوفون بالنذر} فأثنى عليهم بوفائهم به ، فالنذر عبادة ، ومن نذر لغير الله تبارك وتعالى فقد أشرك وأيضاً قوله تعالى { ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق } يقول الشيخ –رحمه الله– [ومن شرط النذر لله أن يكون طاعةً ، وأن يكون مما يطيقه العبد ، وأن يكون فيما يملك ، وألا يكون في موضعٍ كان يعبد فيه غير الله أو ذريعة إلى عبادة غير الله] قال (**وغير ذلك**) أي أنه ذكر شيئاً يسيراً من أنواع العبادات والعبادات كثيرة جداً منها ما هو بالقلب ومنها ما هو باللسان ومنها ما هو بالجوارح ، قال (**فافهم هديت أوضح المسالك**) افهم أي انتبه لهذا الأمر وهذه الكلمات يؤتى بها للتنبيه للأمور العظيمة المهمة التي يحتاج العبد أن يجمع لها فهمه وذهنه ، قال (**فافهم هديت**) وهذا دعاء للسامع بالتوفيق (**أوضح المسالك**) أي هداك الله – عز وجل– أوضح المسالك { عسى ربي أن يهديني سواء السبيل } قال (**وصرف بعضها لغير الله شركٌ وذاك أقبح المناهي**)

(**صرف بعضها**) أي بعض العبادة لغير الله أياً كان ؛ سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً أو ولياً من الأولياء أو شجراً أو حجراً أو غير ذلك { وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً } { فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً } أياً كان ، كائناً من كان ، فالعبادة حقٌ لله سبحانه وتعالى ، { إن الله لا يغفر أ، يشرك به } فالعبادة حقٌ لله ، (**وصرف بعضها**) أي من صرف بعضها ولو واحد ، لو واحداً من العبادة مثل من يصرف الدعاء أو يصرف الذبح أو غير ذلك من العبادات التي ذكر المصنف أو لم يذكر ، فمن صرف العبادات ولو عبادة واحدة فقد أشرك ، ومن أشرك حبط عمله وكان يوم القيامة من الخاسرين { ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين } والشرك مبطلٌ للأعمال محبطٌ لها موجبٌ للخلود في النار أبد الآباد ، فمن مات على الشرك بالله فهذا حكمه وهذا مصيره ، قال تعالى { والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عليهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور } قال (**وصرف بعضها لغير الله شركٌ**) (**وذاك**) أي الشرك (**أقبح المناهي**) أقبح شيءٌ نهى الله عنه ، فالأمور القبيحة الذميمة المحرمة التي نهى الله تبارك وتعالى عنها

أقبحها الشرك وأخطرها ولهذا القرآن إذا ذكرت النواهي يبدأ بالنهي عن الشرك { واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا } وقال تبارك وتعالى { وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا } وفي الحديث قال – عليه الصلاة والسلام- [اجتنبوا السبع الموبقات] وبدأ بالشرك ، وفي الحديث الآخر [ألا أنبؤكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى – وبدأ بالشرك] فبالمناهي يبدأ بأقبحها وأشنعها وهو الشرك بالله الذي هو أظلم الظلم وأكبر الجرم ، قال الله تعالى { إن الله لا يغفر أن يشرك به } وقال تعالى { إن الشرك لظلمٌ عظيم }

قال –رحمه الله-

فصلٌ في بيان ضد التوحيد وهو الشرك وأنه ينقسم على قسمين أصغر وأكبر وبيان كلٍ منهما .

الشرك نوعان فشركٌ أكبرُ به خلود النار إذ لا يغفرُ

وهو اتخاذ العبد غير الله نداً به مسوياً مضاهي

الشرح :

هذا الفصل كما بين –رحمه الله – عقده للتعريف بالشرك وبيان حقيقته ، والمسلم كما أنه مطلوب منه أن يعرف التوحيد ليحققه فإنه مطلوبٌ منه كذلك أن يعرف الشرك ليحذره ويجتنبه ، المسلم مطلوبٌ منه أن يعرف الحق ليكون من أهله ، ومطلوب منه أن يعرف الباطل ليتقيه وقد قيل [كيف يتقي من لا يدري ما يتقي] وفي هذا الباب كيف يتقي الشرك من لا يعرف حقيقة الشرك ، الآيات في القرآن والأحاديث في سنة النبي-صلى الله عليه وسلم- كثيرة في النهي عن الشرك وفي التحذير منه ، كيف يتحقق لعبدٍ أن يحذر من الشرك وهو لا يعرف الشرك [كيف يتقي من لا يدري ما يتقي] ولهذا قال حذيفة بن اليمان كما في صحيح البخاري قال : [كان أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم – يسألونه عن الخير فكنت أسأله عن الشر مخافته] وعمر-رضي الله عنه- قال [تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية] فإذا كان الناس لا يعرفون الشرك ما هو وما حقيقته ربما وقعوا في بعض صوره ظناً منهم أنهم يحسنون صنعاً { قل هل أنبؤكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا } لا سيما مع كثرة أئمة الباطل ودعاة الضلال وكثرة الشبهات وتزيين الباطل وتغيير الأسماء يسمى الشرك عند العوام توسلاً أو يسمى شفاعةً ويسمى من لا يشرك مبغضاً للأولياء أو الأنبياء إلى غير ذلك من العبارات التي ينفقها أئمة الباطل ودعاة الضلال فيروج الباطل ولهذا لابد من معرفة الشرك

ومعرفة حقيقته ليحذره العبد ، وقد قال الله في القرآن { وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين } ولماذا تستبين ؟ حتى تحذر وتتقى وتجتنب وفي هذا المعنى قال من قال :

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيّه و من لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

إذا لم يميز الإنسان بين الخير والشر وقع في الشر من حيث لا يشعر فهذا الباب ، باب مهم ، أو هذا الفصل فصلٌ مهم لابد من معرفة الشرك وحقيقته ومعرفة أنواعه ليكون العبد منه على حذر ، ومن فوائد معرفة العبد للشرك وخطورته وقبحه ؛ معرفة حسن ضده وهو التوحيد ؛ وبضدها تتميز الأشياء ، فالعبد إذا نظر إلى الشرك وعرفه أو عرف قبحه وخطره وقبح حال المشركين يحمد الله سبحانه أن عافاه وأن حماه ويعرف قيمة هذا التوحيد ومكانته كلما ينظر إلى تلك العقول التائهة ، والأفهام الرديئة العاكفة على قبرٍ أو على ضريحٍ أو على حجرٍ أو على شجرٍ أو غير ذلك بذلٍ وخضوع وانكسار يحمد الله ، يحمد الله تبارك وتعالى المان والمتفضل أن عرفه بالتوحيد ومنّ عليه بأن هداه له ، فليس يوجد عند الأضرحة وعند الأشجار والقباب من هم عاكفون عندها خاضعون ؛ أليس فيهم شباب ؟ أليس فيهم شباب بسنك ؟ فيه ، لكن هذه منة الله عليك ، هداك ووفقك وأكرمك بمعرفة الحق والهدى وعندما يعرف الإنسان هذه الأمور يحمد الله –سبحانه وتعالى– على العافية ويدرك قيمة التوحيد ومكانته العظيمة وفضل الله سبحانه وتعالى عليه ، الآن لو يتأمل بعضكم في المجتمع الذي جاء منه ؛ المجتمع الذي جاء منه وفي الزملاء الذين كانوا معه في الدارسة وفي المراحل الأولى من الدراسة ربما بعضهم متورط في مثل هذه المتاهات الباطلة وهذا أيضاً حقيقة يستوجب منك وقد هداك الله وأكرمك أن تعمل بالجادة ، وأنا أنصحك ألا تؤجل هذا العمل إلى أن تسافر لا تؤجله ، إذا كان لك صديق في الدراسة من الآن تكتب له ، لعل الله يهديه على يديك [لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم] ولتكن لطيفاً معه في الخطاب والمدعوة ، تبدأ الخطاب تقول وأنا في المدينة ذكرتُ ساعاتٍ جميلة وأوقاتٍ جميلة أيام الصبا كنت إلى جنبي في مقاعد الدارسة وكنا نلعب سوياً ونضحك سوياً، وأذكر أنك قلت لي في اليوم الفلاني كذا وكذا ، ولازلت أتذكر كلماتك الجميلة وأنا الآن في المدينة قرأت كذا ووجدت كذا ، وأنت من الناس الذين أحب لهم الخير والأمور التي أكرمني الله تبارك وتعالى فيها أحب أن تقف عليها وأنت وأنت ، وفي بعض الكلام ، ثم تذكر له الآيات والأحاديث تكتبها من الآن ، خاصة الآن فترة الإجازة لست مرتبطاً اكتب والرسالة الواحدة الجميلة التي تكتبها يمكن أن ترسلها لأكثر من زميل ، وما يدريك الرسالة التي تكتبها صادقاً ناصحاً راغباً ينقذ الله سبحانه وتعالى بها

على يديك زملاء وإخوان ورفقاء ، وإذا كان أهل الباطل يعملون بشكل كبير جداً في نشر الباطل من خلال القنوات ومن خلال شبكة الانترنت ومن خلال المجلات ، فأنت يا صاحب الحق ينبغي أن تكون تقدم ، ثم من هؤلاء للذين ستقدم لهم هؤلاء فيهم الأخ وفيهم الأب وفيهم العم وفيهم الخال وفي ذلك { ولأنذر عشيرتك الأقربين } ، ولا تؤخر ؛ حتى الشاب من زملائك لو قلت إذا سافرت سأتحدث معه ربما يموت قبل أن ، هل تضمن أنه يعيش حتى تراه ، فالبدار البدار بالخير لا تؤجل والرسالة لا تكلفك شيئاً لكن قد تكون سبب هداية ، رسالة لطيفة جميلة تكتبها له وتبين له مثل هذه المعاني العظيمة المهمة من الآيات والأحاديث ، وما في مانع من التعاون إذا وفقك الله لصيغة جميلة تهديها لزميلك تقول هذه كتبتها إذا تحب أنت أن ترسلها لأحد زملائك ما فيه مانع ، والسهم الواحد يؤجر فيه ثلاثة ، وهذا كله من التعاون على البر والتقوى ، فأنا أدعو الإخوان بأن يعتنوا بهذا الأمر عناية عظيمة وممكن من هذا الكتاب وشرحه معارج القبول نلخص منه بعض الفوائد ونسأل الله جل وعلا للجميع التوفيق .

قال (**فصلٌ في بيان ضد التوحيد وهو الشرك**) الشرك هو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائصه وحقوقه تعالى فمن سوى غير الله بالله في شيء من خصائص الله وحقوقه جل وعلا فقد أشرك سواءً خصائص الله جل وعلا في ربوبيته أو خصائصه في أسمائه تبارك وتعالى أو في صفاته أو في شيء من حقوقه على عباده من الذل والخضوع والدعاء والرجاء وغير ذلك من العبادات فقد أشرك ، لذلك الشرك ينقسم إلى ثلاثة أقسام شركٌ في الربوبية وشركٌ في الأسماء والصفات وشركٌ في الألوهية ، كما أن التوحيد ثلاثة أقسام فالشرك ضده ثلاثة أقسام ، والشرك يكون في إعطاء المخلوق شيء من خصائص الخالق تبارك وتعالى ، وشيءٌ من حقوقه تبارك وتعالى على عباده ، ويقول المصنف أنه ينقسم إلى قسمين باعتبار عظمه وحجمه ينقسم إلى قسمين أكبر وأصغر ؛ وسيأتي عند الناظم رحمه الله بياناً للشرك الأكبر والشرك الأصغر في الأبيات القادمة

قال : **والشرك نوعان فشركٌ أكبر به خلود النار إذ لا يغفر**

(**الشرك نوعان**) أي أكبر وأصغر ، بدأ بالأخطر منهما والأعظم وهو الشرك الأكبر ، قال:

به خلود النار إذ لا يغفر

وهو اتخاذ العبد غير الله ندا به مسوياً مضاهي

هنا الشيخ –رحمه الله– يتكلم عن جانبين يتعلقان بالشرك الأكبر الجانب الأول حكمه ، والجانب الثاني حده ، ولننتبه لهذا لأن الشرك الأكبر يختلف عن الشرك الأصغر بالحد والحكم ، وهنا بدأ الشيخ رحمه الله

بذكر حكم الشيخ الأكبر وحد الشرك الأكبر ، ثم بعد ذلك ذكر الشرك الأصغر ، أما حكم الشرك الأكبر فبينه بقوله (**به خلود النار إذ لا يغفر**) هذا حكمه به خلود النار ، أي من مات على الشرك الأكبر فحكمه الخلود في النار أبد الآباد وهو الذنب الذي لا يغفر ، قال تعالى { إن الله لا يغفر أن يشرك به } وقال تعالى { والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها } فحكم الشرك الأكبر الخلود في النار وأن الله سبحانه وتعالى لا يغفر لصاحبه ولا مطمع لصاحبه في رحمة الله إذا مات على ذلك هذا حكمه أما حده فبينه بقوله (**وهو اتخاذ العبد غير الله ندداً به مسوياً مضاهي**) هذا حد الشرك الأكبر أن يتخذ العبد غير الله (**ندا**) أي به (**مساوياً مضاهي**) هذا فيه أن الشرك تسوية غير الله في شيء من خصائص الله أو حقوقه ، من سوى غير الله بالله في شيء من خصائصه أو حقوقه وجعل غير اله مضاهي لله أي نديداً فهو مشرك ولهذا إذا أدخل أهل النار النار يوم القيامة يقولون { تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين } وقال تعالى { ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله } وقال تعالى { ثم الذين كفروا بربهم يعدلون } أي يعدلون غيره به أي يسونه به ، فالشرك اتخاذ العبد غير الله (**نداً به مساوياً مضاهي**) أي يجعل غير الله مساوياً بالله ، أي في شيء من خصائص الله أو حقوقه سبحانه ، هذا حد الشرك الأكبر .

قال رحمه الله :

يقصده عند نزول الضر لجلب خيرٍ أو لدفع الشرِ

أو عند أي غرضٍ لا يقدر عليه إلا المالك المقتدر

مع جعله لذلك المدعو أو المعظم أو المرجو

بالغيب سلطاناً به يطلعُ على ضمير من إليه يفزعُ

الشرح

(**يقصده**) أي المتخذ للند ، يقصده أي يقصد الند الذي جعله مساوياً ومضاهياً لله تبارك وتعالى ، يقصده أي يلتجأ إليه ويعود به ويحتمي به ، ويعتصم به ويلوذ به ، قال (**أو عند أي غرض**) أي غرض من الأغراض أي يقصد هذا الند (**عند نزول الضر**) عندما ينزل به مصيبة أو بلاء من مرض أو سقم أو فقر أو خوف أو غير ذلك ، يقصده (**لجلب خيرٍ أو لدفع الشر**) يقصد هذا الند الشريك من أجل أن يدفع عنه شراً

أو أن يجلب له خيراً ، قال تعالى { قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف اضر عنكم ولا تحويلا } قال تعالى { قل أرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضرٍ هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله } فمن اتخذ نداً لجلب خيرٍ أو لدفع ضر (**أو عند أي غرض**) مثل طلب الولد أو طلب العافية أو طلب المال أو طلب النجاح أو طلب السلامة ، أو غير ذلك أي غرض من الأغراض لا يقدر عليه إلا المالك المقتدر يطلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله ، هذا شرك مثل دعاء الموتى ودعاء الغائبين ودعاء الملائكة ودعاء الأولياء والالتجاء إلى القباب والأشجار والأضرحة وغير ذلك ، فمن التجأ إلى غير الله سبحانه وتعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى فهو مشرك ، قال (**لا يقدر عليه إلا المالك المقتدر**) وذكره لهذين المالك المقتدر فيه تنبيه إلى أن العبودية والذل والالتجاء والخضوع والرجاء والرغبة كل ذلك لا يكون إلا للمالك المقتدر ، لا يتوجه بشيء من ذلك إلا للمالك المقتدر أما المملوك المربوب الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً و لاحياةً ولا نشورا ، لا يستحق شيء من هذه الأمور ولا يملك لنفسه ، فكيف يملك شيئاً من ذلك لغيره ، ولا يملك موتاً ولا حياةً ولا نشوراً فكيف يملك ذلك لغيره ، قال :

مع جعله لذلك المدعو أو المعظم أو المرجو

بالغيب سلطاناً به يطلعُ على ضمير من إليه يفزعُ

(**مع جعله**) أي مع جعل لهذا المتخذ الشركاء أو الأنداد لذلك المدعو الذي يدعونه من دون الله (**أو المعظم أو المرجو**) أي يجعل المعظم عنده ، (**المدعو**) الذي دعاه ولجأ له من دون الله ورجاه من دون الله تبارك وتعالى ، يجعل له سلطاناً في الغيب ، قوله :

مع جعله لذلك المدعو .....

بالغيب سلطاناً به يطلعُ على ضمير من إليه يفزعُ

أي يعتقد في ذلك المدعويين أو المقبورين أو قباب أو أضرحة أو غير ذلك يعتقد أن لهؤلاء المعظمين المدعويين سلطان في الغيب يطلعون على ما في الصدور وما تكنه القلوب وما تسره النفوس وأنهم يعلمون ، حتى في بعض كتب أهل الضلال والباطل يعقدون أبواب في أن الأئمة والأولياء يعلمون الغيب ويعلمون ما كان ويعلمون متى يموتون ويعلمون متى الساعة وأشياء كثيرة موجودة إلى الآن في كتب أهل الضلال والباطل ، والله تعالى يقول { قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله } سمع – عليه الصلاة

والسلام- امرأة تقول [وفينا رسول الله يعلم ما في غدٍ] فغضب وقال : [لا يعلم ما في غدٍ إلا الله] { ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء } فعلم الغيب خاصٌ بالله تبارك وتعالى .

فائدة أشير إليها في كتاب العذب النمير للشيخ الشنقيطي رحمه الله أظنه في المجلد الثاني منه ، جمع جمعاً بديعاً نافعاً مفيداً سرد فيه الأنبياء في القرآن وبين من خلال قصص الأنبياء أن الأنبياء لا علم لهم بالغيب ، وجاء بقصص مفيدة جداً ، جاء بقصة يعقوب لما ألقى إخوانه يوسف –عليه السلام- في البئر وابيضت عيناه من الحزن جاء بهذه القصة قال لو كان يعلم الغيب لما حصل له هذا الأمر وأتى بقصص قصة سليمان والهدهد وجاء بقصص كثيرة مفيدة جداً ويصلح أن تجمع وتبين للناس سردها في صفحات قليلة يمكن أن تطلعون عليها ولعل الناشطين منكم يحدد لزملائه الموضع تحديداً لكتاب العذب النمر ولعل واحداً يصوره أو يلخص أبواب الخير الحمد لله كثيرة ، وأنتم ما شاء الله كل واحدة فيكم أنشط من الثاني في أبواب الخير والحرص عليه بإذن الله عز وجل .

بالغيب سلطاناً به يطلعُ على ضمير من إليه يفزعُ

أذكر في إحدى الدول شخص يسمونه ولي ويجلس في السوق رجل في آخر عمره كبير جداً طاعن في السن ويعتقدون أنه ولي ، ثم الناس واحداً تلو الآخر يأتي ويجلس معه ما يتكلم يجلس ربع ساعة ثلث ساعة خضوع وخشوع ثم يقوم ويمشي ، ويعتقدون أن هذا الولي إذا جلس أمامه يطلع على ما في نفسه وعلى مشكلته ويلقي في قلبه الحل والخير والبركة وهذا مثله كثير ، أهل الضلال كثير لا كثرهم الله .

قال –رحمه الله- :

والثاني شركٌ أصغرٌ وهو الريا فسره بع ختام الأنبياء

الشرح :

قال (**والثاني**) أي من نوعي الشرك (**شركٌ أصغرٌ وهو الريا فسره به ختام الأنبياء**) يشير الشيخ رحمه الله إلى ما جاء في الحديث عن النبي –صلى الله عليه وسلم- [إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء] ففسره النبي-صلى الله عليه وسلم- بالرياء والمراد بالرياء هنا ليس الرياء الخالص الذي ذكره الله – عز وجل- عن لمنافقين للذين يراؤون الناس وإنما المراد يسير الرياء مثل ما جاء في الحديث الآخر قال [يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل] فالشرك الأصغر يختلف عن الشرك الأكبر في الحكم والحد ، أما حد الشرك الأصغر فهو كل ما جاء في النصوص

بوصفه أنه شرك ولم يبلغ رتبة الشرك الأكبر هذا الضابط أنت الآن عرفت ضابط الشرك الأكبر فكل ما أطلق عليه شرك في النصوص ولا يبلغ رتبة الشرك الأكبر فهذا شركٌ أصغر مثل الألفاظ التي تأتي على الألسنة ومثل يسير الرياء ومثل الحلف بغير الله تبارك وتعالى ونحو ذلك من الأمور ، قال :

والثاني شرك أصغر وهو الريا فسره به ختام الأنبياء

صلى الله عليه وسلم

ومنه إقسامٌ بغير الباري كما أتى في محكم الأخبار

(**ومنه**) أي من الشرك الأصغر اقسامٌ بغير الباري أي بغير الله وقد جاء في الحديث عن النبي-عليه الصلاة والسلام- أنه قال [من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك وقال لا تحلفوا بآبائكم ولا أمهاتكم من كان حالفاً فليحلف بالله] فلا حلف بالكعبة ولا يحلف بالنبي-عليه الصلاة والسلام- ولا يحلف بالأولياء ولا يحلف بأي شيء لا يحلف إلا بالله من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله ، في بعض المناطق من صغرهم درجوا على الحلف بالنبي-عليه الصلاة والسلام- وكلما ما جاءت مناسبة وأمر عظيم وأراد أن يحلف قال والنبي ، يذكرون من الطرائف أن أحدهم لقي هؤلاء فحلف بالنبي فأخذ ينصحه يقول له اتق الله هذا حلف بغير الله ، النبي صلى الله عليه وسلم قال [من كان حالفاً فليحلف بالله] وقال [لا تحلفوا بآبائكم] وقال [من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك] وأخذ يبين له ولما انتهى من شدة اقتناعه بهذا البيان وهذا الإيضاح قال : والنبي ما عاد أحلف بالنبي .

الآن انتهينا من هذا الفصل وأمامنا فصل آخر يحتاج إلى شيء من الوقت ونكتفي بهذا القدر وإن شاء الله هذه المنظومة نكملها بإذن الله في منتصف الفصل الدراسي سيكون عندنا ثلاث جلسات في هذا المكان إن شاء الله وفي نهاية العام الدراسي إن شاء الله أيضاً يكون عندنا جلسة لمدة أسبوع وبهذه الفترة بإذن الله ننهي هذه المنظومة وأقترح أن في هذه الفترة تحفظ ، المائتين والسبعين بيت تحفظ في هذه الفترة بحيث لأنه لا تأتي الدورة القادمة إلا والجميع قد حفظوها وهي ما شاء الله سلسة وواضحة وما في مانع أن يكون وهذا جميل بين الإخوان والطلاب ما فيه مانع أن يكون هناك تواصل ، الله قال في القرآن { سنشد عضدك بأخيك } ما فيه مانع بأن الزملاء الذين بينهم صحبة يرتبون برنامج من الآن كل يوم نسمع بعض خمسة أبيات أو عشرة أبيات حسب قدرتهم ومن تأخر منهم يشجعونه وهذا طيب بين الإخوان وأحسن ما تشغل به مجالس الإخوان وطلاب العلم مثل هذه المعاني العظيمة والتعاون على البر والتقوى ، والحمد لله هذه ساعات طيبة

جلسناها سوياً الله جمعنا ويسر لنا ذلك نسأل الله أن يبارك لنا أجمعين وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن يهدينا سواء السبيل وأن يهدينا ويهدي بنا ويهدي لنا وييسر الهدى لنا وأن يصلح لنا جميعاً ديننا وعصمة أمرنا وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأن يصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا وأن يجعل الحياة زيادة لنا في كل خير والموت راحة لنا من كل شر وأسأل الله أن يثيب من يقوم على تنظيم هذه الدورة وغيرها من الدورات العلمية النافعة لطلاب العلم وما أخفيكم أنا دائماً أقول في حق من ينظمون هذه الدورات أن يغبطون والله على هذا الخير لأن مهمة المنظم تكون في الطلب لكن بعض المشايخ عندما يستجيب يتكلف مجيئاً من بلده ويتكلف استعداداً للدرس ومراجعة ومذاكرة إلى غير ذلك وهذا الذي دعاه ربما دعاه باتصال هاتفي واحد يكتب له لأن الدال على الخير كفاعله ، فنسأل الله أن يثيب من يقومون على تنظيم مثل هذه الدورات العلمية وأن يجزيهم خير الجزاء وأن يثيب الإخوة الحاضرين وغير الحاضرين طلاب العلم وأن ييسر لنا بمنه وكرمه الخير والتوفيق والسداد ، وجزاكم الله خيراً ونراكم على خير ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

الدرس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،،

قال الناظم – رحمه الله – :

فَصلٌ:

فِي بَيانِ أُمورٍ يَفعَلُها العَامَّةُ ؛ مِنْها ما هُوَ شِركٌ وَمِنهَا ما هُوَ قَريبٌ مِنْهُ .

وَبَيانِ حُكمِ الرُّقَى وَالتَّمائِمِ

وَمَـنْ يَثِـقْ بوَدْعَـةٍ أوْ نَـــابِ أوْ حَلْقَةٍ أوْ أعْيُنِ الذِّئَابِ
أوْ خيْط أوْ عُضْوٍ منَ النُّسُورِ أوْ وَتَـرٍ أو تـرْبَـةِ القُبُـورِ
لأيِّ أمْــرٍ كـائِـنٍ تَعَـلّـقَــهْ وَكَـلَــهُ الله إلى ما عَلَّقَــهْ

الشرح :

بسم الله الرحمن الرحيم ، إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك وأنعم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد :

فإن الناظم الشيخ حافظ الحكمي –رحمه الله تعالى– لما عقد فصلاً سبق أن مرّ معنا وهو يتعلق بتقسيم الشرك إلى قسمين : أكبر وأصغر وبين –رحمه الله– حد كل منهما وحكمه ووضح الفرق بينهما ومثل لكل منهما بأمثلة لما أنهى ذلك رحمه الله تعالى عقد هذا الفصل قال: « **فِي بَيانِ أُمورٍ يَفعَلُها العَامَّةُ ؛ مِنْها ما هُوَ شِركٌ وَمِنهَا ما هُوَ قَريبٌ مِنْهُ وَبَيانِ المَشْرُوع مِنْ الرُّقَى وَالمَمْنُوع وَهَلْ تَجُوزُ التَّمائِمِ** » فهذا الفصل خاص بأمور كثيرة تفعل ، يفعلها العوام والجهال « **مِنْها ما هُوَ شِركٌ** »؛ إما أكبر أو أصغر بحسب حال فاعله « **وَمِنهَا ما هُوَ قَريبٌ مِنْهُ**» ؛ أي : من الوسائل التي تفضي بالإنسان إلى الوقوع في الشرك بالله تبارك وتعالى ، وأيضاً سيتحدث في هذه الأبيات عن « **المَشْرُوع مِنْ الرُّقَى وَالمَمْنُوع** »؛ لأن الرقى كما قسمها النبي – عليه الصلاة والسلام– عندما سألوه عن الرقية فقال : « **اعرضوا عليّ رقاكم لا بأس بالرقية ما لكم تكن شركاً** » فالرقية منها ما هو مشروع

ومنها ما هو ممنوع وسيبن الناظم ذلك -رحمه الله تعالى -، وأيضاً الكلام عن التمائم وهو كل ما يعلق لطلب الشفاء أو الوقاية أو دفع الضر أو الوقاية من العين أو نحو ذلك من الأسباب التي يعلق الجهال التعاليق لأجلها قال: « **وَهَلْ تَجُوزُ التَّمَائِمِ** » ؛ التمائم هي نوع خاص من التعاليق وطرح المصنف -رحمه الله -لحكمها بهذه الصيغة صيغة السؤال :هل تجوز التمائم؟ لأن التميمة لا تخلو إما أن تكون من القرآن أو من غيره :

- فإذا كانت من غير القرآن فهي من التعاليق الباطلة مثل: الودعة والناب وغيره مما سيأتي عند الناظم -رحمه الله تعالى- .
- وأما إن كانت من القرآن الكريم فلأهل العلم في حكمها خلاف معروف والصحيح أنها لا تجوز لأسباب عديدة ذكرها أهل العلم منها:

أ- لئلا يمتهن كتاب الله تبارك وتعالى .

ب- ومنها عموم الأدلة التي جاءت بالمنع من التعليق والتمائم .

ت- ومنها أيضاً سد الذريعة وحماية حمى التوحيد .

ثم -رحمه الله- أخذ يسوق أبيات من النظم يوضح فيها هذا المعنى أو هذه الأمور التي تفعل ، قال :

وَمَنْ يَثِقْ بوَدْعَةٍ أوْ نَابِ أوْ حَلْقَةٍ أوْ أعْيُنِ الذِّئَابِ

أوْ خيْط أوْ عُضْوٍ منَ النُّسُورِ أوْ وَتَرٍ أو تَرْبَةِ القُبُورِ

لأيِّ أمْرٍ كائِنٍ تَعَلُّقَهْ وَكَلَهُ الله إلى ما عَلَّقَهْ

هنا ذكر أمثلة فقط ليس المقصود منها الحصر لأن هذا الباب الذي يفعله العوام لا حصر له وما يعلق أو يوضع في البيت أو في الدابة أو في المركوب أو على الصغار أو الأولاد ونحو ذلك عند العوام والجهال أمر لا حد له وهذه أمثلة مما يعلقه الناس في قديم الزمان وحديثه.

« **وَمَنْ يَثِقْ بوَدْعَةٍ** » ؛ قال في تعريفها : هو شيء أبيض يجلب من البحر يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم ،كانوا يعلقونه من أجل الحماية من العين والوقاية من الإصابة بها ، فالودعة شيء يجلب من البحر وهو معروف يسمى الصدف ويكون على جوانب البحر أبيض صغير يكون في داخله حيوان بحري ثم لما يبقى خارج البحر أوعلى ساحله ويجف عنه الماء يموت هذا الحيوان ويبقى هذا الذي يسمى الصدف فبعض العوام يجمعونه ويعلقونه على صبيانهم وعلى دوابهم لأجل الوقاية من العين والسلامة من الإصابة بها .

« **أَوْ نَابِ** » ؛ والناب معروف ويكون في السباع وخاصة يعتقد العوام والجهال في الذئب على وجه الخصوص وفي نابه على وجه الخصوص وكذلك غيره من السباع ويعتقدون أنها تطرد الشياطين وتقي من العين ومن الإصابة بها قال : « **أَوْ نَابِ** ».

« **أَوْ حَلْقَةٍ** » ؛ حلقة من حديد أو نحاس أو نحوه توضع على العضد أو في الساق إما لتخفيف الآلام كما كانوا يعتقدون أو الوقاية من الأسقام أو الأمراض وهذا كله من الأمور التي يفعلها أهل الجاهلية ويدخل في قوله : « **أَوْ حَلْقَةٍ** » ؛ المعدن النحاسي الذي يصرفه الآن بعض الأطبة لمعالجة بعض الآلام خاصة آلام الروماتزم ونحوه فيصرف له حلقة من نوع من المعادن يزعمون أنها تخفف الألم وهذه لا تختلف أبداً عن حال ما وجده النبي –صلى الله عليه وسلم– مع رجل وجد في عضده خيطاً قال : من ماذا ؟ قال : من الواهنة – وهي ألم يصيب العضد–، قال : « **انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً** » فهذه التعاليق أياً كانت حتى ولو أعطيت أسماء أو بوصفات طبية فالحكم هو الحكم وقد سئل عنها سماحة الشيخ ابن باز–رحمه الله– كذلك الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله– وغيرهم من أهل العلم فأفتوا أن الباب واحد وهي من التعاليق التي جاءت الشريعة بالنهي عنها والمنع من فعلها ،حتى لو قيل أن هذه الأمور أخضعت للتجارب أيضاً أولئك الذين نهاهم النبي – صلى الله عليه وسلم– يقولون إننا نستفيد منها وربما قالوا جربنا أو جرب فلان أوغيره فيبقى حكمها المنع لنهي النبي –صلى الله عليه وسلم– من هذه التعاليق التي تربط قلوب متعلقيها بها واعتقادهم بها واعتقادها سبباً للشفاء وربما انتقل الأمر إلى الاعتقاد بها مباشرة .

قال : « **أَوْ أَعْيُنِ الذِّئَابِ** »؛ والعوام يعتقدون في عين الذئب أنها تطرد الشياطين وتقي منهم ولهذا يتخذون التعاليق من أعين الذئاب والآن أيضاً من أعمال جهال الناس يضعون العين مرسومة على صفحة يد أو يضعون العين مرسومة على العقد الذي تلبسه النساء أو أيضاً في الخاتم الذي يوضع في اليد فتوضع فيه عين ترسم رسماً أو تنحت نحتاً على ما يعلق في العنق أو يوضع في خاتم اليد ويعتقدون أنها تقي من العين وربما علقها بعضهم أو وضعها بعضهم في سيارته صفحة يد فيها عين ويجعلها في مقدمة السيارة ويجعلها في مؤخرة السيارة وأيضاً تفنن بعضهم في صنع تلك اليد فأصبح لها قاعدة تلصق في المقدمة أو مؤخرة السيارة وتكون متحركة تصبح العين في صفحة يد متحركة بهذه الصفة وربما الحركة هذه تعني عندهم شيء كأنها تؤشر لكل ناظر إياك أن تصيب أو إياك أن يصلني منك أذى فهي تكون في المقدمة أو في المؤخرة للوقاية من العين كل هذا من عقائد أهل الجاهلية ، وأيضاً من الأشياء الموجودة وهي كثيرة الآن في بعض المناطق يضعون على

جوانب السيارات على وجه الخصوص حبال أو خيوط أو أقمشة لونها أسود يضعونها على جوانب السيارة أو يضعون حذاءً قديماً يضعه في مقدمتها أو مؤخرتها أو بعض التعاليق الأخرى يضعها للوقاية من العين كل ذلك من أعمال الجاهلية ولذا قلت إن الشيخ فقط يمثل وإلا هذه أمور ليس لها حصرٌ .

قال : « **أَوْ خيْط** » ؛ سواء كان من الصوف أو الحرير أو الكتان أو أياً كان ، سواء وضع في اليد أو في العنق سواء علق فيه صدف أو غيره أو وضع وحده فهذا كله أيضاً من أعمال الجاهلية ومن أعمال الجهال .

قال : « **أَوْ عُضْوٍ منَ النُّسُورِ** » ؛ النسر طائر معروف فأيضاً مما يتخذه الجهال من التعاليق أعضاء أو أجزاء معينة من النسور يعتقدون فيها النفع أو الدفع .

قال : « **أَوْ وَتَرٍ** » ؛ الوتر معروف يستفيدون منه في النبل ، ويستفيدون منه في آلات اللهو وذلك كله في جدته حال جدة الوتر يستخدمونه في النبل للضرب بالنبل ويستخدمونه في آلات اللهو للضرب عليه لتخرج الأصوات هذا في جدته ثم إذا بلي وتقادم استخدموه لهذا الغرض ؛ للوقاية من العين يعلقونه على أنفسهم أوعلى أطفالهم وهذا الاستعمال أو هذا التعليق إنما يكون ليس في جدته وإنما عندما يبلى فإذن الوتر عند أهل الجاهلية في جدته آلة لهوٍ وعندما يكون قديماً يكون واقياً من العين ، وعندما تتأمل هذا العمل ترى فيه غاية السفه شيءٌ في أول أمره وجدته كنت تستعمله في لهوك ولعبك ثم عندما بلي وتقادم أصبحت تستعمله واقياً لك من العين ، فهذا مما يبن لك سفه هؤلاء الجاهليين .

قال : « **أو ترْبَةِ القُبُورِ** » ؛ وهذا أيضاً من أعمال الجاهلية وعقائدهم الباطلة ولهذا إذا مروا بعض القبور المعظمة عندهم اصطحبوا منها بعض التربة وربما وضعوا هذه التربة للتعاليق في داخل التميمة يضع في داخل التميمة التي يعلقها شيء من هذه التربة أو يضع منها شيء عند وسادته أو أمامه أو في جانب من بيته ويزعم أنها تنفع أو تدفع .

يقول الشيخ : « **لأيِّ أمْرٍ كائِنٍ تَعَلّقَهْ** » ؛ أي تعلق هذه الأشياء سواء تعلقها لمرض أو دفع عين أو تعلقها لجلب نفع أو مصلحة أو تعلقها لتجارة أو ربح فيها أو تعلقها لطلب سعادته أو تعلقها لطلب حفظ ولد أو تعلقها من أجل قوة الصلة الزوجية أو غير ذلك « **لأيِّ أمْرٍ كائِنٍ تَعَلّقَهْ** » وهذا يفيد أن هؤلاء يتعلقون هذه الأشياء لأغراض كثيرة ولهذا قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في كتابه التوحيد : « بابٌ من الشرك لبس الحلقة والخيط لدفع البلاء أو رفعه » فهذا تمثيل فقط فهم يعلقونها إما للدفع أو للرفع ، تدفع بلاءً لم ينزل أو ترفع بلاء نزل ، فهي تستخدم عندهم لأغراض كثيرة جداً .

قال : « **لأيِّ أمْرٍ كائِنٍ تَعَلّقَهْ وَكَلَهُ الله إلى ما عَلَّقَهْ** » ؛ أي : أن من تعلق شيء من هذه المذكورات أو غيرها فإن حكمه أن الله تبارك وتعالى يكله إلى هذا الشيء ومن وكل إلى خيط أو ناب أو وتر أو نحو هذه الأشياء فإنما يكون وكل إلى ما فيه الخسران والحرمان في الدنيا والآخرة وجاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الباب أحاديث أورد جملة منها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في كتاب التوحيد في الباب الذي أشرت إليه ومنها قوله -عليه الصلاة والسلام- : « **من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له** » وأيضاً حديث عمران بن حصين أن النبي -صلى الله عليه وسلم- رأى رجلاً في يده حلقة من صفر فقال : ما هذا ؟ قال : من الواهنة ؟ قال : « **انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً** » ثم هذه الأشياء والتعاليق مثل الخيط ونحوه إذا كان من تعلقها معتقداً فيها أنها بذاتها نافعة دافعة فهذا شرك أكبر ناقل من ملة الإسلام وإذا كان يعتقد أن النافع الضار هو الله سبحانه وتعالى وأن هذه أسباب للشفاء من المرض ، إذا كان يعتقدها سبباً ويعلق الخيط في يده معتقداً أنه سبب من أسباب الشفاء فهذا من الشرك الأصغر ووسيلة مفضية بصاحبها إلى الشرك الأكبر وكم من إنسان تعلق هذه الأشياء على أنها سبب للشفاء ثم تحول فيه هذا الأمر إلى عقيدة أي إلى اعتقادٍ في هذا الذي تعلقه ولهذا لا يتمكن أو لا يستطيع أن ينزعه لأنه اعتقد فيه أنه نافعٌ أو دافع .

قال -رحمه الله- :

ثُـم الرُّقَى مـنْ حُمَـةٍ أوْ عَـيْنٍ فَإنْ تكُنْ مِنْ خَالِصِ الوَحْيَيْنِ
فَذَاكَ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ وشِرْعَتِهِ وَذَاكَ لاَ اخْتِـلافَ في سُنِّيَـتِـهِ

الشرح :

الرقية معروفة وهي القراءة والنفث؛ أن يقرأ الإنسان وينفث سواء على نفسه أو على مريضه ينفث نفثاً بريق يسير جداً ويقرأ ، فيقول الشيخ في حكم الرقية :

ثُـم الرُّقَى مـنْ حُمَـةٍ أوْ عَـيْنٍ فَإنْ تكُنْ مِنْ خَالِصِ الوَحْيَيْنِ

« **حُمَةٍ** » ؛ الحمة لدغة ذوات السموم مثل العقارب والحيات ونحوها وهي غير الحُمَّى ، الحُمَّى هي ارتفاع درجة الحرارة والسخونة التي تكون في الجسم أما الحُمَة فهي لدغة ذوات السموم من عقرب أو نحوه ، « **أوْ عَيْنٍ** » ؛ كما جاء في الحديث « **لا رقية إلا من عين أو حمة** » والعين معروفة ، فالرقية مفيدة فائدة عظيمة جداً في الحمة التي هي لدغة ذوات السموم وفي الباب قصة أبي سعيد الخدري عندما مروا بحي مع من كان معه

من الصحابة مروا بحي من أحياء العرب فلم يقروهم لم يضيفوهم ثم مضوا ولدغ سيد هؤلاء لدغته عقرب فطلبوا له دواء أو راقياً فسألوا هؤلاء قالوا هل معكم من دواء أو راقٍ فانطلق -رضي الله عنه- فأخذ يقرأ عليه فاتحة الكتاب وينفث فقام حتى كأنما نشط من عقال والحديث في صحيح البخاري.

فهي نافعة جداً في لدغة ذوات السموم ونافعة أيضاً في الإصابة بالعين وقوله في الحديث : « **لا رقية إلا من عين أو حمة** » ؛ أي : لا رقية أنفع وأجدى لا أن غير هذين الأمرين لا يرقى فيه ، إنما يرقى في عموم الأمراض والأسقام فالرقية فيها نافعة ومفيدة لكنها في هذين الأمرين الشأن فيهما أعظم .

« **فَإِنْ تكُنْ مِنْ خَالِصِ الوَحْيَيْنِ** » ؛ « **الوَحْيَيْنِ** » الكتاب والسنة فإن كانت من القرآن أو الدعوات المأثورة عن النبي -عليه الصلاة والسلام- « **فَذَاكَ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ وشِرْعَتِهِ** » أمر مشروع من هدي نبينا الكريم -عليه الصلاة والسلام - « **فَذَاكَ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ وشِرْعَتِهِ وَذَاكَ لاَ اخْتِلافَ في سُنِّيَّتِهِ** » ؛ يعني أنه لا خلاف بين أهل العلم أن هذا الأمر مسنون وأنه مشروع وأنه جائز وثبت فيه عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أحاديث متكاثرة.

قال الناظم – رحمه الله – :

أَمَّــا الرُّقَى المُجْهُـولَـةُ المُعـانِي فَذَاكَ وَسْوَاسٌ مِنَ الشَّيْطَانِ
وَفِـيـهِ قَـدْ جَـاءَ الحَـدِيثُ أَنَّـهُ شِرْكٌ بِلا مِـرْيَـةٍ فَاحْــذَرَنَّهْ
إِذْ كُــلُّ مَـنْ يَقولُـهُ لا يَــدْرِي لَعَـلـهُ يَكُـونُ مَحْـضَ الكُفْرِ
أَوْ هُو مِنْ سحْرِ الْيَهُودِ مُقْتَبَسْ عَـلَى العَـوامِ لبَّسُـوهُ فَالْتَبَسْ
فَـحــذراً ثـمَّ حَــــذَارِ مِـنْــهُ لا تَعْـرِف الحَـقَّ وَتَنْـأى عَنْهُ

الشرح :

ثم قال -رحمه الله- :

أَمَّــا الرُّقَى المُجْهُـولَـةُ المُعـانِي فَذَاكَ وَسْوَاسٌ مِنَ الشَّيْطَانِ

أي : الرقية إذا كانت ليست بالقرآن أو الدعوات المأثورة وكان أمر الراقي فيها يرقي بطلاسم أو كلمات غير مفهومة أو يتمتم بألفاظ لا يفهم لها معنى « **فَذَاكَ وَسْوَاسٌ مِنَ الشَّيْطَانِ** » .

« **وَفِيهِ قَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ أَنَّهُ شِرْكٌ** » ؛ جاء الحديث أن مثل هذا العمل شركٌ بالله ، ويشير هنا إلى الحديث الذي قال فيه النبي -عليه الصلاة والسلام- : « **إن الرقى والتمائم والتولة شرك** » وأيضاً قول النبي -عليه الصلاة والسلام- عندما سألوه عن الرقية قال : « **اعرضوا عليّ رقاكم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً** » .

« **وَفِيهِ قَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ أَنَّهُ شِرْكٌ بِلا مِرْيَةٍ** » ؛ أي:لا امتراء ولا شك ولا ريب فيه «**فَاحْذَرْنَّهْ**»؛ أي : ابتعد عنه وكن منه على حذر إذا كانت الرقية بطلاسم أو بتمتمة أو بأمور لا تفهم فهذه باطلة ومحرمة وهي من الشرك الذي نهى عنه النبي - عليه الصلاة والسلام- وحذر منه .

قال:

إِذْ كُلُّ مَنْ يَقولُهُ لا يَدْرِي لَعَلهُ يَكُونُ مَحْضَ الكُفْرِ

«**إِذْ كُلُّ مَنْ يَقولُهُ لا يَدْرِي**»؛ إذا كانت الأمور تمتمة وطلاسم وكلام لا يفهم معناه ويحفظه الجهال يتناقلونه واحد من الآخر وهذا معروف في انتشاره عند الجهال يقول بعضهم لبعض هذه نافعة ومفيدة ويتناقلونها ويحفظونها ويستعملونها وإذا قلت للواحد منهم اشرح لي معنى هذه الكلمة بين لي ما المراد هنا لا يدري وإنما حُفِّظَها واستقر عنده أنها نافعة وقد يكون في هذا الذي حفظه واعتقد أنه نافع قد يكون فيه شرك وكفر بالله وكلمات كفرية واستغاثة بالشياطين وتعلق بالضلال والباطل ولهذا يقول: «**إِذْ كُلُّ مَنْ يَقولُهُ لا يَدْرِي**»؛ يعني الطلاسم والكلام الغير مفهوم المعنى من يقوله لا يدري قد يكون فيه كفر بالله سبحانه وتعالى وسواء كانت هذه الطلاسم أوالكلمات غير المفهومة التي تحمل المعاني الباطلة سواء كانت للرقية أو للذكر الباب واحد ، وترى في أيدي بعض العوام والجهال والطرقية أصحاب الطرق الباطلة ترى في أيديهم أذكار يواظبون عليها في الصباح والمساء للحفظ وللوقاية وللسلامة وفيها ألفاظ شركية بينة ، أذكر مرة رأيت بيد رجل كتاب يقرؤه وفيه من الأشياء التي يذكر بها أو جعلها من جملة ذكره لله سبحانه وتعالى يقول : (انشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في بحار الوحدة) سمى التوحيد وحلاً وطلب من الله أن ينشله منه أي أن يخرجه منه وأن يغرقه في بحار الوحدة والوحدة عقيدة باطلة من العقائد الناقلة من ملة الإسلام ، فيطلب من الله أن ينشله من أوحال التوحيد وأن يغرقه في بحار الوحدة أي أن خلاصة الطلب أن يخرجه من التوحيد والدين الخالص وأن يدخله في الكفر البين والضلال الصراح ويرددها كل يوم ولما تناقشت معه فيها إذا به لا يستوعب إنما حفظها وقيل له هذا ذكر جيد ونافع ومفيد في الصباح والمساء تحافظ عليه ، فتجده ينشأ من صغره محافظ عليه أشد من حفاظه على القرآن الكريم وأيضاً باب الرقى نفس الأمر ، ولهذا كلمة الشيخ -رحمه الله- هذه

عظيمة جداً يقول :«**إِذْ كُلُّ مَنْ يَقولُهُ لا يَدْرِي لَعَلهُ يَكُونُ مَحْضَ الكُفْرِ**»؛ يعني لعل هذا الذي حفظه هذه السنين المتطاولة ويردده المرات الكثيرة لعله محض الكفر يعني الكفر الخالص البواح وهو لا يدري وإنما يحفظ شيئاً حفظّه وواظب عليه وهو لا يدري عما ينطوي عليه من الكفر والضلال والباطل ، وأيضاً يكون في بعض هذه الطلاسم والألفاظ والتمتمات يكون فيها أسماء شياطين ويتعلق بها هؤلاء اعتقاداً وطلباً ورجاء فهذه كلمة عظيمة جداً يقول : :«**إِذْ كُلُّ مَنْ يَقولُهُ لا يَدْرِي لَعَلهُ يَكُونُ مَحْضَ الكُفْرِ**» وأنا جربت مع بعضهم ، بعضهم عندما يسمع حديثاً نافعاً في الذكر أو الدعاء الصحيح ويبين له معانيه ودلالاته ويرتاح قلبه لذلك راحة تامة يأتي بعضهم يعرض ما عنده ، وهذا يمر علينا ، يقول أنا منذ كنت صغيراً وأنا أقرأ هذا تنصحني أواظب عليه أو لا ، يحفظه أو بعضهم يأتي به مكتوباً ومرّ عليّ حالات عديدة مثل هذا ، فجربت هذا الذي يقوله الشيخ أقف عند بعض الكلمات أقول له بين لي إيش المراد من هذا أنت الآن كم صار لك تحفظه ثلاثين سنة أربعين كل يوم تقرأه ما معنى هذه الكلمة ؟ وإذا به لا يستوعب معناها ثم يفاجئ إذا بينت له ما فيها من شرك أو بدعة أو احتمالات باطلة ، ولا يستطيع مع أنه صاحبها المواظب عليها أربعين أو ثلاثين سنة ما يستطيع أن يدافع عنها بعلم ، وإنما حفظ متناً أو كلاماً لا يدري ما هو وما حقيقته وواظب عليه سنوات طويلة ، فأنا لاحظت أن بعضهم إذا أكرمه الله سبحانه وتعالى وفهم الذكر المشروع واطمأن إليه وارتاح له فإنه بإذن الله سبحانه وتعالى يتخلى عن هذا الباطل ﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل** ﴾ ولهذا من المهمات العظيمة على طلبة العلم العناية بالذكر والأذكار المشروعة وفهمها وفهم معانيها ونشرها في العوام وتلقينها للجهال وتوضيح معانيها ودلالاتها حتى ينتشر فيهم نور الحق وضياءه فتتبدد ظلمات الباطل ﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً** ﴾ والحق له قوة لما تبين لهم الذكر المشروع وتشرح لهم وتوضح لهم معانيه الشياطين تذهب التي تتسلط عليهم تذهب وترتاح القلوب وتطمئن النفوس ويُقبل على الحق والخير وحينئذ تبين لهم ما في الأذكار التي يتعلقون بها من باطل وضلال .

قال : « **أَوْ هُو مِنْ سحْرِ الْيَهُودِ مُقْتَبَسْ** »؛واليهود أكثر الناس استعمالاً للسحر والسحر فاشٍ فيهم أكثر من غيرهم ومنتشر فيهم أكثر من غيرهم وهو في اليهود قديم ويتفنون في صنع السحر وأعمال السحر يتفنون في ذلك ، قال: « **أَوْ هُو مِنْ سحْرِ الْيَهُودِ مُقْتَبَسْ** »؛ مقتبس من السحر الذي عند اليهود « **عَلَى العَوامِ لبَّسُوهُ فَالْتَبَسْ** »؛يعني اقتبسوه من سحر اليهود ولبسوا على العوام فيه وأوهموهم أنه من الأمور النافعة المفيدة وربما قالوا لهم أنه لا يتنافى مع ما جاء في الشريعة .

قال:

فَحـــذراً ثـمَّ حَــــذَارِ مِـنْــهُ   لا تَعْـرِف الحُـقَّ وَتَنْـأى عَنْهُ

لما ذكر هذه الرقى الباطلة حذر منها هذا التحذير بهذا ونبه على أمر مهم وهو أن بعض الناس ربما يسمع الحق بدليله لكنه ينأى عنه ، فيقول لا تسمع الحق وتنأى عنه ، فبعض الناس والعياذ بالله يسمع الحق ولكنه ينأى عنه أي يبتعد عنه مع أن المطلوب أن ينأى الإنسان عن الباطل وأن يحذر من الباطل ، كما قال نبينا -عليه الصلاة والسلام-:« **من سمع بالدجال فلينأى عنه** » ، أي : يبتعد عنه وعن مكانه ، فالمطلوب الابتعاد عن الباطل والحذر من الباطل لكن بعض العوام والجهال قد يسمع الحق وينأى عنه لماذا ؟ لماذا يسمع الحق وينأى عنه ؟ هذا محل تأمل لك ويفيدك جداً في باب المعالجة لماذا الجاهل يسمع الحق وينأى عنه ، هناك أمور في الجهال تثور عند سماعهم للحق ، لأجلها ينأون عن الحق مثلاً يزاحمه في نفسه عندما يسمع الحق : كيف أتخلى عن دين الآباء والأجداد أو الاستنكاف من الرجوع عن الخطأ أو الإقرار بالخطأ فتصيبه عزة بالإثم والعياذ بالله أو أيضاً خوف ذهاب رئاسة أو مال ، وهذا حقيقة ، أو جاه ، وبعضهم لا يتخلى عن هذه الأباطيل مع اعتقاده بطلانها حتى أذكر أحد الدعاة يقول كنا مرة في طائرة وكان إلى جنبي رجل من كبار هؤلاء ، يقول: فحاولت أني آخذه في الحديث شيئاً فشيئاً ثم لما قربنا أن نصل قلت أنت لا تعرفني وأنا لا أعرفك وإذا افترقنا فإننا لن نلتقي ، لا أعرف من أنت ولا تعرف من أنا ، وكل منا له جهة أنا أريد أن أسألك سؤال وأجبني جواباً صادقاً هذه الأشياء التي تمارسها هل فعلاً تعتقد أنها الحق وأنها دين الله الذي رضيه عن عباده وطلبه منهم وأمرهم به هل تعتقد فعلاً كذلك ؟ أو أنها بخلاف ذلك ؟ قال : لا أعتقد أنها الحق ، يقول فقلت : طالما أنك تعتقد أنها ليست الحق فلماذا ؟ قال : إن تخليت عنها ذهب هذا التقديم والجاه والمكانة وتقبيل اليدين والرجلين والأعطيات والأموال كل هذه تذهب فيعرف أنه على باطل لكنه لا يريد أن يخسر الدنيا وتقبيل اليد والقدم ، لا يريد أن يخسر هذه ، وإذا قال أن الذي أقوله لكم هذا باطل وكله عقائد باطلة ولا تصدقوا شيء من ذلك كلهم ينفضون عنه ، لا يأتي ولا واحد يقبل يده ولا يعطونه من أعطياتهم ولا يطعمونه يفقد هذه الأشياء ونفسه ألفتها واعتادت عليها والعياذ بالله فيرضى بنفسه هذا التعظيم الباطل وأن يلقى الله سبحانه وتعالى به فيخسر والعياذ بالله الدنيا والآخرة فبعض الناس يسمع الحق وينأى عنه ، وأيضاً من أسباب النأي عن الحق الشحن في نفوس هؤلاء ضد الحق ، الشحن العجيب الذي في نفوس هؤلاء ضد الحق ن يشحنون ضد الحق وضد أهله وينفرون منه بالألقاب أو بنبز أوغير ذلك فينفرون من أهل الحق تنفيراً

فيسمع الحق وينأى عنه بسبب ذلك الشحن النفسي الذي شحن به على أهل الحق التحذير الذي حذره منهم ولهذا يسمع الآيات والأحاديث ويستوحش منها ما يقبلها ، وأظن لكم قلت لكم مرة قصة أحد الطلاب كان حضر درساً وذكرت لهم آيات وأحاديث كثيرة في الموضوع الذي كنت أتحدث عنه فخرج معي وقال لي أنا أريد أن أصارحك بشيء هو طالب – الكلام قبل ثمانية عشر سنة – قبل في الجامعة في السنة الأولى درسته ولما خرجت من الفصل خرج معي وفي الممر وقال أريد أن أخبرك بشيء يتعلق بي قال : لما قبلت في الجامعة اجتمع بي المشايخ في البلد وقالوا لي أن قبولك في الجامعة جيد لكن تحتاج إلى أمور تنتبه لها ثم بينوا له قالوا له إنك تذهب إلى هؤلاء الوهابية وأخذوا يذكرون أشياء عنهم وكذا ، وقالوا له أنت تأخذ منهم شيئين خذ منهم شيئين فقط ، خذ منهم الشهادة وخذ منهم الفلوس هذه لا بأس ، الشهادة والفلوس خذها لا بأس أما عقيدة ودين هذا كله انتبه ولا تأخذ شيء منهم أبداً ، لكن جيد اذهب للمدينة والمدينة مباركة وتعيش هناك خذ شهادة وخذ فلوس ، لكن العقيدة والعبادة اتركهل فيأتي منغرق يقول :قالوا لي – هنا موضع الشاهد– انتبه هؤلاء لهم علامة نبينها لك حتى ما يخدعوك وتنتبه وأنت عندهم قالوا : كل شيء يقولونه قال الله قال الرسول أي شيء يكلمك يأتي لك بآية أو حديث فانتبه أن يفتنوك عن دينك كل شيء يأتونك به مع آية أو حديث فيأتي إذا كان أخذت هذه الوصية من قلبه مأخذاً كبيراً يأتي وتقرأ عليه الآيات والأحاديث ، آية تلو آية وحديثاً تلو حديث وهو في قرارة نفسه يقول صدق مشايخنا جزاهم الله خيراً ويعرض عنك ولا يسمع عنك ولا يصغي إليك ﴿ **لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه** ﴾ ما يسمع لك ولا يقبل ويمضي ربما حتى ينتهي بسبب التحصين الذي أخذه في بلده .

فالنأي عن الباطل ، ولهذا الشيخ نصح رحمه الله قال : « **لا تَعْرِف الْحَقَّ وَتَنْأى عَنْهُ** » الحجة تقوم عليك إذا سمعت الحق وأعرضت أو نأيت عنه .

قال – رحمه الله – :

وفي التَّمَـائِـمِ الْمُعَـلَّقَـاتِ إن تَـكُ آيَـاتٍ مُبَيِّنَـاتِ
فَالاخْتِلاَفُ وَاقِعٌ بَيْنَ السَّلَفْ فَبَعْضُهُمْ أجَازَها والْبَعْضُ كَفْ
وإنْ تَكُـنْ مِمَّـا سوَى الوَحْيَيْنِ فـإنَّهَـا شِـرْكٌ بِغَـيْرِ مَـيْنِ
بَـلْ إنَّهَـا قَـسيْمَـةُ الأزْلاَمِ في الْبُعدِ عَن سِيمَا أُولي الإِسْلاَمِ

الشرح:

هنا الشيخ يجيب على السؤال الذي في العنوان السابق :«**وَهَلْ تَجُوزُ التَّمَائِمِ؟**» في السؤال السابق قال : :«**وَهَلْ تَجُوزُ التَّمَائِمِ؟**» هنا يأتي الجواب على ذلك السؤال ، ونلاحظ أن التمائم الشيخ فصلها عن الأشياء الأخرى التي يتعلقها الجهال مثل الخيط والناب والودع وأعين الذئاب إلى آخره فصل التمائم وجعلها على حده في الكلام عليها ؛ لأن التمائم لا تخلو من حالتين : إما أن تكون تميمة من تلك الأشياء السابقة فهذه حكمها حكم ما سبق أو تكون من القرآن فلهذا فصلها هنا التي من القرآن قال: « **وفِي التَّمَائِمِ الْمُعَلَّقَاتِ إن تَكُ آياتٍ مُبَيِّناتِ** »؛ إذا كانت هذه التمائم آيات من القرآن الكريم « **فَالاخْتِلاَفُ وَاقِعٌ بَيْنَ السَّلَفْ** » ؛يعني السلف اختلفوا فيها على قولين: « **فَبَعْضُهُمْ أَجَازَها** » هذا قول « **والْبَعْضُ كَفْ** »؛ أي : منع ذلك ، فالسلف في التميمة إن كانت من القرآن على قولين:

١. قول بالجواز أنها جائزة حكمها حكم الرقية سواء ،الرقية التي من القرآن فالتميمة التي من القرآن حكمها حكم الرقية .
٢. « **والْبَعْضُ كَفْ** » بعض السلف « **كَفْ** » ؛أي : قال بالمنع من التميمة وإن كانت من القرآن ، وهو الصحيح أن التميمة حتى وإن كانت من القرآن لا يجوز تعليقها لأسباب ذكرها أهل العلم :

أ- السبب الأول : عموم الأدلة بالمنع من التمائم بدون تفصيل « **إن الرقى والتمائم والتولة شرك** » فالأدلة جاءت بعموم المنع : « **من علق تميمة فلا أتم الله له** » والأحاديث في النهي عن تعليق التميمة كثيرة وليس فيها تفصيل بينما الرقية جاء فيها تفصيل : « **اعرضوا عليّ رقاكم** » أما التميمة فجاء المنع منها بدون تفصيل، هذا السبب الأول .

ب- السبب الثاني : سداً للذريعة وحماية لحمى التوحيد وصيانة لجنابه وهذه التعليقة إذا كانت من القرآن ستكون ذريعة لتعليق ما ليس من القرآن أو لتعليق قرآن ممزوج بالباطل وهذا حصل ورأينا بعضه ، يأتي مثلاً بآية الكرسي ويضع بينها رموز أو طلاسم وأيضاً بعضهم يضع بينها أسماء شياطين فيمزج القرآن بالشرك والتعلق بغير الله تبارك وتعالى أو برموز السحر والشعوذة يجعلها مع القرآن ولهذا تجد التميمة في بعض من يعلقون تميمة القرآن ليس قرآناً خالصاً ورأينا من ذلك الشيء الكثير فهذا ذريعة حتى وإن كانت من القرآن ذريعة والعامي يقول هذه آية الكرسي لكنه مزج معها شيئاً ليس من القرآن بل من الضلال والباطل بل ثبت أن بعض السحرة يكتب آيات من القرآن ويضع عليها أشياء والعياذ بالله من القذر

يتقرب إلى الشياطين بامتهان القرآن ليتم السحر وليتم تعاونهم معه في السحر ، فإذن الأمر الثاني سد الذريعة .

ت- والأمر الثالث لئلا يمتهن القرآن لئلا يعرض للامتهان عندما يعلق على صبي وغيره يدخل فيه الخلاء فهذا السبب الثالث للمنع .

ث- والأمر الرابع أن الشريعة جاءت بالرقية في هذا الباب لم تأتِ بالتمائم.

فالصواب المنع من تعليق التمائم حتى وإن كانت من القرآن الكريم .

قال :

وإنْ تَكُـنْ مِمَّـا سوَى الوَحْيَيْنِ فـإنَّهَـا شِـرْكٌ بِغَـيْرِ مَـيْنِ

الذي من الوحيين عرفنا الخلاف فيه والصواب المنع منه لكن : «**وإنْ تَكُنْ مِمَّا سوَى الوَحْيَيْنِ**»؛ يعني إن كانت التميمة «**مِمَّا سوَى الوَحْيَيْنِ فإنَّهَا شِرْكٌ بِغَيْرِ مَيْنِ** »؛ فهي من الشرك «**بِغَيْرِ مَيْنِ** »؛ بغير شك ولا ارتياب لأنها مثل الأمور السابقة مثل الودعة والخيط والناب إلى آخر ذلك .

بَـلْ إنَّهَـا قَـسيْـمَـةُ الأزْلاَمِ في الْبُعدِ عَن سِيَمَا أُولي الإِسْـلاَمِ

«**بَلْ إنَّهَا قَسيْمَةُ الأزْلاَمِ**»؛ أي: شبيهة ومثيلة للأزلام « **في الْبُعدِ عَن سِيَمَا أُولي الإِسْلاَمِ** »

والأزلام يقول الشيخ -رحمه الله -: « هي التي كانت يستصحبها أهل الجاهلية في جاهليتهم ويستقسمون بها إذا أرادوا أمراً وهي ثلاث قداح مكتوب في أحدها افعل والثاني لا تفعل والثالث غفلٌ -يعني لم يكتب فيه لا افعل ولا تفعل - فإن خرج بيده الذي فيه افعل مضى في أمره ، أو الذي فيه لا تفعل ترك ذلك أو الغفل أعاد الاستقسام بها مرة ثانية »، والله سبحانه وتعالى عوض أمة الإسلام بالاستخارة : «اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم» إذا أقدم على أمر استخار الله واستشار ذوي النصيحة وما ندم من استشار وما خاب من استخار .

والله تعالى أعلم

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الناظم – رحمه الله تعالى – :

فَصْلٌ :

مِن الشِّركِ فِعلُ مَن يَتَبَرَّكُ بِشَجَرٍ أَو حَجَرٍ أو بُقعَةٍ أو قَبْرٍ أو نَحوِها
يَتَّخَذُ ذَلكَ المْكانَ عيداً وَبَيانُ أَنَّ الزِّيارَةَ تَنقَسِمُ إِلَى : سُنِّيَّةٍ وَبِدعِيَّةٍ وَشِركِيَّةٍ

هَــذَا ومِنْ أَعْمَالِ أَهْـلِ الشِّرْكِ مِــنْ غَــيْرِ مَـا تَرَدُّدٍ أَوْ شَكِّ
مَا يَقْصُدُ الجُهَّالُ مِنْ تَعْظِيمِ مَا لَمْ يَــأْذَنِ الله بِــأَنْ يَـعَـظَّمَــا
كَمَنْ يَلُــذْ بِبقـعَـةٍ أَوْ حَـجَـرِ أَوْ قَبْرِ مَيْت أَوْ بِبَعْض الشَّجَرِ
مُـتَّخِــذَاً لِــذَلِـكَ المَكَــانِ عِيداً كَفِعْلِ عَابِـدِي الأَوْثَـانِ

الشرح :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ،

أما بعد :

قال الشيخ حافظ حكمي – رحمه الله – :

« **فَصْلٌ : مِن الشِّركِ فِعلُ مَن يَتَبَرَّكُ بِشَجَرٍ أَو حَجَرٍ أو بُقعَةٍ أو قَبْرٍ أو نَحوِها يَتَّخَذُ ذَلكَ المْكانَ عيداً وَبَيانُ أَنَّ الزِّيارَةَ تَنقَسِمُ إِلَى : سُنِّيَّةٍ وَبِدعِيَّةٍ وَشِركِيَّةٍ** »

هذا الفصل عقده رحمه الله لبيان هذا النوع من الشرك وهو التبرك بالأحجار أو القباب أو الأحجار أو الأعتاب أو غير ذلك مما يتخذه الناس مكاناً يتبركون به وهذا من الشرك بالله تبارك وتعالى لأن البركة من الله ولا تطلب إلا من الله بفعل ما شرع وأمر عباده تبارك وتعالى به أما الاعتقاد في الأحجار والقباب والأضرحة والتماس البركة من جهتها وطلب البركة من قبلها فهذا من الشرك بالله تبارك وتعالى ومن مضاهاة ومشابهة عباد الأصنام والمشركين الذين اتخذوا أشجاراً وأضرحة وغيرها يلجؤون إليها ويتبركون بها ويلتمسون منها حاجاتهم وطلباتهم فالشيخ –رحمه الله – عقد هذا الفصل لبيان ذلك والتحذير من هذا

النوع من الشرك قال: « **مِن الشِّركِ فِعلُ مَن يَتَبَرَّكُ بِشَجَرٍ أَو حَجَرٍ أو بُقعَةٍ أو قَبْرٍ أو نَحوِها** » ؛«**نَحوِها**» مثل المغارات والكهوف والعيون والقبور وغير ذلك مما يتبرك الضلال والجهال به ، قال : « **يَتَّخَذُ ذَلكَ المُكانَ عيداً** » ؛ أي : يرتب له أوقاتاً معينة يعتاد مجيئه فيها إما كل أسبوع أو كل يوم أو كل شهر أو كل سنة ونحو ذلك (عيد) من المعاودة وتكرار الزيارة في أوقات معينة وأزمنة معينة تدور بدوران السنة أو الشهر أو الأسبوع والنبي –صلى الله عليه وسلم – حذر من ذلك ودعا النبي –صلى الله عليه وسلم – قال : « **لا تجعلوا قبري عيداً** » نهى عن ذلك عليه الصلاة والسلام وحذر منه فاتخاذ قبر من القبور أو مكان من الأمكنة عيداً تعتاد زيارته أو يتكرر مجيئه على وجه التقرب ويحدد له أوقات معينة فهذا من الشرك الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وحذر منه قال يتخذ ذلك المكان عيدًا .

قال : « **وَبَيانُ أَنَّ الزِّيارَةَ تَنقَسِمُ إِلَى : سُنِّيَّةٍ وَبِدعِيَّةٍ وَشِركِيَّةٍ** » ؛ أي : تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

«**سُنِّيَّة**» ؛ أي : السبيل فيها سبيل السنة وهدى النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

والثانية : «**بِدعِيَّة**» ؛ أي : النهج الذي سلك فيها نهج مبتدع .

والثالثة : «**شِركِيَّة**» وهي قصد القبور لطلب الحاجات وإنزال الرغبات بها وسيأتي تفصيل هذه الأقسام الثلاثة عند الناظم رحمه الله تعالى .

قال – رحمه الله – :

هَـذَا ومِنْ أَعْمَالِ أَهْـلِ الشِّرْكِ مِـنْ غَـيْرِ مَـا تَرَدُّدٍ أَوْ شَكِّ
مَا يَقْصُدُ الجُهَّالُ مِنْ تَعْظِيمِ مَا لَمْ يَـأْذَنِ اللهُ بِـأَنْ يَـعَـظَّمَـا
كَمَنْ يَلُـذْ بِبقـعَـةٍ أَوْ حَـجَـرِ أَوْ قَبْرِ مَيْت أَوْ بِبَعْض الشَّجَرِ
مُـتَّخِـذَاً لِـذَلِـكَ المَكَـانِ عِيداً كَفِعْلِ عَابِـدِي الأَوْثَـانِ

فهذا من الشرك بالله تبارك وتعالى « **مِنْ غَيْرِ مَا تَرَدُّدٍ** » ؛ لا يتردد المسلم بالقطع والجزم بأنه من الشرك بالله قصد حجر أو شجر أو أي مكان من الأمكنة وتعظيم ذلك المكان قصده وتعظيمه والحال أن الله لم يأذن لعباده بذلك فيذهب إلى مكان إما قبر أو شجرة أو غير ذلك ويعظم ذلك المكان ويعكف عنده ويطلب البركة بهذا العكوف عند هذا المكان فهذا شرك بلا تردد بل يجزم به المسلم ولا يتردد والدلائل على أنه شرك كثيرة منها حديث أبي واقد الليثي الصحيح قال : «خرجنا مع رسول الله يوم حنين وكنا حدثاء عهد بجاهلية فمررنا بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط ينوطون -أي يعلقون بها أسلحتهم – يعكفون عندها

وينوطون بها أسلحتهم ، فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، قال : الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة لتتبعن سنن من كان قبلكم » ، فالشاهد أن قصد أي مكان من الأمكنة للعكوف عنده ولطلب البركة من قِبله فهذا من الشرك بالله سبحانه وتعالى لأن العكوف عبادة وطلب البركة هذه أيضاً لا تطلب إلا من الله بفعل ما شرع و أمر عباده به قال :

مَا يَقْصُدُ الجُهَّالُ مِنْ تَعْظِيمِ مَا لَمْ يَـأذَنِ الله بِـأنْ يَـعَـظَّمَـا

ثم ضرب أمثلة :

كَمَنْ يَلُـذْ بِبقـعَـةٍ أوْ حَـجَـرِ أوْ قَبْرِ مَيْت أوْ بِبَعْض الشَّجَرِ

مُـتَّخِـذَاً لِـذَلِـكَ المَـكَـانِ عِيداً كَفِعْلِ عَابِـدِي الأوْثَـانِ

«**مُتَّخِذَاً لِذَلِكَ المَكَانِ عِيداً** » ؛ أي : يعتاد مجيئه والعكوف عنده لطلب البركة «**كَفِعْلِ عَابِدِي الأوْثَانِ** »؛ أي :من يفعل هذا الفعل ففعله كفعل عابد الأوثان لأن عبدة الأوثان هذا هو صنيعهم يتخذون أمكنة عيداً ويطلبون البركة بالعكوف عندها وبقصدها فمن فعل مثل هذا الفعل ففعله كفعل عابد الاوثان .

قال – رحمه الله – :

ثُـمَّ الزِّيـارَةُ عَـلَى أقْسَـامٍ ثَـلاثَـةٍ يَـا أُمَّـةَ الإسْـلامِ

فإنْ نَوَى الزَّائِرُ فـيمَا أضمَـرَهُ فِي نَفْسِـهِ تَـذْكِـرَةً بالآخِرَهْ

ثُمَّ الدُّعَـا لَـهُ ولِلأَمْـوَاتِ بِالعَفْوِ والصفْحِ عَنِ الزَّلاَّتِ

وَلَمْ يَكُنْ شَدَّ الرِّحَالِ نَحْوَها وَلَمْ يقُـلْ هَجْراً كَقَوْلِ السُّفَهَا

فَـتِـلْكَ سُـنَّـةٌ أتَتْ صَرِيحَهْ فِي السُّـنَـنِ المُثْبَتَة الصَّحِيحَهْ

الشرح :

ثم قال الشيخ – رحمه الله– : « **ثُمَّ الزِّيارَةُ** » ؛ أي : زيارة القبور « **عَلَى أقْسَامٍ ثَلاثَةٍ يَا أُمَّةَ الإسْلامِ** » ؛ أي : انتبهوا فإن الأمر عظيم يجب على من يزور القبور أن يعرف أن زيارة القبور على أقسام ثلاثة أحدها مشروع

واثنان باطلان : أحدهما شرك والآخر بدعة ويجب على أمة الإسلام أن تعرف ذلك أن تعرف المقصد من زيارة القبور وأن تعرف الزيارة الشرعية المسنونة للقبور وأن تحذر مما سوى ذلك .

ثم بين ذلك بدأ بالزيارة المسنونة المشروعة المأذون بها في سنة النبي صلوات الله وسلامه عليه قال :

فإنْ نَوَى الزَّائِرُ فيمَا أضمَرَهُ في نَفْسِهِ تَذْكِرَةً بالآخِرَهْ

إذا نوى الزائر للقبور « **فيمَا أضمَرَهُ** » ؛ أي : فيما أكنه في نفسه وهذا فيه أن النية محلها القلب ولا يشرع لمن أراد أن يزور القبور أن يتلفظ بنية وإنما النية محلها القلب يذهب إلى القبر وفي قلبه و نيته أن يتذكر الآخرة ويدعو للمقبورين ولا يتلفظ بشيء من النية وهذا يبين لنا سفه بعض الجهال وغلطهم إضافة للأخطاء يقف عند باب المقبرة ويعلن النية لتلك الزيارة وفي الغالب الأعم أن النية المعلنة تتضمن باطلاً وقصداً لتلك القبور ولمقصد لا يشرع ولم يأذن الله تبارك وتعالى لعباده به فإذن أولاً يذهب إلى القبور وقد أضمر أن يذهب لتذكر الآخرة عملاً بقول النبي –صلى الله عليه وسلم – : « **كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة** » يذهب ليتذكر الآخرة عندما يمر بالقبور ويقف عندها وينظر إليها يتذكر أن من بداخل هذه القبور كانوا مثله على وجه هذه الأرض يطعمون مثله وكانوا مثله ممتعين بالصحة والعافية والأجسام الطيبة ولكن انتهت دنياهم وقبضت أرواحهم و ادرجوا بالقبور ﴿ **ثم أماته فأقبره** ﴾ فيتذكر أن ما صار إليه هؤلاء هو صائر إليه لا محالة و أنه سيدرج يوماً من الأيام في قبر من هذه القبور وحفرة من هذه الحفر و أذكر مما سمعته قريباً من أحد كبار السن من أهل المدينة يقول قبل سنوات دفنا رجل بعد العصر صلينا عليه العصر ودفناه في البقيع يقول وكنت مع صاحب لي ونحن نخرج من المقبرة فنظر إلى أحد القبور وإذا به القبر وسيع متسع فالتفت إلي صاحبي وقال ما شاء الله هذا القبر وسيع هنيئاً لمن سيكون في هذا القبر يقول فخرج من المقبرة ووصل إلى بيته و أحس بتعب وتوفي يقول صلينا المغرب عليه ووضعناه في نفس القبر الذي قال لي قبل قليل هذا القبر وسيع وهنيئاً لمن سيكون في هذا المكان يقول قال هذه الكلمات وما درى أنه هو الذي سيوضع فيه في الصلاة القادمة فإذا ذهب الإنسان للمقابر ونظر إلى القبور سيتذكر أنه يكون يوم من الأيام قد يكون قريب قد يكون بعد ساعات لا يغتر الإنسان بشباب ولا يغتر بصحة ، الموت إذا جاء لا يميز بين صغير وكبير بل كثيراً ما يأتي ملك الموت إلى البيت ويأخذ الصغير ويترك المسن وهذا معروف في بعض البيوت يكون في البيت رجل قارب المائة وأهل البيت كل يوم ينتظرون أنه ربما اليوم أو غداً يموت ثم يأخذ الموت أحد الصغار الذين في البيت فالموت لا يميز بين الصغير والكبير من جاءت منيته ودنا أجله قبضت روحه وفارق هذه

الحياة فيزور القبور ليتذكر قال : « **ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة** » ولهذا ينبغي للإنسان أن يستحضر هذا المعنى بعض الناس عندما يدخل القبور يدخل القبور ولا يزال يستصحب معه لهو الدنيا يمزح ويضحك ويتندر مستصحباً معه لهو الدنيا هذه العظة التي أمامه القوية لم تدخل قلبه ، بل لهو الدنيا مغطٍ قلبه مع أنه في وسط الموعظة وفي وسط الذكرى العظيمة ولهذا ينبغي على الزائر أن يكون في قلبه هذا المعنى تذكر الآخرة « **ألا فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة** » .

« **فإنْ نَوَى الزَّائِرُ فيمَا أضمَرَهُ في نَفْسِهِ تَذْكِرَةً بالآخِرَهْ** » ؛ أي:أن يتذكر الآخرة بهذه الزيارة ، فهذا أمر شرعه النبي – صلى الله عليه وسلم وأذن به صلوات الله وسلامه عليه .

ثُمَّ الدُّعَـــا لَـهُ ولِلأَمْـــوَاتِ بِالعَفْوِ والصفْحِ عَنِ الزَّلاَّتِ

وهذا أخذه من جواب النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة عندما سألوه ماذا نقول عند زيارة القبور قال تقولون : « **السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين أنتم السابقون ونحن إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية** » وهذا معنى قول الشيخ هنا :

ثُمَّ الدُّعَـــا لَـهُ ولِلأَمْـــوَاتِ بِالعَفْوِ والصفْحِ عَنِ الزَّلاَّتِ

فإذن تزار القبور لتذكر الآخرة وللدعاء للمقبورين وخاصة بهذه الدعوة العظيمة : العافية « نسأل الله لنا ولكم العافية » ومن أعطي العافية فقد أعطي الخير كله .

قال : « **وَلَمْ يَكُنْ شَدَّ الرِّحَالِ نَحْوَها** » ؛ أيضاً هذا شرط لابد منه في زيارة القبور ألا يشد الرحال بمعنى لا يسافر من بلد إلى آخر من أجل زيارة قبر ولهذا قال العلماء أن من أتى إلى المدينة ينبغي أن تكون النية في زيارته المدينة زيارة المسجد مسجد النبي –عليه الصلاة والسلام – لأنه قال : «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى** » فالزائر إذا تحرك من بلده إلى المدينة يجعل النية زيارة المسجد النبوي ثم إذا وصل المدينة وزار المسجد النبوي وصلى فيه ركعتين يشرع له أن يذهب لزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام والقبور التي في البقيع وقبور شهداء أحد لكن لا يجوز أن يتحرك من بلده و النية التي في قلبه هي زيارة القبور إنما يتحرك من بلده لزيارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وإذا وصل حصلت الزيارة لا مانع أن يذهب لزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام وقبري صاحبيه وقبور أهل البقيع وقبور الشهداء هذا كله مشروع وداخل في عموم قوله : « **ألا فزوروها** » فهنا ينبه الشيخ أن الزيارة لا تكون بشد رحل «**وَلَمْ يَكُنْ شَدَّ الرِّحَالِ نَحْوَها** ».

« **وَلَمْ يقُلْ هَجْراً كَقَوْلِ السُّفَهَا** »؛ الهُجر هو الباطل من القول كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي -عليه الصلاة والسلام -قال : « **زورا القبور ولا تقولوا هُجراً** » وأيضاً يحترز عند زيارته للقبور من أن يقول هجراً ويدخل في الهجر الذي نهى النبي عليه الصلاة والسلام كل باطل البدع والشرك والضلال والأصوات العالية كل ذلك من الهجر الذي نهى عنه نبينا عليه الصلاة والسلام قال : « **وَلَمْ يقُلْ هَجْراً كَقَوْلِ السُّفَهَا** ».

فَتِلْكَ سُنَّةٌ أَتَتْ صَرِيحَهْ في السُّنَنِ الْمُثْبَتَة الصَّحِيحَهْ

هذه الزيارة بهذه الضوابط هذه « **سُنَّةٌ** » جاءت مثبتة في الأحاديث الصحيحة عن النبي -صلى الله عليه وسلم - وساق المصنف رحمه الله تعالى شيئاً منها وسبق الإشارة لشيء منها .

قال – رحمه الله – :

أَوْ قَصَدَ الدُّعَاءَ وَالتَّوَسّلاَ بِهِمْ إلى الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَلاَ

فَبِدْعَةٌ مُحْدَثَةٌ ضَلاَلَه بَعِيْدَةٌ عَنْ هَدْيِ ذِي الرِّسَالَهْ

الشرح :

هنا يذكر الشيخ -رحمه الله- القسم الثاني من الزيارة وهي الزيارة البدعية ،قال : « **أَوْ قَصَدَ الدُّعَاءَ** » ؛ أي :قصد بزيارته القبور تحري الدعاء ، يقول أنا أذهب أزور القبور لأنها أمكنة مباركة وأمكنة طيبة وأتحرى الدعاءعندها لأن الدعاء مستجاب ، فهذا بدعة من البدع ومن المحدثات وهو ذريعة للشرك ، قال :

« **أَوْ قَصَدَ الدُّعَاءَ وَالتَّوَسّلاَ بِهِمْ** » ؛ أي : التوسل إلى الله تبارك وتعالى بجاهٍ أو مكانة أو ذوات أو منزلة وفضل ونحو ذلك فهذا من البدع ، يذهب إلى القبور لتحري الدعاء أو يذهب إلى القبور للتوسل بهم أي بالمقبورين « **وَالتَّوَسّلاَ بِهِمْ إلى الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَلاَ** ».

« **فَبِدْعَةٌ مُحْدَثَةٌ ضَلاَلَه** » ؛ أي : ماكان من هذا القبيل فهو « **بِدْعَةٌ مُحْدَثَةٌ ضَلاَلَه بَعِيْدَةٌ عَنْ هَدْيِ ذِي الرِّسَالَهْ** » ؛ أي : ما كان من زيارة من هذا القبيل فمحدث ومبتدع وصاحبه لا يؤجر بل يؤزر لقوله عليه الصلاة والسلام : « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** » ؛ أي: مردود على صاحبه غير مقبول منه ، هذا القسم الثاني .

قال – رحمه الله – :

وإنْ دَعــا الْمَقبُـورُ نَفْسَهُ فَقَدْ   أَشْرَكَ بِالله الْعَظِيْمِ وَجَحَدْ

لَـنْ يَقْبَـلَ الله تَعَـالى مِـنْـهُ   صَرْفاً وَلا عَدْلاً فَيَعْفُوا عَنْهُ

إذْ كُلُّ ذَنْبٍ مُوشكُ الغُفْرَانِ   إلاَّ اتِّخَــاذ النِّــدِّ للرحْمـنِ

الشرح :

ثم ذكر هنا القسم الثالث وهو الزيارة الشركية قال في بيانها :

وإنْ دَعــا الْمَقبُـورُ نَفْسَهُ فَقَدْ   أَشْرَكَ بِالله الْعَظِيْمِ وَجَحَدْ

هذه الزيارة الشركية « **إنْ دَعا الْمَقبُورُ نَفْسَهُ** » ؛ يعني إن دعا الزائرُ المقبورَ نفسه لا الله ، يأتي عند القبر ويدعو « **الْمَقبُورُ نَفْسَهُ** » ؛ أي: يطلب من المقبور ، يقول مخاطباً المقبور مدد و الحقني أو أعطني أو نجني من كذا ، أو اشفِ مريضي أو نجني من ظلم أو غير ذلك ، « **إنْ دَعا الْمَقبُورُ نَفْسَهُ فَقَدْ أَشْرَكَ بِالله الْعَظِيْمِ** » ؛ أي : بهذا العمل قد « **أَشْرَكَ بِالله الْعَظِيْمِ** »؛ لأنه اتخذ نداً مع الله وشريكاً مع الله فالدعاء عبادة لا يلتجأ فيها إلا إلى الله وتعالى ، قال لله عز وجل : ﴿**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ فدعاء المقبورين وإنزال الحاجات إليهم وإنزال الطلبات والرغبات بهم شرك بالله العظيم قال : «**فَقَدْ أَشْرَكَ بِالله الْعَظِيْمِ وَجَحَدْ** » ؛ أي : جحد هذ الحق الذي هو حق خالص لله وجحد هذا الأمر العظيم المبين غاية البيان في كتاب الله وسنة نبيه –عليه الصلاة والسلام –، ثم بين حال ومآل من يفعل هذه الأمور ويمارسها قال :

لَـنْ يَقْبَـلَ الله تَعَـالى مِـنْـهُ   صَرْفاً وَلا عَدْلاً فَيَعْفُوا عَنْهُ

من كانت هذه حاله لا يقبل الله منه « **صَرْفاً وَلا عَدْلاً** »؛ قيل في معناها : لا يقبل الله منه فريضة ولا نفلاً ، وهذا فيه أن الشرك مبطل للأعمال كلها الفرائض منها والنوافل ، قال تعالى : ﴿ **ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين** ﴾ .

قال : « **إذْ** »؛ وإذ هنا تعليلية « **إذْ كُلُّ ذَنْبٍ مُوشكُ الغُفْرَانِ** » ؛أي : قريب من الغفران «**مُوشكُ الغُفْرَانِ** » ؛ أي : قريب من الغفران يرجى لصاحبه الغفران « **إلاَّ اتِّخَاذ النِّدِّ للرحْمنِ**» اتخاذ الشريك مع الله هذا ذنب لا يغفر من مات ولقي الله سبحانه وتعالى به فلا مطمع له البتة في مغفرة الله لأن الله قال : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ ؛ أي :كل ذنب دون الشرك موشك الغفران أما من مات ولقي الله

مشركاً فهذا لا مطمع له البتة في مغفرة الله سبحانه وتعالى ، وهذا فيه أن الشرك أعظم جرم وأكبر ذنب كما قال تعالى : ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾.

قال – رحمه الله – :

فَصْلٌ

فِي بَيانِ مَا وَقَعَ فِيهِ العَامَّةُ اليَومَ مَا يَفعَلونَهُ عِندَ القُبورِ

وَما يَرتَكِبونَهُ مِن الشِّركِ الصَّريحِ والغُلُوّ المُفرِطِ فِي الأَمواتِ

ومَنْ عَلَى القَبْرِ سِراجاً أوقَدَا أوِ ابْتَنى عَلَى الضَّرِيحِ مَسْجِداً

فـإنّـه مُجَـدِّدٌ جِـهَـارا لِسُنَـنِ الْيَهُـودِ والنصَـارَى

الشرح:

ثم عقد رحمه الله تعالى هذا الفصل قال : « **فَصْلٌ فِي بَيانِ مَا وَقَعَ فِيهِ العَامَّةُ اليَومَ مَا يَفعَلونَهُ عِندَ القُبورِ وَما يَرتَكِبونَهُ مِن الشِّركِ الصَّريحِ والغُلُوّ المُفرِطِ فِي الأَمواتِ** » هذا الفصل فصل عظيم النفع عقده –رحمه الله – ليبين ممارسات تفعل عند القبور يفعلها العامة وغالب العامة يفعلونها بسبب تزيين دعاة الباطل لهم ، زينوا لهم –دعاة الباطل– هذه الأمور فأقبل عليها العامة زرافات ووحداناً والشيخ –رحمه الله– من باب النصيحة عقد هذا الفصل ليحذر من أنواع من الممارسات يفعلها العامة عند القبور منها ما هو شرك صراح بيّن ومنها ما هو غلو مفرط أي زائد يقول :

ومَنْ عَلَى القَبْرِ سِراجاً أوقَدَا أوِ ابْتَنى عَلَى الضَّرِيحِ مَسْجِداً

فـإنّـه مُجَـدِّدٌ جِـهَـارا لِسُنَـنِ الْيَهُـودِ والنصَـارَى

هذه من الأشياء التي تفعل « **ومَنْ عَلَى القَبْرِ سِراجاً أوقَدَا** » ؛أي : من أوقد على القبر «**سِراجاً** » ؛ والسراج هو الشعلة التي تضيء المكان وتضفي عليه شيء من الجمال والحسن فيأتي إلى الضريح ويضع في الضريح أنوار تكسو المكان نوراً وضياء بحيث تشد الناظر وتلفت انتباهه « **أوِ ابْتَنى عَلَى الضَّرِيحِ** » ؛ أي : القبر « **مَسْجِداً** » ؛ أي : بناءً ، فمن فعل ذلك فقد ضاهى النصارى لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » فإذاً من بنى على القبر بناءً فإنه ضاهى اليهود والنصارى في هذا العمل واتخاذ القبر مسجداً الذي كان يفعله اليهود والنصارى يكون بأمرين :

- بالبناء أن يبني على القبر مسجداً أي يبني بناء ليكون مكان عبادة فهو بهذا الصنيع اتخذه مسجداً .

- أو وهذا النوع الثاني يقصد المكان عبادةً يقصد القبر حتى لو لم يبنِ مسجداً لكن يقصد القبر للعكوف عنده فهو بهذا الصنيع اتخذه مسجداً .

اتخاذ القبور مساجد يكون بأمرين ، يكون بالبناء على القبر بأن يبني عليه مسجداً ويكون بقصد القبر للعبادة ولو لم يبنِ عليه مسجداً فإنه بذلك يكون اتخذه مسجداً .

« **فإنّه مُجَدِّدٌ جِهَارا** »؛ أي: قد جدد علانية « **لِسُنَنِ الْيَهُودِ والنصَارَى** » ؛ لأن هذه سنن اليهود والنبي -صلى الله عليه وسلم -قال :« **لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً ذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه** » واليهود والنصارى كانوا يفعلون ذلك عند القبور يتخذونها مساجد للبناء عليها ويتخذونها مساجد بقصدها للعبادة فمن فعل مثل فعلهم فهو مجدد لدين اليهود والنصارى ، ومن تلبيسات أئمة الضلال ودعاة الباطل على العوام الاستدلال على هذا الصنيع الباطل بقوله تعالى : ﴿ **قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً** ﴾ فيستدلون بهذا الأمر ويعطلون حديثاً قاله النبي -صلى الله عليه وسلم - قبل أن يموت بلحظات قال : « **لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » فيستدلون بهذه الآية واستدلالهم بها هو استدلال بما لا دلالة فيه لأن الله سبحانه وتعالى ذكر في هذه الآية حال أهل الغلبة ولو قرأت سياق الآيات التي قبل هذه الآية لوجدت أن الحديث عن كفار ليس عن مسلمين فكيف يستدلون بصنيعهم ؟!

صنيعهم هذا داخل في اللعن الذي ثبت في حديث النبي عليه الصلاة والسلام فصنيع هؤلاء الذين قالوا لنتخذن عليهم مسجداً داخل في اللعن الذي صح عن نبينا -عليه الصلاة والسلام -في قوله : « **لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجداً** » فهذا فعل أهل الغلبة من أهل الكفر فكيف يستدل هؤلاء بهذا الاستدلال ويتركون الأمر المحكم البين الذي سمعه الصحابة -رضي الله عنهم- من النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل وفاته بلحظات قال « **لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجداً** » يحذر مما صنعوا .

قال – رحمه الله – :

كَمْ حَذَّرَ الْمُخْتَارُ عَنْ ذَا وَلَعَنْ فَاعِلَهُ كَمَا رَوَى أَهْلُ السُّنَنْ
بلْ قَـدْ نَهَى عَن ارْتِفَـاعِ الْقَبْرِ وَأَنْ يُزَادَ فِيــهِ فَــوْقَ الشِّبْرِ
وَكـلُّ قَبْرٍ مُشـرِفٍ فَقَـدْ أَمَـرْ بِأَنْ يُسَوَّى هَكَذَا صَحَّ الْخَبَرْ

الشرح :

ثم قال –رحمه الله– : « **كَمْ حَذَّرَ الْمُخْتَارُ عَنْ ذَا وَلَعَنْ** »؛ يعني اتخاذ القبور مساجد « **كَمْ**» خبرية يؤتى بها للتكثير مثل قوله : ﴿ وكم من ملك ﴾« **كَمْ حَذَّرَ الْمُخْتَارُ** »؛ أي : نبينا –عليه الصلاة والسلام – « **عَنْ ذَا** »؛ أي عن هذا الصنيع « **وَلَعَنْ** »؛ كما جاء في الحديث « **لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** ».

« **وَلَعَنْ فَاعِلهُ كَمَا رَوَى أَهْلُ السُّنَنْ** » ؛ فهذا ثابت عن النبي –صلى الله عليه وسلم – في أحاديث كثيرة .

بلْ قَـدْ نَهَى عَن ارْتِفَـاعِ الْقَبْرِ وَأَنْ يُزَادَ فِيــهِ فَــوْقَ الشِّبْر

« **نَهَى عَن ارْتِفَاعِ الْقَبْرِ** »؛ نهى أن يرفع القبر بأن « **يُزَادَ فِيهِ فَوْقَ الشِّبْر** » والأصل في القبر هو أن تخرج التربة من الأرض ويدخل الميت ويعاد إليها تربتها فتصبح الزيادة تقريباً بقدر إنسان لأن المكان الذي أخذ منه التراب وأصبح زائداً على الحفرة التي دفن فيها الميت هو هذا قدر شبر لا يجلب تراب آخر ويرفع وإنما يعاد في القبر تربة القبر التي أخرجت منه فيكون بقدر شبر لا يرفع عن ذلك وهذا جاء في أحاديث مثل حديث أبي الهياج الأسدي قال قال لي علي بن أبي طالب : « ألا أبعثك بما بعثني به رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته ولا تمثالاً أو صورة إلا طمستها » فلا يجوز أن يزاد في القبر أو أن يرفع قال :

بلْ قَـدْ نَهَى عَن ارْتِفَـاعِ الْقَبْرِ وَأَنْ يُزَادَ فِيــهِ فَــوْقَ الشِّبْر

وَكـلُّ قَبْرٍ مُشـرِفٍ فَقَـدْ أَمَـرْ بِأَنْ يُسَوَّى هَكَذَا صَحَّ الْخَبَرْ

« **وَكلُّ قَبْرٍ مُشرِفٍ** » ؛ أي : مرتفع « **فَقَدْ أَمَرْ** » ؛ أي : النبي –صلى الله عليه وسلم– « **بِأَنْ يُسَوَّى** » ؛ وهذا صح به الخبر في حديث علي المتقدم قال لأبي الهياج :« ألا أبعثك بما بعثني به رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته ولا صورة إلا طمستها » « **بِأَنْ يُسَوَّى هَكَذَا صَحَّ الْخَبَرْ** » .

قال – رحمه الله – :

وحذْرَ الأُمَّةَ عَنْ إطْرَائِـهِ فَغَرَّهُمْ إبْلِيسُ باسْتِجْرائِهِ

فَخَالَفوهُ جَهْرَةً وارْتَكَبُوا ما قدْ نَهَى عَنْهُ ولَمْ يَجْتَنِبُوا

الشرح :

« **وحذْرَ** »؛ أي :نبينا – عليه الصلاة والسلام – « **الأُمَّةَ عَنْ إطْرَائِـهِ** » وذلك في قوله – عليه الصلاة والسلام – : « **لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله** » ، ولما قال قائل

بين يدي رسول الله- صلى الله عليه وسلم -: أنت سيدنا وابن سيدنا قال : « **قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان** » ، وجاء عنه أنه قال -عليه الصلاة والسلام - : « **ما أحب أن تنزلوني فوق منزلتي التي أنزلني الله إياها** » ، فنهى - عليه الصلاة والسلام- « **عَنْ إِطْرَائِهِ** » ؛ الإطراء هو الزيادة في المدح والمغالاة في المدح فنهى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن إطرائه « **فَغَرَّهُمْ إِبْلِيسُ** » خدعهم وغرهم إبليس « **باسْتِجْرائِهِ** » ؛ استدرجهم واحتال عليهم حتى أوقعهم فيما نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الأمة منه وصح عنه -عليه الصلاة والسلام -أنه قال كما في حديث أنس وحديث عبدالله بن الشخير قال : « **لا يستجرينكم الشيطان** » ، عندما أطروه عليه الصلاة والسلام قال : « **لا يستجرينكم الشيطان** » ولهذا قال الشيخ رحمه الله هنا :

وحذْرَ الأُمَّةَ عَنْ إطْرَائِـهِ فَغَرَّهُمْ إبْلِيسُ باسْتِجْرائِهِ

فإبليس تدرج بهؤلاء واحتال عليهم شيئاً فشيئاً حتى جعلهم يطرون النبي -صلى الله عليه وسلم - ويمدحونه حتى آل الأمر ببعضهم أن مدحوه بما لا يمدح به إلا الله سبحانه وتعالى وأذكر أنني مرة في إحدى الدول زرت معهداً دينياً وأهدوا لي مجلة للمعهد وأخذت أقلب صفحاتها فإذا في المجلة قصيدة عنوانها محمد صلى الله عليه وسلم مدح له ، بدأها ناظم تلك القصيدة بقوله:

هو الأول والآخر محمد هو الظاهر والباطن محمد

هذه القصيدة الأولى ، فيمدحونه عليه الصلاة والسلام بما لايمدح به إلا الله قال الله تعالى في أوائل الحديد : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** ﴾ وكان -عليه الصلاة والسلام - إذا أوى إلى فراشه قال : « **اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر** » فهؤلاء استجراهم الشيطان ومكر بهم إلى أن مدحوا النبي عليه الصلاة والسلام بما لا يمدح به إلا الله سبحانه وتعالى .

ولك أن تلاحظ ملاحظة مفيدة في حديث عبدالله بن الشخير قال : لما أتينا إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقالوا : « أنت سيدنا وابن سيدنا » قال : « إنما السيد الله » ، قالوا : أنت أفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً ، قال – عليه الصلاة والسلام- : « **قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان** » ،نهاهم – عليه الصلاة والسلام – عن المدح والمواجهة بالمدح وقال : « **لا يستجرينكم الشيطان** » مع أن الكلام الذي قالوه

حق هو سيد ولد آدم – عليه الصلاة والسلام – وأفضلهم فضلاً – عليه الصلاة والسلام – ما قالوا إلا حقاً ومع ذلك نهاهم فما بالكم فيمن يمدح بالباطل ويمدحه بما لا يمدح به إلا الله سبحانه وتعالى ، قال :

فَخَالَفوهُ جَهْرَةً وارْتَكَبُوا ما قدْ نَهَى عَنْهُ ولَمْ يَجْتَنِبُوا

« **خَالَفوهُ جَهْرَةً** » ؛ أي: علانية ، « **وارْتَكَبُوا ما قدْ نَهَى عَنْهُ** » ؛ أخذوا يطرون النبي – عليه الصلاة والسلام – ويغالون في مدحه وأصبحوا في مغالاتهم في مدحه يضفون عليه من الخصائص والصفات ما ليس إلا لله مثل قول صاحب البردة في مدحه للنبي – صلى الله عليه وسلم – :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عنـــد حلــول الحــادث العـمم

و إن مـن جـودك الدنيـــا وضرتهــا وإن من علومك علم اللوح والقلم

هذه كلها خصائص لله (ما لي من ألوذ به سواك) من الذي يلاذ به ؟ قال : (إن من علومك علم اللوح) علم اللوح والقلم خاص بمن ؟ (وإن من جودك الدنيا وضرتها) الدنيا والآخرة جود من؟ هذه كلها خصائص الله جل و علا ، ولو كان القائل قال :

يا خالق الخلق –ينادي رب العالمين – ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وإن من جودك الدنيا وضرتها وإن من علومك علم اللوح والقلم

لكان الكلام توحيداً خالصاً ، فإذا قال بدل ذلك : (يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك) يصبح الكلام شركاً لأنه أعطى خصائص الرب للنبي – صلى الله عليه وسلم – .

قال – رحمه الله –:

فَانْظُرْ إليْهِمْ قَدْ غَلوْا وَزَادُوا وَرَفَعُوا بنَاءَهَا وَشَادُوا

بالشِّيدِ والآجُرِّ وَالأحْجَارِ لا سيَّمَا في هَذِه الأعْصَارِ

الشرح :

يقول : « **فَانْظُرْ إليْهِمْ** » ؛ يعني إلى هؤلاء المبتلين بتعظيم القبور وعبادة القبور انظر إلى صنيعهم عندها « **قَدْ غَلوْا** » في المقبورين « **وَزَادُوا** » في المغالاة بالخروج عن حد الشريعة وهدي النبي الكريم – عليه الصلاة والسلام – « **وَرَفَعُوا بنَاءَهَا وَشَادُوا** » ،« **وَرَفَعُوا بنَاءَهَا**»؛ أي : القبور « **وَشَادُوا** » الأبنية العالية المرتفعة ، والقباب الضخمة المزينة المجملة المزخرفة حتى إن بعضها يوضع فيها الذهب الخالص مما يشد قلوب العوام والجهال ويأخذ قلوبهم هيبة وتعظيم لتلك القبور المزخرفة المنمقة فإذا وصلوا إليها وقد زيّنت و أسرجت

وجملت ونمقت وزخرفت تأخذ قلوب العوام هيبة وتعظيم فيترتب على ذلك انكسار وذل والتجاء وخضوع لهؤلاء المقبورين وهذا ما أراده الشيطان بدفعه لهؤلاء لأن يزينوا القبور ويزخرفوها ويبنوا عليها الأبنية .

قال : « **وَشَادُوا بالشِّيدِ** » ؛ « **الشِّيدِ** » هو الجص ، قال : « **والآجُرِّ** » ؛ وهو اللبن المحرق من الطين ، قال : « **وَالأَحْجَارِ** » ؛ أي : المزخرفة المجملة « **لا سيَّمَا** » ؛ أي : خاصة « **في هَذِه الأعْصَار** » يعني في هذه الأزمنة المتأخرة فشت هذه الأمور وكثرت في الناس .

قال – رحمه الله – :

وَلِلْقَنَادِيلِ عَلَيْهَا أَوْقَدُوا وَكَمْ لِوَاءٍ فَوْقَهَا قَدْ عَقَدُوا
وَنَصَبُوا الأَعْلاَمَ وَالرَّايَات وَافْتَتَنُوا بِالأَعْظمِ الرُّفَاتِ
بَلْ نَحَروا في سُوحِهَا النَّحَائِرْ فِعْلَ أُولِي التَّسْيِيبِ والْبَحَائِرِ
والْتَمَسُوا الْحَاجَاتِ مِنْ مَوْتَاهُم وَاتَّخَذُوا إلَهَهُمْ هَوَاهُمْ

الشرح :

ثم قال ماضياً في بيان حال هؤلاء قال : « **وَلِلْقَنَادِيلِ عَلَيْهَا أَوْقَدُوا** » القناديل أي التي يضاء فيها المكان سواء كانت بالسرج أو الشموع أو نحو ذلك ، « **وَكَمْ لِوَاءٍ فَوْقَهَا قَدْ عَقَدُوا** » ؛ أي : الألوية التي يعقدونها على القبور من الأعلام ونحوها وأيضاً الحبال والخيوط التي تعقد على القبور « **وَنَصَبُوا الأَعْلاَمَ وَالرَّايَات** » ؛ أي: على القبور وكثيراً ما يفعلون ذلك في مواسم أعيادهم الباطلة يتبارون في وضع الأعلام حتى يزيد توافد الجهال وتقاطرهم على تلك الأمكنة « **وَنَصَبُوا الأَعْلاَمَ وَالرَّايَات وَافْتَتَنُوا بِالأَعْظمِ الرُّفَاتِ** » ؛ افتتن هؤلاء « **بِالأَعْظمِ الرُّفَاتِ** » ؛ أي : بأعظم الموتى ، افتتنوا بعظام الموتى ، لأن القبر ماذا فيه ؟ هذا الذي يعظمونه ماذا فيه ؟ فيه عظام ورفات ، عظام الميت ورفاته إن بقيت العظام فيعظمون هذا المقبور ويزينون المكان ويبنون عليه هذه الأبنية مما لم يأذن الله تبارك وتعالى لعباده به فكان ذلك وسيلة إلى الشرك وذريعة له ولهذا قال : « **بَلْ نَحَروا في سُوحِهَا النَّحَائِرْ** » ؛ أي : ذبحوا الذبائح في سوح المقابر تقرباً لها « **فِعْلَ أُولِي التَّسْيِيبِ والْبَحَائِرِ** » ؛ « **فِعْلَ أُولِي التَّسْيِيبِ**» ؛ **أي** :المشركين الذين يسيبون السوائب ويخصونها للأصنام ويتقربون للأصنام بها ففعل هؤلاء مثل فعل أولئك المشركين .

« **وَالْتَمَسُوا الْحَاجَاتِ مِنْ مَوْتَاهُم** » ؛ يعني التمسوا حاجاتهم من شفاء أو صحة أو غنى أو عافية أو غير ذلك من موتاهم الذين لايملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا حياة ولا موتاً ولا نشوراً .

« **وَاتَّخَذُوا إِلَهَهُمْ هَوَاهُمْ** » ؛أي جعلو الحاكم في هذه الأمور والمتبع في هذه الأمور الهوى ﴿**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه**﴾ .

قال – رحمه الله – :

قَدْ صَادَهُمْ إِبْلِيسُ فِي فِخَاخَه بَلْ بَعْضُهُمْ قَدْ صَارَ مِنْ أَفْرَاخِه

يَدْعــو إِلى عِبَــادَةِ الأَوْثَــانِ بِالْمَــالِ والنَّـفْـسِ وبِاللِّسَــانِ

الشرح :

ثم قال – لما بيّن حال هؤلاء البئيسة – قال : « **قَدْ صَادَهُمْ إِبْلِيسُ فِي فِخَاخَه** » ؛ يعني هؤلاء وقعوا في مصائد إبليس ، وإبليس له مصائد يصطاد بها الناس ليصرفهم عن دين الله تبارك وتعالى وهذا شرع لنا أن نقول في الدعاء في الصباح والمساء وعند النوم « **اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشِرْكِهِ** » وفي رواية : « **وشَرَكِهِ** » والشَّرَك هو المصيدة ، والشيطان له مصايد ، واقرأ في ذلك واستفد كتاب « إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان » لابن القيم واقرأ بخاصة كلامه عن هذا الموضوع كيف اصطاد الشيطان هؤلاء الذين تعلقوا بالقبور بمثل هذه الأشياء وأطال – رحمه الله– إطالة نافعة ومفيدة جداً في كتابه : « إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان » .

قال : « **قَدْ صَادَهُمْ إِبْلِيسُ فِي فِخَاخَه** » ؛ الفخ هو المصيدة ، ويقال لها أيضاً : الحبالة ، « **بَلْ بَعْضُهُمْ قَدْ صَارَ مِنْ أَفْرَاخِه** » ؛ بعض هؤلاء « **صَارَ مِنْ أَفْرَاخِه** » ؛ أي : من أفراخ الشيطان معيناً للشيطان في بث هذه الأفكار ولذلك بيّن في البيت الأخير بقوله : « **يَدْعو** » ؛ يعني هذا الفرخ من أفراخ الشيطان « **يَدْعو إِلى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ بِالْمَالِ والنَّفْسِ وبِاللِّسَانِ** » ؛ أصبح بعض هؤلاء من الدعاة لهذا الباطل بماله ونفسه ولسانه ، فأصبح من أفراخ الشيطان يصنع صنيعه باصطياد العوام والجهال وإيقاعهم في الشرك المبين والكفر الصراح .

قال – رحمه الله – :

فَلَيْتَ شِعْري مَنْ أَبَاحَ ذَلِكْ وَأَوْرَطَ الأُمَّـةَ فِي المَهَـالِكْ

فَيَا شَدِيـدَ الطَّوْلِ والإِنْعَـامِ إِلَيْكَ نَشْكُو مِحْنَةَ الإِسْلاَمِ

الشرح :

ثم ختم – رحمه الله – هذا الفصل بهذين البيتين ، قال :

فَلَيْتَ شِعْري مَنْ أَبَاحَ ذَلِكْ وَأَوْرَطَ الأُمَّـةَ فِي المَهَـالِكْ

« **لَيْتَ شِعْري** » ؛ في حال هؤلاء ومآل هؤلاء وما يصير إليه هؤلاء عندما يلقون الله – سبحانه وتعالى – وقد ورطوا الأمة بالمهالك ، كيف ستكون المصيبة على هؤلاء الذين صرفوا الناس عن الفطرة وعن الدين القويم إلى التعلق بغير الله – سبحانه وتعالى – وعبادة غير الله – جل وعلا – ؟!

« **فَيَا شَدِيدَ الطَّولِ** » ؛ يناجي الله وينادي رب العالمين – سبحانه وتعالى – « **فَيَا شَدِيدَ الطَّولِ والإِنْعَامِ** » ؛« **الطَّولِ** » هو الفضل والعطاء والله سبحانه وتعالى ذو الطول كما في أوائل سورة غافر ﴿ **غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول** ﴾ فذي الطول ؛ ذي المن العطاء والفضل فيناجي الله قال : « **فَيَا شَدِيدَ الطَّولِ والإِنْعَامِ إلَيْكَ نَشْكُو مِحْنَةَ الإِسْلاَمِ** » ؛هذه محنة عظيمة وبلية عظيمة أصيب بها هؤلاء فالشيخ – رحمه الله – استحضر الحال المزرية والواقع الأسيف فلجأ إلى الله– سبحانه وتعالى – يشكو إليه من هذه الحال ويطلب منه – سبحانه وتعالى – أن يغيث هؤلاء بالهداية والصلاح وأن ينجيهم من هذا الباطل والضلال ، وهذا يدل على شدة تألم الشيخ – رحمه الله – وعظم غَيرته ونصحه للناس في هذا الباب العظيم ؛ باب التوحيد والتحذير من الشرك بالله عز وجل .

والله أعلم

وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد

الدرس الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال الناظم – رحمه الله تعالى – :

فَصْلٌ:

فِي بَيانِ حَقيقَةِ السِّحرِ وَحَدِّ السَّاحِرِ

وَأَنَّ مِنهُ : عِلمُ التَّنْجيمِ ، وَذِكرُ عُقوبَةِ مَن صَدَّقَ كاهِناً

في كتاب معارج القبول :

الفصل الثامن : في بيان حقيقة الساحر وحد الساحر وذكر عقوبة من صدّق كاهناً

قال – رحمه الله – :

وَالسحْرُ حَقٌّ وَلَهُ تَأْثِيرُ لكِنْ بِما قَدَّرَهُ الْقَدِير

أعْنِي بِذَا التَّقْدِيرِ مَا قَدْ قَدَّرَهُ في الْكَوْنِ لا في الشِّرعَةِ الْمُطَهَّرَهْ

الشرح :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين

أما بعد

قال الشيخ – رحمه الله تعالى – : **" فصل أذكر فيه حقيقة السحر وحكم الساحر وذكر حقيقة من صدّق كاهناً "**

هذا الفصل كما هو واضح من عنوانه ؛ الحديث فيه عن السحر وسيتكلم الشيخ – رحمه الله تعالى – عن ما يتعلق بالسحر – حول عدة موضوعات متعلقة بالسحر – فسيتكلم أولاً عن حقيقة السحر ؛ أن له حقيقة وله وجود وسيتكلم أيضاً عن حد الساحر وحكم الساحر وأيضا يتكلم عن بعض أنواع السحر كل ذلك سيأتي عند الناظم – رحمه الله – .

بدأ أولاً ببيان أن للسحر حقيقة ؛ قال : " **وَالسحْرُ حَقٌّ وَلَهُ تَأْثِيرُ**" , " **وَالسحْرُ حَقٌّ** " ؛ أي له حقيقة ليس مجرد خيالات أو أمور لا حقيقة لها بل السحر له حقيقة وله وجود وأيضاً له تأثير كما قال – رحمه الله – : " **وَلَهُ تَأْثِيرُ**" ؛ أي من ما يقتل منه ما يمرض منه ما يفرق بين المرء وزوجه فالسحر له وجود وله حقيقة وله تأثيروهذا أمر لاريب فيه " **لكِنْ بِما قَدَّرَهُ الْقَدِير**" يعني تأثير السحر بما قدره الله – جل وعلا – أي كوناً وقدراً وهذا أخذه من قول الله- تبارك وتعالى -: ((وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله)) فالسحر له حقيقة وله تأثير يُمرض يقتل يفرق بين الزوجين .. إلى آخر ذلك لكن لا يقع شيء منه إلا بإذن الله – تبارك وتعالى – ولهذا قال – رحمه الله – : " **لكِنْ بِما قَدَّرَهُ الْقَدِير**" أي بما قضاه الله – سبحانه وتعالى – كوناً وقدراً لأن هذا الكون وهذه المخلوقات مخلوقات الله ولا يمكن أن يقع فيها شيء إلا بإذنه من حياة أو موت صحة أو مرض قيام أو قعود سكون أو حركة خفض أو رفع .. إلى غير ذلك كل ما يقع في هذا الكون يقع بإذن الله الكوني القدري ((وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله)) أي إذنه – تبارك وتعالى – الكوني القدري لأن الإذن في النصوص يأتي ويراد به الكوني القدري – كما في هذه الآية – ويأتي ويراد به الشرعي الديني ((قل آلله أذن لكم)) أي شرع الله لكم ذلكم هناك ألفاظ من هذا القبيل تطلق في النصوص تارة يراد به الكوني وتارة يراد بها القدري مثل القضاء ((فقضاهن سبع سماوات)) ((وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه)) هذا شرعي أيضا الكتابة تكون كونية وتكون شرعية الأمر يكون كونياً ويكون شرعياً وهناك ألفاظ كثيرة ذكرها ابن القيم في الباب التاسع والعشرين من كتابه "شفاء العليل" , وهنا الشيخ – رحمه الله – أحب أن ينبه على هذه المسألة ؛ قال : " **لكِنْ بِما قَدَّرَهُ الْقَدِير**" ثم يوضح :

أَعْنِي بِذَا التَّقْدِيرِ مَا قَدْ قَدَّرَهُ فِي الْكَوْنِ لا فِي الشِّرعَةِ الْمُطَهَّرَهْ

عرفنا نحن أن هناك ألفاظ كثيرة تطلق تارة يراد بها الكوني مثل الإرادة الإرادة تطلق ويراد بها الإرادة الكونية القدرية وتارة يراد بها الشرعية الدينية ؛ القضاء تارة يراد به الكوني القدري وتارة يراد به الشرعي الديني .

فالشيخ – رحمه الله – أحب أن ينبه على ذلك قال : " **لكِنْ بِما قَدَّرَهُ الْقَدِير**" ثم يوضح :

أَعْنِي بِذَا التَّقْدِيرِ مَا قَدْ قَدَّرَهُ فِي الْكَوْنِ لا فِي الشِّرعَةِ الْمُطَهَّرَهْ

" **فِي الْكَوْنِ** " ؛ أي كوناً وقدراً " **لا في الشَّرعَةِ** " ؛ أي لا شرعاً وديناً ليس المراد : شرعاً وديناً , وهذا يناسب أن يُقال هذا التوضيح في الألفاظ التي تنقسم إلى كونية قدرية وشرعية دينية مثل الإرادة لو كان قال في البيت الأول :

السحر حق وله تأثير لكن بما أراده القدير

أعني بذي الإرادة ما أراده في الكون لا في الشرعية

يعني لو كان ذكر الإرادة ؛ الإرادة منقسمة ؛ مثل القضاء أما القدر فالقدر لا يكون إلا كوني قدري القدر لا يكون إلا كونياً قدره كوناً لا يُطلق القدر ويراد به الشرع ولهذا القيد هنا – فيما يظهر لي والله تعالى أعلم– لا حاجة إليه هذا القيد لا حاجة إليه لأن القدر ليس منقسماً إلى كوني قدري وشرعي ديني بينما هناك ألفاظ كثيرة ذكرها ابن القيم وتوسع فيها وليس منها القدر في كتابه " شفاء العليل " .

قال :

أَعْنِي بِذَا التَّقْدِيرِ مَا قَدْ قَدَّرَهُ في الْكَوْنِ لا في الشَّرعَةِ الْمُطَهَّرَهْ

قال – رحمه الله – :

واحْكُمْ عَلَى السَّاحِرِ بِالتكْفِيرِ وَحَدُّهُ القَتْلُ بِلا نَكِيرِ

كَمَا أَتَى في السُّنَّةِ الْمُصَرَّحَةْ مِمَّا رَوَاهُ التِّرْمِذِي وَصَحَّحَهْ

عَنْ جُنْدُبٍ وَهَكَذَا في أَثَر أمرٌ بِقَتْلِهِمْ رُوِي عَنْ عُمَر

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ عِندَ مَالِكِ مَا فِيهِ أَقْوَى مُرْشِدٍ للسالِكِ

الشرح :

ثم بيّن هنا – رحمه الله تعالى – حكم الساحر وحد الساحر حكم الساحر : أي هل يُكفر أو لا يُكفر ؟ وحد الساحر : التي هي عقوبته ؛ هل يُقتل أو لا يُقتل ؟

في الشطر الأول من البيت الأول قال : " **واحْكُمْ عَلَى السَّاحِرِ بِالتكْفِيرِ** " ؛ أي أن الساحر كافر والسحر كفر والقرآن الكريم دل على كفر الساحر وفي قول الله – سبحانه وتعالى – : ((واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر))

هذا السياق دل على كفر الساحر من وجوه عديدة أظن الشيخ – رحمه الله – أوصلها في كتابه "معارج القبول" إلى سبع وجوه كلها تدل على كفر الساحر، ولهذا حكم الساحر أنه كافر كفراً أكبر ناقل من ملة الإسلام " **وَحَدُّهُ القَتْلُ بِلا نَكِيرِ** "حد من ضُبط يتعامل بالسحر ويتعاطى السحر حده القتل، والصحيح أيضاً أنه بدون استتابة مجرد ما يُضبط – يضبطه ولي الأمر – يقتل مباشرة بدون استتابة بون أن يُقال له : تتوب وإلا قتلناك، هذا هو الصحيح أنه يُقتل بدون استتابة، دون أن يُستتاب يعني بدون أن تُعرض عليه التوبة، إن تاب صادقاً بينه وبين الله من تاب تاب الله عليه لكن إذا ضُبط لا يُستتاب وإنما يُقتل مباشرة ويُتخلص من شره مباشرة لأن الساحر فساده في المجتمع الذي هو فيه فساد عريض وشره كبير جداً وضرره على الناس ضرر عظيم وجود السحرة في البلدان ضرر على البلدان وعلى الناس فهم آفة المجتمعات وشرور المجتمعات وإذا عُرف بوجوده يجب أن يُبلغ عنه لولي الأمر حتى يراح المجتمع من خبثه وشره وفساده، قال : " **وَحَدُّهُ القَتْلُ بِلا نَكِيرِ** "، ثم ذكر الدليل على ذلك، على أن حده القتل، قال:

كَمَا أَتَى فِي السُّنَّةِ المُصَرَّحَةْ ... مِمَّا رَوَاهُ التِّرْمِذِي وَصَحَّحَهْ

جاء في السنة هذا الأمر صراحة " حد الساحر ضربة بالسيف " , وأحال إلى الترمذي قال : " **مِمَّا رَوَاهُ التِّرْمِذِي وَصَحَّحَهْ** "، " **عَنْ جُنْدُبٍ** " ؛ أي هذا الحديث الذي رواه الترمذي وصححه هو من حديث جندب – رضي الله عنه –، ثم ذكر بعض الآثار عن بعض السلف، عن بعض الصحابة في أن حده القتل قال :

..... وَهَكَذَا فِي أَثَرٍ ... أَمْرٌ بِقَتْلِهِمْ رُوِي عَنْ عُمَرَ

فجاء في الأثر الأمر بقتلهم – أي السحرة – عن عمر بن الخطاب وأيضاً صحّ عن حفصة عند مالك في الموطأ وأيضا عن جندب ولهذا جاء عن الإمام أحمد – رحمه الله – أنه قال : " صح قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهم جندب وعمر وحفصة ".

قال – رحمه الله – :

هَذَا وَمِنْ أَنْوَاعِهِ وَشُعَبِه ... عِلْمُ النُّجُومِ فَادْرِ هَذَا وَانْتَبِهْ

ثم ذكر – رحمه الله – نوع من أنواع السحر وشعب السحر وهو علم النجوم، والمراد بعلم النجوم هنا علم التأثير لا علم التسيير، لأن علم النجوم نوعان ؛ علم تأثير وعلم تسيير، فالذي هو من أنواع السحر علم التأثير والنظر في النجوم والزعم بمعرفة الأحوال الكونية والحوادث من موت أووفاة أو صحة أو سقم بالنظر إلى النجوم ولهذا قال :

هَذَا وَمِنْ أَنْوَاعِهِ وَشُعَبِه عِلْمُ النُّجُومِ فَادْرِ هَذَا وَانْتَبِهْ

والدليل على ذلك ما ثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : " من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد " فعلم التنجيم هو ضرب من السحر وادعاء معرفة الأمور المغيبة والحوادث والأحوال من خلال النظر في النجوم فهو نوع من أنواع السحر .

قال – رحمه الله تعالى – :

وَحِلُّهُ بِالْوَحْيِ نَصّاً يُشْرَعُ أَمَّا بِسِحْرٍ مِثْله فَيُمْنَعُ

هنا يتكلم – رحمه الله تعالى – عن حل السحر عن المسحور وهو ما يسمى **بالنشرة** **والنشرة** : هي حل السحر عن المسحور وهناك طريقتان لحل السحر عن المسحور ؛ الطريقة الأولى : مشروعة وهي التي ذكرها في الشطر الأول من هذا البيت والطريقة الثانية : ممنوعة غير جائزة وهي التي ذكرها في الشطر الثاني من هذا البيت

المشروعة : "**حلُّهُ بِالْوَحْيِ** " حل السحر بالوحي هذه مشروعة جائزة ومعنى حله بالوحي : أي أن يُقرأ على المسحور ويُرقى بالقرآن الكريم والدعاء المأثور عن نبينا – صلى الله عليه وسلم – فهذا جائز ومشروع وجاء في النصوص الكثيرة ما يدل على مشروعيته والإذن به ولهذا قال : " **وَحِلُّهُ بِالْوَحْيِ نَصّاً يُشْرَعُ** " ؛ أي جائز ومشروع حل من به سحر بهذه الطريقة بأن يُقرأ عليه أو أن يقرأ هو على نفسه ويُنفث بآية الكرسي وفاتحة الكتاب " قل هو الله أحد " والمعوذتين والله – سبحانه وتعالى – يقول : ((وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)) وآية الكرسي كما يقول شيخ الاسلام في مواضع عديدة في كتبه : " إذا قُرئت بصدق لها تأثير عظيم في إبطال السحر وطرد الشياطين " وكذلك أيضاً " قل هو الله أحد" والمعوذتين وفاتحة الكتاب الشافية وأيضاً الدعاء : " باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من كل شيطان وحاسد الله يشفيك " ونحو ذلك من المأثور من الدعوات عن نبينا الكريم – عليه الصلاة والسلام – فهذا مشروع .

والنوع الثاني :حله بسحر مثله " **فَيُمْنَعُ** " يقول الشيخ " **فَيُمْنَعُ** " ؛ أي لا يجوز وهذا الذي جاء في المسند أن النبي – صلى الله عليه وسلم – سئل عن النُشرة قال : " هي من عمل الشيطان "والمراد بالنُشرة : حل السحر بسحر مثله وأيضاً يُحمل على هذا قول الحسن : " لا يحل السحر الا ساحر " ؛ أي لا يحله إلا بسحر مثله إلا ساحر فحل السحر بسحر مثله هذا لا يجوز ويُمنع وعرفنا قبل قليل أن الساحر إذا ضُبط وعُرف بمكانه

يُدل على مكانه حتى يتخلص المجتمع من شره، وإذا قيل يجوز حل السحر بسحر مثله فمعنى ذلك إقرار بقاء السحرة والذهاب إليهم وإتيانهم و لهذا لا يجوز أن يُحل السحر بسحر ولا يجوز الذهاب للساحر بأي حال، وإذا عُلم بمكان الساحر يجب الحذر منه والإبلاغ عنه حتى يُتخلص من شره، ولو فُتح هذا الباب لانفتح شر لا حد له على الناس، وربما أن من يُضبط من السحرة يقول أنا فقط أحل، أنا مهمتي حل فقط ولا أسحر ابتداء، الشاهد أن حل السحر بسحر مثله هذا أمر محرم ممنوع كما قال الشيخ وكما قال ذلك غيره من أهل العلم ومنهم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – ونقل في ذلك نقلاً عظيماً – رحمه الله تعالى – وكلام أهل العلم في هذا معروف .

هنا يذكر نوع آخر من أنواع السحر وهو الكهانة قال في الكلام في هذا النوع .

قال – رحمه الله – :

وَمَنْ يُصَدِّقْ كَاهناً فَقَدْ كَفَرْ بِمَا أَتَى بِهِ الرَّسُولُ الْمُعْتَبَرْ

وهنا يذكر نوع، يذكر نوعاً آخراً من أنواع السحر وهو الكهانة، قال في الكلام على هذا النوع :

وَمَنْ يُصَدِّقْ كَاهناً فَقَدْ كَفَرْ بِمَا أَتَى بِهِ الرَّسُولُ الْمُعْتَبَرْ

صلى الله عليه وسلم، وهو يشير هنا إلى قوله – عليه الصلاة والسلام – : " من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم "

ولهذا قال الشيخ : " **وَمَنْ يُصَدِّقْ كَاهناً** " ؛ أي من يأتيه مصدقاً فإنه يكون بذلك كافراً بما أنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم –، ومما أنزل على محمد – عليه الصلاة والسلام– قول الله تعالى : ((قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله)) فعلم الغيب مختص به رب العالمين، والكاهن يدعي معرفة المغيبات والأمور المستقبلات وهذا وحده كافٍ بكفره وكفر من يذهب إليه ويصدقه، قال :

وَمَنْ يُصَدِّقْ كَاهناً فَقَدْ كَفَرْ بِمَا أَتَى بِهِ الرَّسُولُ الْمُعْتَبَرْ

أتى بالوحيين ؛ كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – .

ونكتفي بهذا القدر، وبقي في المنظومة ما يتعلق بالإيمان، الإيمان قول وعمل وأيضاً بقي أمور كلها تتعلق بالإيمان وهذه تؤجل إن شاء الله إلى نهاية العام الدراسي في بداية الصيف .....

الأسئلة :

سؤال : هذا سائل يقول : ما حكم حل السحر بأوارق السدر المقروء عليها آيات من القرآن الكريم ؟

الجواب : استعمال السدر وورق السدر – سبع ورقات – هذا جاء عن بعض السلف أ قال به جماعة من أهل العلم أ وإذا ثبت أن بعض الأعشاب مفيدة لما تضرر به المسحور بتخفيف ألم أو نحو ذلك فهذا يكون من قبيل الأدوية وأنواع العلاجات أ والمسحور يختلف نوع سحره وتضرره بالسحر أ وكما أنه يعالج نفسه بالقرآن استعماله للدواء النافع المفيد لا بأس بذلك وبعض السلف جاء عنهم استعمال ورق السدر بأن يُدق ويُصب عليه الماء ويُقرأ فيه ويُصب على المسحور .

سؤال : أحسن الله إليك أ هذا سائل يقول : ما حكم الإمام الذي ينكر السحر ويُكفر من يقول بوجوده؟

الجواب : السحر عرفنا أن له حقيقة ودلّ على ذلك كتاب الله وسنة نبيه – عليه الصلاة والسلام- ولعل هذا الإمام على جهل بهذه الأدلة فالواجب على من له صلة بهذا الإمام أن يبين له وأن يقيم عليه الحجة وأن يعرض عليه الأدلة المبينة لوجود السحر وأن له حقيقة وله تأثير أ وإذا تبين له وعاند وكابر يُسعى بعدئذ في عدم بقائه في هذه الوظيفة المباركة التي هي الإمامة .

سؤال : أحسن الله إليك أ هذا سائل يقول : بعض السحرة يكونون من النصارى وهم في بلد مسلم ولو فرض أن هناك ساحر مسلم فإن الحكومة لا تقيم عليه حداً فضلاً عن النصارى فما الحل في هذا الأمر ؟

الجواب : الحل هو العلم وبثه في المجتمعات والرجوع إلى السنة وتعليم الناس وتوجيههم ودلالتهم إلى الخير وتحذيرهم من السحر وبيان خطورة السحر هذا هو الحل أ وإذا كان الإنسان عنده قدرة بأسلوب طيب وطريقة رفيقة وحسنة أن يقدم نصيحة لمن عنده ولاية أو يُذكر العلماء في بلده أن يقوموا بواجب التذكير للمسؤلين وللولاة وبيان خطورة السحرة فالعلم هو الشفاء هو الدواء أ نشر العلم وبثه لأن كل هذه الأمور لا تنتشر إلا مع قلة العلم والدعوة إليه فإذا ظهر العلم وبرز ذهبت هذه الأشياء بإذن الله ((وقل جاء الحق وزهق الباطل))

والله أعلم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

شرح منظومة
سلم الوصول إلي علم الأصول

لفضيلة الشيخ
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله تعالي

من الدرس (٩) إلي الدرس (١٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

الدرس التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين , قال المصنف – رحمه الله تعالى – : " **فصل ؛ يجمع معنى حديث جبريل المشهور في تعليمنا الدين , وأنه ينقسم إلى ثلاثة مراتب ؛ الإسلام والإيمان والإحسان وبيان أركان كل منها** "

قال – رحمه الله – :

اعلـم بـأن الـدين قـول وعمـل فاحفظه وافهم ما عليه ذا اشتمل

الشرح :

بسم الله الرحمن الرحيم , الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين , وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ,

أما بعد ,,,

فهذا الفصل الذي عقده الشيخ الناظم حافظ حكمي – رحمه الله تعالى – فصل جامع للدين من خلال بيان النبي – عليه الصلاة والسلام – لدين الله – عز وجل – وذلك في حديث جبريل المشهور الذي بين فيه – صلى الله عليه وسلم – رتب الدين الثلاثة ؛ الإسلام والإيمان والإحسان وفيه أيضا بين أركان كل منها , فبين أن أركان الإسلام خمسة , وأركان الإيمان ستة , وأركان الإحسان ركن واحد وكلها شرحت وبينت في حديث جبريل المشهور وقال النبي – صلى الله عليه وسلم – في تمامه : " هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " , والناظم – رحمه الله – عقد هذا الفصل لبيان الدين بمراتبه الثلاث ؛ الإسلام والإيمان والإحسان , بين فيه – رحمه الله – الدين بمراتبه الثلاث ؛ الإسلام والإيمان والإحسان , ووصف – رحمه الله – هذا الفصل بأنه فصل جامع ؛ أي للدين كله من خلال ذكر مراتب الدين الثلاثة المبينة في حديث جبريل المشهور.

قال – رحمه الله – : " **أعلم** " : أي يا طالب العلم ومريد الخير , " **بأن الدين قول وعمل** " , " **بأن الدين** " ؛ أي دين الله الذي خلق الخلق لأجله وأوجدهم لتحقيقه " **قول وعمل** " فليس الدين قولا بل عمل ولا أيضا عملا بل قول بل الدين **قول وعمل** , والمراد بالقول : قول القلب وقول اللسان , الدين قول : أي قول بالقلب وقول باللسان , والمراد بقول القلب : أي باعتقاده وتصديقه وإقراره والمراد بقول اللسان : أي نطقه بالشهادتين ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله , وذلك أن القول إذا أطلق

فإنه يشمل قول القلب اعتقادا وقول اللسان نطقا وتلفظا كما في قوله تعالى : ((قولوا آمنا بالله)) أي بقلوبكم معتقدين وبألسنتكم ناطقين ومتلفظين , ((قل آمنت بالله)) , ((قل لا إله إلا الله)) إلى غير ذلك من النصوص الواردة في هذا المعنى .

فالدين قول وعمل , قول ؛ أي عقيدة , الدين عقيدة في القلب راسخة في القبل متمكنة فيه ((إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ثم لم يرتابوا)) , وقول باللسان , لا يكون إيمان إلا بنطق المسلم بلسانه للشهادتين ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم , وقدج مر عند الناظم – رحمه الله تعالى – شرح لشروط لا إله إلا الله وبيان لمعناها وحقيقتها .

وقوله : " **وعمل** " : هذا يشمل عمل القلب والمراد بعمل القلب : أي الأعمال التي تؤدى بالقلب من الخوف والخشية والرجاء والإنابة والتوكل وغير ذلك من أعمال القلوب , وأيضا يدخل في عمل القلب تنقية القلب من الأعمال السيئة والخصال المشينة وفي الدعاء المأثور عن نبينا – عليه الصلاة والسلام – : " واسلل سخيمة صدورنا " فتنقية القلب من الغل والحقد والحسد وغير ذلك من أمراض القلوب هذا كله داخل في الدين وهو من دين الله – عز وجل – وهو من الإيمان , ولهذا جاءت النصوص الكثيرة في كتاب الله – عز وجل – وسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – في بيان أهمية القلوب وإصلاحها وتزكيتها وتنقيتها وأن ذلك كله من الإيمان ومن دين الله – عز وجل – الذي شرعه لعباده وأمرهم به .

وأيضا يدخل في العمل عمل اللسان وعمل الجوارح , وأعمال اللسان : هي تلك الأعمال التي لا تؤدى إلا به من تسبيح وتهليل , قراءة للقراءة وأمر بالمعروف ونهي عن منكر وتعليم للعلم وغير ذلك .

وأعمال الجوارح المراد بها : الطاعات والعبادات التي يؤديها المسلم بجوارحه من صلوات وصيام وحج وغير ذلك من الطاعات فالدين يشمل ذلك كله وهذا هو مراد الناظم – رحمه الله تعالى – بقوله – : " **أعلم بأن الدين قول وعمل** " , " **قول** " ؛ أي قول القلب واللسان , " **وعمل** " ؛ أي عمل القلب واللسان والجوارح فهذه كلها داخلة في الدين ويتناولها اسمه .

" **فاحفظه وافهم ما عليه اشتمل** " أي يا طالب الحق والهدى احفظ هذا التعريف وهذا البيان للدين , " **وافهمه** " ؛ أي لا تكتفي بمجرد حفظ هذه الكلمات أو هذا البيان بل أجمع لنفسك بين حفظ وفهم ؛ حفظ لمعنى الدين وحقيقته وفهم لذلك فهما صحيحا يترتب عليه وينبني عليه قيام للدين على الوجه الصحيح والهدي الأتم والسبيل الأكمل , قال : " **فاحفظه وافهم ما عليه اشتمل** " ينبه الشيخ – رحمه الله – إلى اشتمال الدين لهذه الأمور , فمن لا يحفظ هذه الأمور التي اشتمل عليها الدين يبخس حقيقة الدين

وينتقص منه , وهذا تراه جليا في الفرق التي ضلت في هذا الباب , فمنهم من اخرج العمل من الإيمان , ومنهم من أخرج القول من الإيمان ومنهم من قصر الإيمان على مجرد المعرفة أو مجرد التصديق فهذا كله بخس لما اشتمل عليه الإيمان من حقائق , وإذا كان البخس مذموما في كل مقام ويعد ظلما وعدوانا فإن أشنع البخس وأفضعه وأشده بخس الإيمان الذي خلق الخلق لأجله وأوجدوا لتحقيقه هذا أعظم البخس وأشده عندما يقول القائل : الإيمان مجرد المعرفة ,أو مجرد القول , أو العمل ليس داخلا في الإيمان أو نحو ذلك من التعريفات التي قالها من ضل في هذا الباب هذا فيه –كما أشرت – بخس لما اشتمل عليه الإيمان من حقائق .

والإيمان حقيقة شرعية لا يسلم المرء من هذا البخس فيها إلا إذا عرف الإيمان وعرّفه في ضوء كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – وقد قال الله تعالى لنبيه – عليه الصلاة والسلام – : ((وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان)) وفي حديث وفد عبد القيس قال النبي – صلى الله عليه وسلم – لذلك الوفد : " أتدرون ما الإيمان ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم " قولهم : " الله ورسوله أعلم " فيه تنبيه إلى أن الإيمان حقيقة شرعية لا سبيل للعلم بها إلا من خلال الوحي " الله ورسوله أعلم " , أما العقل المجرد أو فهم اللغة أو ذوق الإنسان أو نحو ذلك من الموازين والمقاييس لا تفي في هذا الباب بغرض ولا ينال صاحبها من خلالها مراما ومطلبا , فلاإيان حقيقة شرعية لا سبيل إلى العلم بها إلا من خلال الشرع الحكيم ؛ كلام الله وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم – , ومن يطالع دلائل الكتاب والسنة يجد الأمر فيهما واضحا جليا أن الإيمان قول وعمل ولهذا أجمع أهل السنة قاطبة على أن الإيمان قول وعمل , قول بالقلب واللسان وعمل بالقلب واللسان والجوارح .

قال – رحمه الله – :

كفاك ما قد قاله الرسول إذ جاءه يسأله جبريل

على مراتب ثلاث فصله جاءت على جميعه مشتمله

الإسلام والإيمان والإحسان والكل مبني على أركان

الشارح – رحمه الله تعالى – فيما يتعلق بالبيت الأول لما ذكر اشتمال الإيمان لقول القلب وتصديقه وإقراره واعتقاده وقول اللسان وهو نطقه بالشهادتين , وعمل القلب وهو ما يكون في القلب من النية والإخلاص والمحبة والإنقياد , وعمل اللسان والجوارح والأعمال التي تؤدى باللسان وتؤدى بالجوارح لما بين ذلك – رحمه الله – وذكر شيئا من دلائلها نبه من خلال هذا البيان والتعريف إلى فهم حقيقة الكفر من خلال فهمك

لحقيقة الإيمان , فإذا عرفت حقيقة الإيمان فضد هذه الحقيقة وضد القيام بهذه الحقيقة هو الكفر بالله – تبارك وتعالى – , ولهذا قسم العلماء الكفر إلى أقسام وهي راجعة إلى فهم هذا التعريف للإيمان , فقالوا : " الكفر أقسام ؛ كفر جهل وتكذيب , وكفر جحود , وكفر عناد واستكبار وكفر نفاق " وإذا تأملت هذه الأقسام للكفر وجدتها راجعة إلى فهم حقيقة الإيمان وذلك أن الإيمان حقيقته تنتظم – كما تقدم – قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح , وعرفنا أن قول القلب هو : العقيدة التي تكون في القلب , وقول اللسان هو : النطق بالشهادتين , وعمل القلب هو : تلك الأعمال التي تؤدى بالقلب , وعمل الجوارح واللسان هو : تلك الأعمال التي تؤدى بالجوارح واللسان , فإذا انتفت هذه الأمور كلها في الإنسان فهذا كفره واضح بل اجتمع فيه أنواع الكفر عدا كفر النفاق , من انتفت فيه هذه الأمور اجتمعت فيه أنواع الكفر عدا كفر النفاق لأن كفر النفاق ما هو ؟ قيام لظاهر الإيمان مع جحد له في الباطن , فإذاً من انتفت فيه هذه الأمور اجتمع فيه أنواع الكفر عدا النفاق وإذا انتفى من قلب الإنسان تصديقه واعتقاده وإقراره إذا انتفت هذه المعاني من القلب (مع العلم بالحق – عنده علم بالحق ودراية به لا يجهله)– لكنه في قرارة قلبه لم يقر ولم يعتقد ذلك فهذا ما نوع كفره ؟ جاحد , هذا مكذب , نوع كفره تكذيب , يعني لم يصدق مع علمه بالحق والهدى

عفوا ,,, مرة أخرى : إذا انتفى تصديق القلب وإقراره وعقيدته مع عدم العلم بالحق فهذا كفر جهل وتكذيب , وإذا انتفى ذلك مع العلم بصدق الرسول وصدق ما جاء به فهذا كفره جحود وعناد , وإذا انتفى عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان مع قيام الجوارح بالأعمال الصالحة هذا ماذا يسمى ؟ نفاقا .

وإذا انتفى عمل القلب وعمل الجوارح مع وجود المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان فهذا كفره عنادا واستكبار , فإذا فهمت حقيقة الإيمان في ضوئها يتم للمسلم فهم حقيقة الكفر وهي مسألة جليلة بينها الشيخ – رحمه اله تعالى – .

ثم قال – رحمه الله – :

كفـاك مـا قـد قالـه الرسـول   إذ جــاءه يســأله جــبريل

علــى مــراتب ثلاث فصلــه   جاءت على جميعه مشتمله

الإسـلام والإيمـان والإحسـان   والكـل مبنـي علـى أركـان

يقول : يكفيك يا طالب الحق والهدى في هذا الباب ما قد قاله الرسول – عليه الصلاة والسلام – إذ جاءه يسأله جبريل , يقول يكفيك في هذا الباب حديث جبريل المشهور , الرسول – عليه الصلاة والسلام – قال

فيه مبينا وموضحا حقيقة الإسلام وحقيقة الإحسان وحقيقة الإحسان فيكفيك بيان الرسول – عليه الصلاة والسلام – لدين الله من خلال هذا الحديث العظيم .

" **كفاك** " ؛ أي لك كفاية وغنية , " **فيما قد قاله الرسول** " ؛ أي محمد – صلى الله عليه وسلم – , " **إذ جاءه يسأله جبريل** " ؛ أي في الحديث المشهور حديث جبريل الذي بين فيه الدين .

" على مراتب ثلاث فصله " ؛ أي فصل النبي – عليه الصلاة والسلام – الدين على مراتب وهي الإسلام والإيمان والإحسان , وشبه بعض أهل العلم بثلاث دوائر ؛ الدائرة الأضيق دائرة الإحسان ثم أوسع منها دائرة الإيمان ثم أوسع منها دائرة الإسلام فمن دخل في الإسلام يكون دخوله بالنطق بالشهادتين والإتيان بأعمال الإسلام الظاهرة مع وجود أصل الإيمان في قلبه لأن العمل الظاهر لا يقبل إلا مع وجود أصل الإعتقاد في قلبه لأن العمل لا يقبل إلا إذا كان مبنيا على اعتقاد وإلا لا قبول للعمل إذا لم يبنَ على اعتقاد , فالمسلم هو من جاء بالعمل – أعمال الإسلام الظاهر – مع وجود شيء من الإيمان – أو وجود الاعتقاد – في قلبه مثلما قال العلماء : " مع وجود شيء من الإيمان يصحح إسلامه " لأن الإسلام لا يصح – العمل الصالح – لا يصح إلا إذا وجد في القلب ماذا ؟ إيمان يصحح ذلك الإسلام كما قال الله تعالى : ((ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن)) , ((إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات)) , ((من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن)) فلابد من وجود شيء من الإيمان يصحح العمل الظاهر فإن لم يوجد لا قيمة للعمل ولا انتفاع به , والمؤمن هو الذي حقق الإيمان ظاهرا وباطنا عُمر قلبه بالإيمان وصلحت أعماله بالطاعات وهو أرفع درجة من المسلم , وأرفع درجة منه المحسن , والإحسان هو الإتقان والإيجادة , بحيث يبلغ في دينه وإيمانه وعبادته هذه الرتبة من الإتقان والإجادة والإحسان في عبادة الله – تبارك وتعالى – , وبناء على هذا قال العلماء : "كل محسن مؤمن مسلم , وكل مؤمن مسلم , وليس كل مسلم مؤمنا , وليس كل مؤمنا محسنا " لماذا ؟ لأنها رتب , فمن بلغ أعلى رتبة يكون بلوغه لها بعد تحقيقه لما دونها , ومن جاء بالمرتبة الدون من هذه الرتب لا يلزم أن يكون بلغ العالية من رتب الدين , ولهذا ليس كل مسلم مؤمنا وليس كل مومن محسنا , قال الله تعالى : ((قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا)) أي لم تبلغوا رتبة الإيمان , وفي حديث سعد لما قال للنبي – صلى الله عليه وسلم – عن رجل قال : " إني أراه مؤمنا , قال : أو مسلما " نبهه إلى التفاوت في الرتب , وهذه الرتب الثلاث جاءت مبينة في القرآن وأيضا مبينة في السنة في مواضيع كثيرة , قال تعالى : ((ثم أورثنا الكتاب الذين أصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات)) فهم متفاوتون ليسوا على رتبة واحدة , قال تعالى : ((ولمن خاف مقام ربه جنتان)) ثم قال : ((ومن دونهما جنتان)) , قال تعالى : ((والسابقون السابقون أولئك المقربون)) قال : ((وأصحاب اليمين ما

أصحاب اليمين)) فذكر أصحاب اليمين وذكر السابقين المقربين فإذاً هي رتب متفاوتة ويمكن فهم هذه الرتب في ضوء حديث جبريل فرتب الدين ثلاث ؛ الإسلام والإيمان والإحسان .

" **على مراتب ثلاث فصله** " ؛ أي النبي – عليه الصلاة والسلام – , وقوله : " **فصله** " الضمير يعود على الدين ؛ أي فصل النبي – عليه الصلاة والسلام – الدين في حديث جبريل على ثلاث مراتب , " **جاءت على جميعه مشتملة** " ؛ جاءت على جميع الدين مشتملة ؛ أي هذه المراتب , ولأجل ذا قال النبي – صلى الله عليه وسلم – في تمام هذا الحديث : " هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " .

ثم ذكر المراتب الثلاث , قال :

الإسلام والإيمان والإحسان .....

" **على مراتب ثلاث** " ثم ذكرها , فقوله : " **الإسلام** " بدل من مما سبق : " **على مراتب ثلاث** "

" **الإسلام والإيمان والإحسان** " , " **الإسلام والإيمان والإحسان** " هذه مراتب الدين المذكورة في حديث جبريل , هنا ينبغي أن نعلم أن الإسلام يطلق في النصوص تارة مفردا ؛ أي ليس مضموما إلأى الإيمان , وتارة يذكر مضموما إلى الإيمان كما في حديث جبريل وكما في قوله تعالى : ((قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا)) وكما في قوله : ((إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات)) فتارة يذكر مفردا ((إن الدين عند الله الإسلام)) , ((ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)) , ((ورضيت لكم الإسلام دينا)) تارة يذكر مفردا وتارة يذكر مضموما إلى الإيمان .

وفهم معنى الإسلام حال إفراده وحال ضمه إلى الإيمان يرجع غلى قاعدة قررها أهل العلم لا تختص بل الإسلام والإيمان بل تتناول ألفاظاً شرعية كثيرة وهي قولهم : " إن من الأسماء ما يكون شاملا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه , فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالا على بعض تلك المسميات , والاسم المقرون به دال على باقيه " وهذه قاعدة مهمة جدا , وذكرها بعض أهل العلم بلفظ آخر مختصر قالوا : " إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت " إن من الأسماء ما يكون شاملا لمسميات متعددة متى ؟ عند إفراده وإطلاقه , مثال ذلك الإسلام , عندما يطلق ((إن الدين عند الله الإسلام)) , ((ورضيت لكم الإسلام دينا)) , ((ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)) عندما يطلق يكون ماذا ؟ شامل لمسميات متعددة , أي أنه يشمل الدين كله سواء منه ما كان في القلب من اعتقاد وإيمان أو ما كان في الجوارح من أعمال وطاعات وعبادات , فهو يشمل حقائق الدين الباطنة وشرائع الدين الظاهرة هذا عند إفراده وإطلاقه , فإذا قرن ذلك الاسم بغيره – يعني إذا قرن الإسلام بالإيمان – صار ذلك الاسم دالا على بعض تلك المسميات والاسم

المقرون به دال على باقيه , أي يكون الإيمان دال على البعض والاسم الآخر الذي قرن به دال على البعض الآخر , والدين عقيدة وشريعة , فإذا جمع بين الإسلام والإيمان أصبح الإسلام للشريعة والإيمان للعقيدة اللتي تكون في القلب هذا إذا قرنا , إذا جمعا بينهما في الذكر , ولهذا لاحظ جُمع بين الإسلام والإيمان في الذكر في حديث جبريل ففسر النبي – عليه الصلاة والسلام – الإسلام بشرائع الدين الظاهرة , وفسر الإيمان بعقائده الباطنة التي في القلب وقال في تفسيره للإسلام : " أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله , وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت الحرام إن استطعت إليه سبيلا " وقال في تفسيره للإيمان : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره " , فإذن , الإسلام عندما يضم إلى الإيمان في الذكر يفسر بشرائع الدين الظاهرة , والإيمان عندما يضم إلى الإسلام في الذكر يفسر بعقائد الدين الباطنة التي في القلب , وإذا ذكر كل منهما مفرداً شمل الجميع وتناول الجميع , قال :" **الإسلام والإيمان والإحسان** " ؛ **الإسلام** تفسيره في حديث جبريل بشرائع الإسلام , و**الإيمان** تفسيره في حديث جبريل في عقائد الدين الباطنة التي في القلب , و**الإحسان** هو الإتقان والإجادة وفسره النبي – صلى الله عليه وسلم – في حديث جبريل : " بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تراه فإنه يراك " .

قال :

..... والكل مبني على أركان

" **الكل** " ؛ أي الإسلام والإيمان والإحسان " **مبني على أركان** " وستأتي عند المصنف أركان الإسلام خمسة و وأركان الإيمان ستة وأركان الإحسان ركن واحد وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تراه فإنه يراك .

قال – رحمه الله – :

فقد أتى الإسلام مبني على خمس فحقق وادر ما قد نقلا

أولها الركن الأساس الأعظم وهو الصراط المستقيم الأقوم

ركن الشهادتين فاثبت واعتصم بالعروة الوثقى التي لا تنفصم

وثانيا إقامة الصلاة وثالثا تأدية الزكاة

والرابع الصيام فاسمع واتبع والخامس الحج على من يستطع

الشرح :

قال – رحمه الله تعالى – :

فقـد أتـى الإسلام مبني على خـمس فحقق وادر مـا قـد نقلا

" **أتى الإسلام** " ؛ أي دين الله – عز وجل – , " **مبنياً** " ؛ أي أتى على هذه الحال في نصوص الشرع في كتاب الله – عز وجل – وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – " **مبنياً على خمس** " , قوله : " **على خمس** " ؛ أي على خمسة أركان ودعائم وهذا مأخوذ من قول النبي – صلى الله عليه وسلم – في حديث جبريل المشهور : " بني الإسلام على خمس ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله , وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام "

" **فقد أتى الإسلام مبنياً على خمس** " ؛ أي على خمس أركان أو على خمس مباني وهي المبينة في حديث ابن عمر وأيضاً مبينة في حديث جبريل المشهور .

" **فحقق وأدر ما قد نقلا** " , " **حقق** " ؛ أي إسلامك بمعرفتك به أولا والقيام به ثانياً , حقق إسلامك , وهذا هو الذي ينبغي أن يفهم من كلمة التحقيق مثلما قال شيخ الإسلام : " باب من حقق التوحيد " التحقيق للعلم يكون بفهمه وضبطه والقيام به , فمن ضبط العلم ضبطاً متقناً بدون عمل به لا يكون محققاً بل تحقيق العلم يكون بضبطه وفهمه وبالعمل به وهذا هو التحقيق الذي ينال به ثواب الله – سبحانه وتعالى – أما مجرد ضبط العلم لا يعد تحقيقاً له وهذا أقوله تنبيهاً حتى لا يغتر الإنسان بما يكتب على بعض الكتب تحقيق فلان أو حققه فلان , التحقيق أمره أعظم من مجرد ضبط النصوص والعناية بها وإن كان هذا في الإصطلاح يعد نوعاً من التحقيق لكن التحقيق الذي يُنال به ثواب الله – عز وجل – ويظفر به العبد بعظيم موعوده – سبحانه – أن يفهم العلم وأن يضبطه وأن يعمل به ليكون محققاً للعلم تمام التحقيق .

فقـد أتـى الإسلام مبني على خـمس فحقق وادر مـا قـد نقلا

" **فحقق وأدر ما قد نقلا** " ؛ أي أعلم وافهم يا طالب الحق , " **ما قد نقلا** " ؛ أي ما قد نقل لك في نصوص الشريعة المبينة لحقيقة الإسلام , ثم شرح هذه الأركان بقوله :

أولها : الركن الأساس الأعظم .....

أول أركان الإسلام : **الركن الأساس الأعظم وهو الصراط المستقيم الأقوم**

ركن الشهادتين فأعظم أركان الإسلام الشهادتان ولهذا بدأ بهما – عليه الصلاة والسلام – ولهما قدم – صلوات الله وسلامه عليه – , وقول الناظم : " **الركن الأساس الأعظم** " فيه تنبيه إلى أن أركان الإسلام كلها معظمة وحقيقة بالتعظيم ((ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب)) لكن أعظمها وأجلها وأرفعها الشهادتان فهي أعظم أركان الدين .

قال :

أولها : الركن الأساس الأعظم وهو الصراط المستقيم الأقوم

ركن الشهادتين ....

" **والشهادتين** " ؛ شهادة ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله , الشهادة لله بالوحدانية ولنبيه – صلى الله عليه وسلم – بالرسالة , ولهذه الشهادة شروط سبق ذكرها عند الناظم – رحمه الله تعالى – وأيضاً سبق شرح معناها عنده – رحمه الله تعالى – .

قال :

ركن الشهادتين فاثبت واعتصم .....

" **فاثبت** " ؛ هذا خطاب للقاريء والمطلع والمسلم , " **فاثبت** " ؛ أي على الحق والهدى بلزومك له وتمسكك به وحفظك له ومحافظتك عليه ومداومتك عليه إلى أن يتوفاك الله فاثبت , ومعنى " **اثبت** " ؛ أي استقم " قل آمنت بالله ثم استقم " , قال :

ركن الشهادتين فاثبت واعتصم بالعروة الوثقى .....

أي ب لا إله إلا الله , قال الله تعالى : ((لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يؤمن بالله ويكفر بالطاغوت فقد استمسك بالعروة الوثقى)) " العروة الوثقى " هي لا إله إلا الله , وسميت بالعروة الوثقى لأنها المستمسك الأعظم الذي لا حظ لعبد من الدين إل إذا تمسك به , قال :

..... **بالعروة الوثقى التي لا تنفصم**

أي التي لا تنقطع ((لا انفصام لها)) كما جاء في القرآن , قال :

وثانياً : إقامة الصلاة .....

" **ثانياً** " ؛ أي الركن الثاني من أرمكان الدين إقامة الصلاة وذلك بالمحافظة عليها والإتيان بشروطها وأركانها وواجباتها كما أمر الله – عز وجل – وكما بيّن رسوله – صلوات الله وسلامه عليه – .

..... **وثالثاً: تأدية الزكاة**

والزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله , وتأديتها بإخراجها في وقتها بأنصبتها المبينة والموضحة في سنة النبي الكريم – عليه الصلاة والسلام – , وهي حق معلوم جعله الله – تبارك وتعالى – في المال للفقير يجب إخراجه , وسمي زكاة لأن فيها تزكية للمال وبركة للمال وأيضاً تزكية لصاحب المال وتنقية له من الشح والبخل .

قال :

والرابع : الصيام , فاسمع واتبع .....

والرابع من اركان الإسلام الصيام أي صيام شهر رمضان , " **فاسمع واتبع** " لاحظ هاتين الكلمتين وهما مطلوبتان من كل مسلم تجاه نصوص الشرع ((فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)) المطلوب من المسلم تجاه نصوص الشرع أن يسمع وأن يتبع , يبدأ بالسماع ثم يعقب الإستماع الإتباع .

..... **والخامس الحج على من يستطع**

كما قال الله تعالى : ((ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً)) وأيضاً في حديث جبريل قال : " وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام إن استطعت إليه سبيلاً " أو كما قال – عليه الصلاة والسلام – .

قال – رحمه الله – :

فتلـــك خمســـة وللإيمـــان ســـتة أركـــان بلا نكـــران

إيماننـــا باللـــه ذي الجـــلال ومـــا لـــه مـــن صفـــة الكمـــال

وبالملائكـــة الكـــرام الـــبرره وكتبـــه المنزلـــة المطهـــره

ورســـله الهـــداة للأنـــام مـــن غـــير تفـــريق ولا إيهـــام

" **فتلـــك خمســـة** " ؛ الإشارة إلى أركان الإسلام الخمسة التي مضى شرحها وبيانها عند الناظم – رحمه الله تعالى – .

فتلـــك خمســـة وللإيمـــان ســـتة أركـــان بلا نكـــران

الإيمان له ستة أركان بلا نكران لأنها ثابتة في كتاب الله وسنة نبيه – عليه الصلاة والسلام – قال الله تعالى : ((ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين)) وقال تعالى : ((آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)) وقال الله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً)) فهذه أركان الإيمان , وهذه الآيات التي قرأت عليكم ذكرت أركان الإيمان فيها خمسة , ذكر فيها خمس أركان للإيمان ولم يُذكر فيها الإيمان بالقدر , والقدر داخل في الإيمان بالله لأن القدر قدرة الله داخل في الإيمان بالله , ولهذا أركان الإيمان تارة تعد خمسة –كما في هذه الآيات – ولا يذكر معها القدر لأنه داخل في الإيمان بالله وتارة تعد ستة كما في حديث جبريل ويكون ذكر القدر مستقلاً مفرداً تنبيهاً على أهمية هذا الأصل وبيان مكانته من الدين , قال :

.... وللإيمـان ستة أركان بلا نكـران

ثم ذكرها , بدأ بأهمها , قال :

إيماننا بالله ذي الجلال وما له من صفة الكمال

هذا هو الركن الأول وهو أعظم أركان الإيمان وأجلها , الإيمان بالله – عز وجل – والإيمان بالله هو الإيمان بوحدانية الله – سبحانه – في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته , ولهذا قال العلماء : " التوحيد أقسام ثلاثة " وأيضاً نقول الإيمان بالله أركانه ثلاثة ؛ إيمان بوحدانية الله في ربوبيته , وإيمان بوحدانية الله في ألوهيته , وإيمان بوحدانية الله في أسمائه – تبارك وتعالى – وصفاته , ولهذا من لم يأت بهذه الأقسام الثلاثة للتوحيد لا يكون موحداً ولا يكون مؤمناً لأن الإيمان بالله له أركان ثلاثة وهي : الإيمان بالوحدانية في الربوبية وفي الألوهية وفي الأسماء والصفات .

قال :

إيماننا بالله ذي الجلال ....

والجلال وصف لله – تبارك وتعالى – , الجلال وصف له , ويدل على كمال الله – سبحانه وتعالى – وعظمته في نعوته وأسمائه وصفاته وأيضاً يدل في الوقت نفسه على وجوب إجلال الله وأن يُجل – سبحانه وتعالى – بأن يُعظم ويُقدر – تبارك وتعالى – حق قدره ((ما لكم لا ترجون لله وقاراً)) أي إجلالاً وتعظيماً .

قال :

إيماننـــا باللـــه ذي الجـــلال ومـــا لـــه مـــن صفـــة الكمـــال

هذا من أركان الإيمان أن تؤمن بالله – سبحانه وتعالى – رباً , تؤمن به معبوداً ولا معبود بحق سواه وتفرده بالعبادة وتؤمن بما له من صفة الكمال , أن تؤمن بصفاته العظيمة ونعوته الجليلة الثابتة في كتاب الله – عز وجل – وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – كما قال الإمام أحمد – رحمه الله – : " أصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله – صلى الله عليه وسلم – لا نتجاوز القرآن والحديث "

قال :

وبالملائكـــة الكـــرام الـــبرره وكتبـــه المنزلـــة المطهـــره

وهذا هو الركن الثاني من أركان الإيمان أن نؤمن بالملائكة , والملائكة جند لله – تبارك وتعالى – خلقهم الله – جل وعلا – من نور وهم عباد مكرمون لا يعصون الله – تيارك وتعالى – ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فنؤمن بهذا الجند وإن كنا لم نرهم لكن نؤمن بهم , وإيماننا بالائكة الذي هو ركن من أركان الإيمان يستوجب أن نؤمن بأسماء الملائكة وأعداد الملائكة وأوصاف الملائكة إجمالاً فيما أجمل وتفصيلاً فيما فصل هذا هو الإيمان بالملائكة ؛ الإيمان بأسمائهم وأعدادهم وأوصافهم ووظائفهم إجمالاً فيما أجمل وتفصيلاً فيما فصل وهو ركن من أركان الإيمان .

قال :

وبالملائكـــة الكـــرام الـــبرره .....

أي الكرام خَلقاً وخُلقاً ؛ كرام في خلقتهم وكرام في أخلاقهم وأوصافهم , وكرام ؛ أي عند الله – سبحانه وتعالى – ((عباد مكرمون)) فنؤمن بأنهم كرام ونؤمن بأنهم بررة ؛ أي أهل بر وإحسان وطاعة لله – عز وجل – وأنهم مطهرون من الأرجاس والأنجاس والمعاصي والذنوب ((بأيدي سفرة كرام بررة)) فنؤمن بذلك , نؤمن بالملائكة الكرام البررة , وإيماننا بهم ركن من أركان الإيمان .

قال :

..... وكتبـــه المنزلـــة المطهـــره

إيماننا بالله هذا ركن , وبالملائكة هذا ركن , وبالكتب " **وكتبـــه** " هذا ركن ثالث من أركان الإيمان .

" **كتبــه** " ؛ الضمير يعود إلى الله , قال الله تعالى : ((آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه)) فالضمير يعود على الله – تبارك وتعالى – .

وبهذا نعلم أن الإيمان بالله والملائكة والكتب وبقية أركان الإيمان كله تابع لماذا ؟ للإيمان بالله , فالإيمان بالله هو أصل أصول الإيمان وهذه الأركان تبع لهذا الأصل وراجعة إليه , ولهذا تأتي في النصوص مضافة إليه ((بالله)) ثم يضيف إليها هذه الأركان ((وملائكته وكتبه ورسله)) .

قال : " **وكتبــه المنزلــة** " ؛ أي التي أنزلها – تبارك وتعالى – على رسله الكرام ((وإنه لتنزيل رب العالمين)) قال تعالى : ((تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين)) .

" **وكتبــه المنزلــة** " , المراد ب " **المنزلــة** " أي منه – تبارك وتعالى – , أي أنه تكلم بها هو – سبحانه – سمعها منه جبريل ونزل بها – عليه السلام – ((وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين)) قال تعالى : ((تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين)) , ولهذا من الإيمان بالكتب الإيمان بأنها كلام الله وأنه هو – تبارك وتعالى – تكلم بها حقيقة سمع بها جبريل ونزل بها – عليه السلام – .

" **وكتبــه المنزلــة المطهــره** " ؛ أي المطهرة من كل سوء , من كل قبيح ومن كل باطل قال تعالى : ((لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)) , المطهرة أيضا من التناقض والتضارب والإعتراض والتعارض مطهرة من ذلك كله , فنؤمن بكتب الله – عز وجل – ونؤمن بأنها مشتملة على الحق والهدى وأن سعادة من أنزلت عليهم الكتب لا تكون إلا بالإيمان بها , وأنها اشتملت على الهدى والخير والنور والضياء نؤمن بذلك كله , ونؤمن بأسماء ما ذكرت أسماؤها في كتاب الله وسنة نبيه – عليه الصلاة والسلام – كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف المنزلة على إبراهيم – عليه السلام – .

قال :

..... **وكتبــه المنزلــة المطهــره**

ثم ذكر الركن الرابع , قال :

ورســله الهــداة للأنــام .....

أي ونؤمن برسله الهداة للأنام , والرسل المراد بهم هم من بعثهم الله – سبحانه وتعالى – بالهدى والحق والنور وأنزل عليهم وحياً مبيناً وبعثهم مبشرين ومنذرين فنؤمن بهم ونؤمن بأنهم بلغوا البلاغ المبين وأنهم دلوا أممهم إلى

كل خير وحذروهم من كل شر كما قال – عليه الصلاة والسلام – : " ما بعث الله من نبي إلى كان حقاً عليه أن يدل أمته إلى خير ما يعلمه لهم وأن يحذرهم من شر ما يعلمه لهم " .

وقوله : " **الهـــداة** " المراد بالهداية هنا هداية البيان لا هداية التوفيق لأن هداية التوفيق بيد الله ولهذا قال الله لنبيه – عليه الصلاة والسلام – : ((إنك لا تهدي من أحببت)) قال : ((ليس عليك هداهم)) فهداية التوفيق بيد الله – تبارك وتعالى – , ووصفهم بالهداية هنا المراد بها هداية البيان ومن ذلكم قول اتلله تعالى في حق نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – : ((وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم)) أي هداية بيان وإيضاح وبيان وإرشاد أما هداية التوفيق فبيد الله – عز وجل – .

" **ورســـله الهـــداة للأنـــام** " ؛ أي للناس , جاءوا يحملون الهدى للناس والحق والخير للبشرية .

..... **مـن غـير تفـريق ولا إيهـام**

((لا نفرق بين احد من رسله)) بل نؤمن بهم أجمعين , فلا نفرق بين رسول وآخر ونبي وآخر بل نؤمن بهم جميعاً ونؤمن بأنهم بُعثوا بالحق والهدى ونؤمن أنهم على دين واحد وعقيدة واحدة وإن اختلفت الشرائع بين نبي وآخر كما قال النبي – عليه الصلاة والسلام – : " نحن الأنبياء أبناء علات , ديننا واحد وأمهاتنا شتى " أي شرائعنا مختلفة .

قال – رحمه الله – :

أولهـم نـوح بلا شـك كمـا أن محـمدا لهـم قـد ختمـا

وخمسة منهم أولوا العزم الألى في سورة الأحزاب والشورى تلا

الشرح :

لما ذكر الركن الرابع من أركان الإيمان والإيمان بالرسل فصّل فيه بعض الشيء , قال : " **أولهـم نـوح** " ووضح هذه الأولية بالشرح بقوله : " والمعنى أن نوحاً أول الرسل والنبيين بعد الاختلاف ".

قال : " **أولهـم نـوح بلا شـك** " ودليل ذلك قول الله تعالى : ((إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده)) , فأولهم نوح , " **بلا شـك** " ؛ أي في ذلك .

" ..... **كمـا أن محـمدا لهـم قـد ختمـا** "

كما قال الله تعالى : ((ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)) فهو ختم النبيين أي كان خاتمهم فلا نبي بعده , ولهذا صح عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه قال : " وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي " .

قال :

وخمسة منهم أولوا العزم الألى في سورة الأحزاب والشورى تلا

نوّه هنا بأولي العزم من الرسل وعددهم خمسة بأظهر أقوال أهل العلم وأشهرها في المراد بأولي العزم من الرسل وأن المراد بهم من ذكروا في آية الأحزاب وآية الشورى , آية الأحزاب قول الله – عز وجل – : ((وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً)) وآية الشورى قول الله تعالى : ((شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين)) فذكر هنا خمسة من الرسل ؛ أولهم محمد – عليه الصلاة والسلام – وهو أفضلهم – و نوح وإبراهيم وموسى وعيسى , ولهذا يمكن أن نقول : أفضل النبيين الرسل , لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسول , أفضل النبيين الرسل , وأفضل الرسل أولو العزم منهم , وأفضل أولو العزم محمد – عليه الصلاة والسلام – سيد ولد آدم – صلوات الله وسلامه عليه – وخاتم النبيين .

قال المصنف – رحمه الله تعالى – :

وبالمعـاد أيقـن بلا تـردد ولا ادعـاء علـم بـوقت الموعـد

لكننـا نـؤمن مـن غـير امـترا بكـل ما قد صح عن خير الورى

مـن ذكـر آيـات تكـون قبلهـا وهـي علامـات وأشـراط لهـا

الشرح :

بدأ الناظم – رحمه الله تعالى – يفصل القول بعض الشيء في الركن الخامس من أركان الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر أوالإيمان بالمعاد والإيمان بالبعث والنشور , فبدأ من هذا البيت يبين بشيء من التفصيل لما يتعلق بهذا الركن العظيم .

قال :

وبالمعـاد أيقـن بلا تـردد .....

" **أيقــن** " ؛ أي بالحق والهدى , كن في هذا الأمر على يقين , والمراد باليقين انتفاء الشك والريب كما قال الله تعالى : ((إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا)) أي أيقنوا ولم يشكوا .

" **أيقــن بلا تــردد** " ؛ أي لا يكن عندك أدنى تردد في البعث والنشور والحساب والجنة والنار فكن من ذلك على يقين .

..... **ولا ادعـاعلـم بـوقت الموعـد**

" **ادعـا** " ؛ هو مصدر للفعل " ادعى , يدعي , ادعاء " ولكن حذفت الهمزة مراعاة للوزن , أيقن بلا تردد ولا ادعاء , أيقن بالمعاد دون أن تتردد وأيضاً بدون أن تدعي وقتاً للمعاد فإن ادعاء وقتاً للمعاد قول بلا علم والله يقول : ((ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً)) والله – سبحانه وتعالى – اختص بعلم ذلك ((إن الله عنده علم الساعة)) وفي حديث جبريل لما قال للنبي – صلى الله عليه وسلم – : " متى الساعة ؟ قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل " لهذا ينبغي على الإنسان أن ينصرف عن البحث عن وقت الساعة في البحث عن العدة للساعة , لهذا لما جاء أعرابي وقال للنبي – عليه الصلاة والسلام – : " متى الساعة ؟ قال : ماذا أعددت لها ؟ " صرفه إلى ما ينبغي أن يُسأل عنه , صرفه عن ما لا ينبغي أن يسأل عنه إلى ما ينبغي أن يسأل عنه في هذا الباب وهو : " ماذا أعددت لها ؟ " فكان موفقاً في جوابه , قال : " ماذا أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله , قال : أنت مع من أحببت " فيقول الصحابة : " ما فرحنا بشيء بعد فرحنا بالإسلام مثل فرحنا بقول النبي – صلى الله عليه وسلم – أنت مع من أحببت " قال أنس – راوي الحديث – : " وأنا أحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأحب أبا بكر وعمر وأرجو الله أن يحشرني معهم وإن لم أعمل مثل عملهم " .

قال :

..... **ولا ادعـاعلـم بـوقت الموعـد**

أي موعد الساعة , فموعد الساعة أجل لا يعلمه إلا الله – سبحانه وتعالى – وهي آتية لاريب في أتيانها ((إن الساعة آتية لاريب فيها)) والذي ينبغي أن يتجه إليه اهتمام المرء المسلم هو العدة للساعة لا أن يبحث إلى امر لا سبيل له إلى العلم به وهو موعد الساعة .

وبين وقت وآخر تأتي تخرصات وتكلفات من الجاهلين , قول على الله بلا علم وادعاء لأوقات معينة يزعمون ان الساعة تقوم فيها ويفاجأ الناس بين وقت وآخر بتخرصات بعض المتخرصين والعوام يصدقون حتى إن في بعض المرات مثل هذه التخرصات أخذ بعضهم يسدد الديون ويستسمح من الناس لأنه قيل له يوم الجمعة

القادمة ستكون يوم القيامة وصدق , ولو كانوا يفقهون مثل هذه الآيات ومثل هذه الأحاديث لم يصدقوا أحداً كان أيا ما قالوه وأياً كان تبريره وأياً كان شرحه وإيضاحه , علم الساعة عند رب العالمين – جل وعلا– ((إن الله عنده علم الساعة)) وجبريل لما سأل النبي – صلى الله عليه وسلم – : "متى الساعة ؟ قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل " فعلمها عند الله – سبحانه وتعالى – ((يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً)) .

قال :

لكننا نؤمن من غير امترا .....

قوله : " **من غير امترا** " ؛ أي من غير شك وارتياب .

..... **بكل ما قد صح عن خير الورى**

نؤمن نحن معاشر أهل الإيمان وأهل الإسلام وأهل الحق والهدى من غير امتراء أي بغير تردد ولا ارتياب " **بكل ما قد صح عن خير الورى** " من ذكر آيات تكون قبلها وهي علامات وأشراط لها , فنبه هنا المصنف – رحمه الله تعالى – إلى أن الساعة لا تقوم إلا إذا جاءت أشراطها ((هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها)) فهي لا تقوم إلا إذا جاءت أشراطها وفي الحديث قال– عليه الصلاة والسلام – : " لا تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشرة آيات " فهي لا تقوم حتى تظهر أشراط الساعة وعلامات الساعة التي تكون بين يدي الساعة وهي علامات صغرى وكبرى كما قسمها أهل العلم هذا التقسيم , والعلامات الكبرى : هي العلامات التي تكون في آخر الزمان عند قرب قيام الساعة ودنو قيامها وشبهها أهل العلم بالنظم أو العقد إذا أنفرط تخرج تباعاً وهي علامات كبار مثل خروج الدجال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك من الآيات الكبار العظام التي تكون في نهاية الزمان ولا يكون للساعة قيام إلا بعد ظهور تلك العلامات , ولهذا قال :

لكننا نؤمن من غير امترا بكل ما قد صح عن خير الورى

من ذكر آيات تكون قبلها .....

أي مثل الإرهاصات والمقدمات تأتي بين يدي الساعة إذاناً بدنوها وقرب مجيئها وهي علامات وأشراط لها ؛ أي علامات للساعة وأشراط لها .

قال – رحمه الله تعالى – :

ويدخـل الإيمـان بـالموت ومـا مـن بعـده على العبـاد حتمـا

" **يدخـل الإيمـان بـالموت** " ؛ يعني يدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالموت وما بعده على العباد حتماً , بل العلماء عرّفوا الإيمان باليوم الآخر بتعريف جامع قالوا : " هو الإيمان بكل ما يكون بعد الموت " , فكل ما يكون بعد الموت هو من الإيمان باليوم الآخر ومن مات قامت قيامته فكل ما يكون بعد الموت هو من الإيمان باليوم الآخر بدأً بسؤال القبر , فتنة القبر , عذاب القبر ونعيمه ثم البعث والنشور والقيام لرب العالمين والحشر والموازين والصراط والجنة والنار كل ما يكون بعد الموت مما ثبت في كتاب الله وسنة نبيه – عليه الصلاة والسلام – فالإيمان به من الإيمان باليوم الآخر .

قال :

ويدخـل الإيمـان بـالموت ومـا مـن بعـده على العبـاد حتمـا

أي يدخل في الإيمان باليوم الآخر , الإيمان بالموت الذي قضاه الله – عز وجل – على الناس ((كل نفس ذائقة الموت)) والإيمان بالموت يتناول أموراً عديدة نبه عليها الشارح – رحمه الله – منها أن الموت حتماً وأن كل نفس ذائقة الموت حتماً كما قال في النظم :

..... مـن بعـده على العبـاد حتمـا

فالموت حتم وما بعده أيضاً حتم ؛ أي حاصل متحقق لاريب فيه , وأيضاً من الإيمان بالموت الإيمان بأن لكل إنسان أجل ((ولكل أمة أجل كتاب فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)) .

أيضاً الإيمان بالموت يتطلب من العبد أن يستعد لهذا الموت " تذكروا هادم اللذات " يقول – عليه الصلاة والسلام – فينبغي على العبد أن يكون من الموت على ذكر لا أن يكون منه على غفلة بل يكون دائماً متذكراً أنه سيموت وفي الحديث : " إذا أمسيت فلاتنتظر الصباح , وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء " تذكر دائماً أنك ستموت وأنك ستفارق هذه الحياة وأنك لن تبقى فيها وأنك ستلقى الله – عز وجل – وأنه محاسبك على ما قدمت في هذه الحياة , وذكر الموت وما بعده نافع للعبد في إصلاح حاله وتزكية نفسه والإقبال على ربه والبعد عن المعاصي والذنوب والآثام .

قال – رحمه الله – :

وأن كـــلا مقعـــد مســـؤول مـا الـرب ما الدين وما الرسول

وعنـــد ذا يُثبـــت المهيمـــن بثـابت القـول الـذين آمنـوا

ويـوقن المرتـاب عنـد ذلـك بــأن مــا مــورده المهــالك

الشرح :

ثم قال : " **وأن كــلا مقعــد مســؤول** " أي أن الميت يُقعد في قبره يأتياه ملكان أحدهما المنكر والآخر النكير ويجلسانه أي يقعدانه فيجلس في قبره والله – تبارك وتعالى – على كل شيء قدير نحن إذا رأينا المكان الذي يُدفن فيه الميت لا نرى فيه متسعاً لجلوس لكننا نعتقد اعتقاداً يقينياً لاريب فيه أن الميت يجلس في قبره والله – تبارك وتعالى – على كل شيء قدير فنؤمن – وهذا جزء من إيماننا باليوم الآخر – أن كل مقعد مسؤول , نؤمن بأن كل ميت مُقعد في قبره وأن كل مُقعد مسؤول , الميت يُبعث في قبره وإذا أقعد في قبره يُسأل ويوجه إليه ثلاث أسئلة : من ربك وما دينك ومن نبيك , وهو اختبار يُوجه إلى كل من يُدرج في القبر , وأسئلة الاختبار محددة مسبقاً مبينة مسبقاً وهي : من ربك وما دينك ومن نبيك , ولكن الأمر في ذلك المقام يحتاج إلى ما ذكره الله في قوله : ((يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء)) .

قال :

وأن كــلا مقعــد مســؤول مـا الـرب ما الدين وما الرسول

هذه هي الأسئلة , يُسأل هذه الأسئلة الثلاث : " **مـا الـرب ما الدين وما الرسول** " يُقال له : من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول المسلم : ربي الله , وديني الإسلام ونبيي محمد – صلى الله عليه وسلم – , ويقول المرتاب : هاه هاه ما أدري , سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته , المؤمن يثبته الله – سبحانه وتعالى – ويجيب على هذه الأسئلة العظيمة التي توجهه إلى من يُدرج في القبر يُقال له : من ربك وما دينك ومن نبيك ؟

وقد أحسن وأجاد الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – في تأليفه لرسالته " الأصول الثلاثة " التي شرح فيها شرحاً وافياً طيباً لهذه الأصول الثلاثة نصحاً للعباد وقد قال – عليه الصلاة والسلام – : " ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً " وهذا الرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد – صلى الله عليه وسلم – رسولاً فرع عن العلم بهذه الأصول وحقائقها في ضوء كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – وهو ما بينه الشيخ – رحمه الله تعالى – في كتابه العظيم " الأصول الثلاثة " .

قال : " **وعنـــد ذا** " ؛ أي في ذلك الوقت وفي ذلك المقام , " **يُثبـــت المهيمـــن** " ؛ أي الله – سبحانه وتعالى – , " **بثـابت القـول الـذين آمنـوا** " ؛ يشير إلى قوله سبحانه : ((يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء)) , ولهذا ينبغي على المسلم أن يسأل الله – عز وجل – الثبات والتثبيت والهداية والتوفيق والسداد ويتعوذ بالله – تبارك وتعالى – من الضلال لأن الأمر بيد الله – سبحانه وتعالى – .

قال :

ويـوقن المرتـاب عنـد ذلـك بـأن مـا مـورده المهـالك

" **المرتـاب** " ؛ أي الشاك الذي مات على الريب والشك – والعياذ بالله – " **يـوقن** " يعني يتحول ارتيابه في ذلك الوقت إلى يقين , يوقن المرتاب عند ذلك في أن " **مـورده المهـالك**" أي أنه صائر إلى الهلكة وإلى الردى ((وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين)) .

قال – رحمه الله – :

وباللقـا والبعـث والنشـور وبقيامنـا مـن القبـور

غـرلا حفـاة كجـراد منتشـر يقـول ذو الكفـران ذا يـوم عسـر

الشرح :

قال : " **وباللقـا والبعـث والنشـور** " ؛ أي ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان باللقاء ((فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً)) الإيمان باللقاء أي بلقاء الله – عز وجل – يوم القيامة ((يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه)) ((فمن كان يرجو لقاء ربه)) فالإيمان بلقاء الله داخل في الإيمان باليوم الآخر , " **والبعـث والنشـور** " ؛ أي إيماننا بأننا نبعث وننشر أي نُخرج من القبور ((ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره)) والنشر هو البعث وإقامة الناس من قبورهم لرب العالمين , فالإيمان باللقاء والبعث والنشور هو داخل في الإيمان باليوم الآخر .

" **وبقيامنـا مـن القبـور** " وفي بعض النسخ وهو الأقرب بل لعله الأصوب : " وبقيامنا بنفخ الصور " ,

وباللقا والبعث والنشور وبقيامنا بنفخ الصور

والذي يوضح أن هذا هو الأقرب لما كتبه الناظم – رحمه الله – قوله في الشرح : " أي وكما يدخل في الإيمان باليوم الآخر الموت وما بعده من فتنة القبر ونعيمه وعذابه وباللقاء والبعث والنشور وبالقيام من القبور كذلك يدخل في ذلك الإيمان بالصور والنفخ فيه " قال ذلك في شرح هذا البيت في كتابه " معارج القبول " , ولهذا الصواب – والله أعلم – :

وباللقا والبعث والنشور وبقيامنا بنفخ الصور

وبهذا يكون فيه معنى زائد أما على ما هو موجود في النسخ التي بين أيديكم

..... **وبقيامنـــا مـــن القبـــور**

يكون المعنى مكرر لما في الشطر الأول , لا يكون هناك معنى زائد وإنما يكون هناك تكرار لما قرر في البيت الأول , فالأقرب – والله أعلم – أن البيت :

وباللقا والبعث والنشور وبقيامنا بنفخ الصور

والصور قرن يُنفخ فيه كما بيّن ذلك – عليه الصلاة والسلام – ذلك في الحديث الصحيح قد وكل الله – سبحانه وتعالى – ملكاً بهذه المهمة وقد قال – عليه الصلاة والسلام – : " وكيف أنعم وقد ألتقم ملك الصور الصور وأصغى بسمعه ينتظر أن يؤمر " أي يؤمر بالنفخ , قد قال الله – سبحانه وتعالى – : ((ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون)) فنؤمن بالنفخ في الصور , إيماننا في النفخ في الصور هو من إيماننا باليوم الآخر لأن هذا من التفاصيل التي تكون في ذلك اليوم العظيم .

غـرلا حفـاة كجـراد منتشـر يقـول ذو الكفـران ذا يـوم عسـر

أي أن بقيامنا بالنفخ في الصور غرلاً , أي نقوم غرلاً , ومعنى " غرلاً " أي غير مختتنين , و" حفاة " ؛ أي غير منتعلين , و" عراة " ؛ أي لا ثياب علينا هذا معناه , يقوم الناس على هذه الصفة ؛ حفاة عراة غرلاً حتى إت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قالت للنبي – عليه الصلاة والسلام – : " الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟! قال : الأمر أعظم من ذلك " فيُحشر الناس على هذه الصفة : غرلاً حفاة , وجاء في بعض الأحاديث : عراة , وجاء أيضاً في بعض الأحاديث : بهماً – كما في حديث عبد الله بن أنيس في الأدب المفرد – وسألوه – عليه الصلاة والسلام – : " وما بهماً ؟ قال : أي ليس معهم من الدنيا شيء " أي جميع ما يمتلكونه من الدنيا لا يكون معهم منه ولا مقدار ذرة .

غـرلا حفـاة كجـراد منتشـر .....

" **كجـراد منتشـر** " , الجراد المنتشر أمره عجب – وأنا رأيته مرة – الجراد المنتشر المهاجر تراه مثل الجبال – أنا رأيته – تراه مثل الجبال في حركته وموجه في بعض وتحركه يدخل بعضه في بعض ومرتفع ارتفاعاً عالياً تدهش حقيقة لرأيته – وأنا رأيته مرة – وصورته حقيقة مذهلة جداً تراه يموج بعضه في بعض ومنتشر في مكان واحد وينتقل بحركة بطيئة ويموج بهذا الشكل .

" **غـرلا حفـاة كجـراد منتشـر** " الجراد المنتشر ليس جرادتين وثلاثة الذي تراه في بعض الأحيان ولكن هو ذلك الذي يأتي مهاجراً بتلك الكثافة يموج بعضه في بعض ويتداخل بعضه في بعض ويتحرك تراه يمشي أمامك كأنه جبل من كثرته وموج بعضه في بعض ((كأنهم جراد منتشر)) .

" **يقـول ذو الكفـران** " يعني في ذلك الموقف العصيب والموقف المهيل : " **ذا يـوم عسـر**" " **يقـول ذو الكفـران ذا يـوم عسـر** " ((وكان يوماً على الكافرين عسيراً)) عسر على الكافر لكن الله – سبحانه وتعالى – يهونه على أهل الإيمان , وذلك اليوم مقداره خمسين ألف سنة , مقدار ذلك اليوم الذي يقف الناس فيه ذلك الموقف مقداره خمسين ألف سنة , وتدنو الشمس من الخلائق في ذلك اليوم كمقدار ميل , ثم يتفاوت الناس في العرق في ذلك الموقف فالموقف عسير لكن الله – سبحانه وتعالى – يهونه على المؤمن ويكون ذلك اليوم الذي مقداره خمسين ألف سنة يكون في حق المؤمن كما بين الظهر إلى العصر كما جاء بذلك في الحديث في الحاكم وغيره عن نبينا – عليه الصلاة والسلام – كما بين الظهر إلى العصر يهونه الله – تبارك وتعالى – على أهل الإيمان .

قال – رحمه الله – :

ويُجـمع الخـلق ليـوم الفصـل جـميعهم علـويهم والسـفلي

فـي موقف يجـل فيـه الخـطب ويعظـم الهـول بـه والكـرب

الشرح :

قال : " **ويُجـمع الخـلق** " ؛ أي أولهم وآخرهم , يُجمع الأولين والآخرين ليوم الفصل ؛ أي لليوم الذي يفصل فيه الرب – تبارك وتعالى – بين العباد ويأتي بنفسه – تبارك وتعالى – ((وجاء ربك والملك صفاً صفاً وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى)) فيجيء – تبارك وتعالى – بنفسه للفصل بين العباد وللقضاء بين العباد .

ويُجمع الخلق ليوم الفصل جميعهم علويهم والسفلي

أي الذين في السماوات ومن كان على الأرض الكل يجمعون ((وجاء ربك والملك صفاً صفاً)) الملائكة يأتون ويجتمعون صفوف محدقة بالبشر محيطة به ((وجاء ربك والملك صفاً صفاً)) أي صفاً من وراء صف محيطين بالخلائق , فهذا جمع الله – عز وجل – للعالم العلوي وأيضاً العالم العلوي يجمع الله الخالق يجمع الأولين والآخرين في ذلك اليوم , قال : " **في موقف يجل فيه الخطب** " ؛ أي يكون الشأن فيه عظيماً ومهيلاً , " **يجل فيه الخطب ويعظم الهول به والكرب** " أي أن الكرب يشتد والهول يعظم والخطب يجل ويكبر في ذلك اليوم العظيم .

قال – رحمه الله – :

وأحضروا للعرض والحساب وانقطعت علائق الأنساب

وتراكمت سحائب الأهوال وانعجم البليغ في المقال

وعنت الوجوه للقيوم واقتص من ذي الظلم للمظلوم

الشرح :

ثم قال : " **وأحضروا** " ؛ أي الخلائق للعرض ((يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية)) تزينوا للعرض على الله , فيُحضرون للعرض والحساب , يُحاسب الناس على أعمالهم وعلى ما قدموا في هذه الحياة .

وأحضروا للعرض والحساب وانقطعت علائق الأنساب

العلائق هي الروابط , والروابط تنقطع في ذلك اليوم كما قال الله : ((وتقطعت بهم الأسباب)) ((فإذا نُفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون)) قال تعالى : ((ولا يسأل حميم حميماً)) قال تعالى : ((يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امريء منهم يومئذ شأن يغنيه)) .

قال : **وتراكمت سحائب الأهوال** .....

" **وتراكمت** " ؛ أي اجتمعت , " **سحائب الأهوال** " ؛ أي الشدائد والأمور الهائلة العظيمة الفضيعة , " **وانعجم البليغ في المقال** " , " **البليغ في المقال** " ؛ أي صاحب البلاغة والفصاحة ينعجم لسانه ما يستطيع أن يتكلم بشيء أو أن ينطق بحرف .

" **وانعجم البليغ في المقال** " ؛ أي أُسكت فلم يتكلم , " **وعنت الوجوه** " ؛ أي ذلت " **للقيوم** " والقيوم هو الله – سبحانه وتعالى – أي القائم بنفسه والقائم بشؤون خلقه , " **واقتص من ذي الظلم للمظلوم** " ؛ أي يقتص للمظلوم من ظالمه , ولهذا جاء في حديث عبد الله بن أنيس أن الله – سبحانه وتعالى – يقول : " أنا الملك , أنا الديان , ثم يقول : لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أقتصها منه , و لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنة عليه مظلمة حتى أقتصها منه , قال الصحابة : وكيف ذلك يا رسول الله وهم إنما جاءوا بهماً ؟ قال : بالحسنات والسيئات " أي يؤخذ من حسنات الظالم ويُعطى للمظلوم فإذا فنيت حسنات الظالم أُخذ من سيئات المظلوم أو المظلومين وطرحت على الظالم فطرح في النار – عياذاً بالله تبارك وتعالى من ذلك – , هذا معنى قوله : " **واقتص من ذي الظلم للمظلوم** " ؛ أي اقتص للمظلوم من ظالمه , وهذا أيضاً معنى قول النبي – عليه الصلاة والسلام – : " لتأدن الحقوق يوم القيامة ".

والله أعلم، وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الدرس العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال الناظم – رحمه الله تعالى – :

وساوت الملوك للأجناد وجيء بالكتاب والأشهاد

وشهدت الأعضاء والجوارح وبدت السوءآت والفضائح

وابتليت هنالك السرائر وانكشف المخفي في الضمائر

الشرح :

بسم الله الرحمن الرحيم , إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا , من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له , وأشهد أن لا غلأه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ,

أما بعد ,,

لا يزال الكلام عند الناظم – رحمه الله تعالى – حول تفاصيل اليوم الآخر وما يكون في ذلك اليوم العظيم من أهوال فظيعة وشدائد عظيمة وأمور كثيرة متنوعة جاءت تفاصيلها في كتاب ربنا – عز وجل – وسنة نبينا – صلوات الله وسلامه عليه – , وذكر الناظم – رحمه الله تعالى – شيئاً من هذه التفاصيل فيما مضى من الأبيات ولا يزال الكلام عنده عن تفاصيل الإيمان باليوم الآخر , يقول هنا :

وســاوت الملــوك للأجنــاد وجــيء بالكتــاب والأشــهاد

أي في ذلك اليوم يتساوى الملوك والأجناد والرؤساء والرعية , يكون الجميع متساوين لا فرق بين رئيس ومرؤوس ولا فرق بين غني وفقير , لا فرق بين ملك وجند من الجنود لا فرق بين هؤلاء تتساوى الرؤوس , في ذلك اليوم يقول الله تعالى : أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ , ويقول :أنا الملك , أنا الديان – كما في بعض الأحاديث – .

والمراد بتساوي الرؤوس : أي بحسب الفروقات التي كانت بينهم في أمور الدنيا أما فيما يتعلق في أمر الدين فليس هناك تساوياً بل بينهم فروقات وبينهم تمايز وتفاضل منهم السابق ومنهم المقتصد ومنهم الظالم لنفسه ومنهم الظلمة والكفار والفسقة والفجار فهي هذا الاعتبار ليسوا متساويين , والتساوي الذي يعنيه الناظم – رحمه الله تعالى – باعتبار أمور الدنيا التي كانوا عليها من ملك وزعامة أو رئاسة أو حسب أو نسب قال تعالى : ((فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينهم فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون)) وفي الحديث قال – عليه الصلاة والسلام – : " من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه " والله تعالى يقول : ((إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)) فالشاهد هناك تفاضل بين الخلائق باعتبار أمر الدين ولزومه وأما فيما يتعلق في أمور الدنيا تنتهي بإنتهاء الدنيا , الملك أو الزعيم أو الرئيس أو ما إلى ذلك تنتهي هذه الأمور , كذلك الغني ومن له شأن في أمر من أمور الدنيا كلها تنتهي بموته وليس هناك في الآخرة تفاضل بين الناس في هذه الأشياء , والعبرة بالصلاح والاستقامة والتقوى ولهذا من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل , هذا تفاضل وله اعتباره يوم القيامة ولهذا كان من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

قال :

وســاوت الملــوك للأجنــاد وجــيء بالكتــاب والأشــهاد

" **وجــيء بالكتــاب** " ؛ أي صحائف الأعمال كما قال الله – عز وجل – : ((ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً)) , فيجاء بالكتب التي هي صحائف الأعمال وهي صحائف دون فيها كل ما عمله الإنسان ((أحصاه الله ونسوه))

فكل ما عمله الإنسان مدون ومكتوب عملاً عملاً صغر أو كبر كل ذلك مكتوب في كتاب أحصي فيه عمل الإنسان , ويجاء بهذا الكتاب يوم القيامة ويرى كل إنسان تفاصيل أعماله وخفايا أموره يرى ذلك كله في كتابه , قال : " **وجـيء بالكتـاب والأشـهاد**" ؛ أي جيء بالشهود , ومن ذلكم قول الله – عز وجل – : ((وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً)) فيجاء في ذلك اليوم بالكتاب ويجاء أيضاً بالأشهاد .

قال :

وشـهدت الأعضـاء والجـوارح وبـدت السـوءآت والفضـائح

قوله : " **وشـهدت الأعضـاء والجـوارح** " ؛ أي على مقارفي السيئات ومرتكبي الآثام والجرائم فإن جوارحهم تشهد عليهم وتنطق بما كانوا يعملون ؛ ينطقها الله – تبارك وتعالى – الذي أنطق كل شيء كما قال – عز وجل – : ((ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وما كنتم تسترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين)) فتشهد الأعضاء ؛ تشهد اليد وتشهد القدم وتشهد وتشهد الجلود ينطقها الله – تبارك وتعالى – الذي أنطق كل شيء فتنطق على أصحابها بأعمالهم ؛ تقول اليد : فعل كذا وكذا وكذا , وتقول القدم : فعل كذا وكذا وكذا , وتقول الجلد : فعل كذا وكذا تنطق متكلمة بكلام يسمع بما أقترفه الإنسان , تنطق يده وينطق جلده وتنطق رجله عليه بما كان يعمل .

قال : " **وشـهدت الأعضـاء والجـوارح** " وعطف الجوارح على الأعضاء عطف تفسير , فالجوارح هي الأعضاء .

وشـهدت الأعضـاء والجـوارح وبـدت السـوءآت والفضـائح

ولهذا يُقال لذلك اليوم يوم الخزي ويوم الفضائح لأنه في ذلك اليوم كل مبطن أو مخفي كل ذلك ينكشف وينفضح , وأرباب الجرائم أيضاً ينفضحون فهو يوم الفضائح وفي دعاء إبراهيم – عليه السلام – : ((ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم)) فهو يوم خزي , ولهذا يسأل الله – تبارك وتعالى – المؤمن أن لا يخزيه في ذلك اليوم .

قال :

..... **وبـدت السـوءآت والفضـائح**

وابتليـت هنـالك السـرائر .....

" **هنـالك** " ؛ أي في ذلك اليوم , و " **السـرائر** " ؛ أي ما كان مخفياً غير معلن كل ذلك ينكشف ويظهر في ذلك اليوم ((إذا بُعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور)) .

وانكشف المخفي في الضمائر .....

أيضاً في ذلك اليوم الأمور التي يخفيها الإنسان في ضميره من نيات سيئة ومقاصد سيئة وبطانات سوء يضمرها قلبه وحقد وغل وغير ذلك كل ذلك ينكشف في ذلك اليوم العظيم .

قال – رحمه الله – :

ونشـرت صحـائف الأعمـال تؤخـذ بـاليمين والشـمال

طـوبى لمـن يـأخذ بـاليمين كتابـه بشـرى بحـور عيـن

والـويل للآخـذ بالشـمال وراء ظهـر للجحـيم صـالي

الشرح :

ثم ذكر – رحمه الله تعالى – في هذه الأبيات نشر الصحائف – صحائف الأعمال – ((وإذا الصحف نشرت)) فتكلم هنا عن نشر صحائف الأعمال وذكر أن الصحائف على قسمين بينها بقوله : " **تؤخـذ بـاليمين والشـمال** " ؛ فقسم منها يؤخذ باليمين ؛ وهي صحائف أهل الإيمان , وقسم منها يؤخذ بالشمال وهي صحائف الكفار , فالمؤمن يأخذ كتابه بيمينه والكافر يأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره .

قال :

ونشـرت صحـائف الأعمـال تؤخـذ بـاليمين والشـمال

قال :

طـوبى لمـن يـأخذ بـاليمين كتابـه بشـرى بحـور عيـن

" **طـوبى** " ؛ قيل في معناها : الثواب العظيم , وقيل : بل هي الجنة , وقيل شجرة في الجنة وقد قال الله تعالى : ((الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب)) .

قال : " **طـوبى لمـن يـأخذ بـاليمين** " ؛ أي لمن يأخذ كتابه بيمينه قد قال تعالى : ((فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم أقرأوا كتابيه إني ظننت أني ملاقي حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية)) فيكون فرحاً مسروراً بهذه النتيجة السارة والفوز العظيم ألا وهو أخذه كتابه بيده اليمنى تكريماً له وتشريفاً فيفرح ويسر بذلك سروراً عظيماً , وهذا هو الفوز المبين والفوزالعظيم الذي يحصل به النجاة من النار ((فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)) وهذا هو الفوز الأكبر بهذا يوصف في القرآن ؛ الفوز المبين , الفوز العظيم , الفوز الأكبر أو الفوز الكبير , وللأسف أن مفهوم الفوز في أفهام كثير من الشباب والناشئة انحصر في اللهو واللعب ولا يكاد يفهم معنى الفوز ولا ينقدح

في ذهنه عند ذكر الموت إلا اللعب , وأما الفوز الحقيقي والفوز الأكبر والفوز المبين والفوز العظيم فكثير منهم عنه غافل ولا يستشعر هذا الفوز العظيم وإلا من يستشعر هذا الفوز يعد له العدة ويتهيأ له

قال :

طـوبى لمـن يـأخذ بـاليمين كتابـه بشـرى بحـور عيـن

أي يبشر بحور العين أي في الجنة , أي بشارة له في الجنة وكرامة له ورضا الله عنه وفوزه بنعيم الجنة ومسارها , هذا من ؟ أوتي كتابه باليمين .

قال : " **والــويل** " ؛ وهو العذاب الشديد والنكال الأليم , وقيل وادي في جهنم " **للآخــذ بالشــمال** " ؛ أي للآخذ كتابه بشماله من وراء ظهره ولهذا قال :

والــويل للآخــذ بالشــمال وراء ظهــر .....

فالويل له لمن يؤتى كتابه يوم القيامة بهذه الصفة بأن يأخذه بشماله من وراء ظهره .

قال : " **للجحـيم صــالي** " ؛ أي يصلى الجحيم ويدخل نار جهنم – والعياذ بالله – , فبي هذه الأبيات ذكر – رحمه الله – صحائف الأعمال وأنها تؤخذ باليمين والشمال ؛ باليمين في حق أهل الإيمان وبالشمال في حق أهل الكفر .

قال – رحمه الله تعالى – :

والـوزن بالقسـط فلا ظلـم ولا يؤخـذ عبـد بسـوى مـا عـملا

فبيــن نــاج راجــح ميزانــه ومقــرف أوبقــه عدوانــه

الشرح :

ثم قال – رحمه الله – : " **والــوزن بالقســط** " ذكر هنا الميزان ((ونضع الموازين القسط ليوم القيامة)) فذكر هنا الميزان , وهو ميزان حقيقي ينصب يوم القيامة له كفتان ؛ كفة يوضع فيها الحسنات وكفة توضع فيها السيئات , توضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة كما سيأت في حديث عبد الله بن عمرو .

قال الناظم : " **والــوزن بالقســط** " ؛ أي بالعدل , القسط : العدل , فتنصب الموازين ليوم القيامة وهي موازين عدل ودقيقة والوزن فيها بمثاقيل الذر كما قال ربنا – عز وجل – : ((ومن يعمل مثقال ذرة خير يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)) فالوزن بمثاقيل الذر وهو وزن قسط عدل لا ظلم فيه ولا هضم ((فلا يخاف ظلماً ولا هضماً)) , لا يخاف ظلماً بأن توضع عليه سيئات لم يعملها , ولا يخاف هضماً بأن يؤخذ من حسنات عملها , فلا ظلم بل توزن الأعمال ؛ الحسنات والسيئات .

قال :

والـوزن بالقسـط فلا ظلـم ولا يؤخـذ عبـد بسـوى مـا عـملا

قوله : " **والـوزن بالقسـط فلا ظلـم ولا يؤخـذ عبـد بسـوى مـا عـملا** "

هو معنى قوله : ((فلا يخاف ظلماً ولا هضماً)) فلا ظلم , لا يظلم أحد بأن يؤخذ من حسناته أو أن يعطى سيئات لم يعملها أو نحو ذلك لا ظلم ولا هضم أيضاً , ولا يهضم إنساناً عمله ولا يُضيع عليه عمله ((فلا يخاف ظلماً ولا هضماً))

..... فلا ظلـم ولا يؤخـذ عبـد بسـوى مـا عـملا

أي لا يُحاسب الإنسان ولايُجازى يوم القيامة إلا بأعماله ((ولا تزروا وازرة وزر أخرى)) كل يجازى بما عمل ؛ يجازى بالحسنات إحياناً ويجازى بالسيئات – أيضاً – عقوبة وخسراناً مثلما قال – عز وجل – : ((هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)) وقال – عز وجل – : ((ثم كان عاقبة الذين آساءوا السوء)) .

قال :

فبيـن نـاج راجـح ميزانـه ومقـرف أوبقـه عدوانـه

أي أن الناس على إثر الوزن الذي يكون يوم القيامة ينقسمون إلى قسمين ؛ قسم ناج وهو من رجح ميزانه أي بالحسنات كما قال الله – تبارك وتعالى – : ((فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون)) أي الناجون الفائزون الرابحون وهو من ثقلت موازينه أي بالحسنات

فبيـن نـاج راجـح ميزانـه ومقـرف(هذا القسم الثاني)**أوبقـه عدوانـه**

" **مقـرف** " ؛ أي مرتكب أو مقترف للذنوب والسيئات والآثام ," **أوبقـه عدوانـه**" ," **أوبقـه** " ؛ أي أهلكه , ولهذا تسمى الكبائر الموبقات , وفي الحديث قال – عليه الصلاة والسلام – : " اجتنبوا السبع الموبقات " الموبقات أي المهلكات , " **مقـرف** " أي مرتكب للذنوب , مقترف للمعاصي والآثام ," **أوبقـه** " ؛ أي أهلكه , " **عدوانـه**" ؛ أي بارتكابها.

والوزن الذي يكون يوم القيامة هو وزن للأعمال وللعاملين وللصحائف كل ذلك يوزن , الأعمال توزن والصحائف توزن كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : " يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسع وتسعون سجلاً كل سجل منها مد البصر , فيقال له : أ تنكر من ذلك شيئاً ؟ فيقول : لا , فيقال له : ألك حسنة ؟ فيقول : لا , فيُخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فيقول : ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟! قال : فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فثقلت البطاقة وطاشت السجلات ولا يثقل مع اسم الله شيء " هذا فيه دليل واضح على أن الصحائف توزن – صحائف الأعمال – توضع في الميزان , وأيضاً دل الدليل على أن العاملين يوزنون مثلما قال النبي – عليه الصلاة والسلام – عن ساق عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : " والذي نفسي بيده إنها في الميزان لأثقل من جبل أحد " ساقه كانت نحيلة ضعيفة فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : " والذي نفسي بيده إنها في الميزان لأثقل من جبل أحد " فهذا دليل على أن العاملين يوزنون

, والأعمال أيضاً توزن , كل ذلك دلّ الدليل عليه , ودليل أن الأعمال توزن قوله – عليه الصلاة والسلام – : "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان إلى حبيبتان الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " .

قال – رحمه الله – :

وينصب الجسر بلا امتراء كما أتى في محكم الأنباء

يجوزه الناس على أحوال بقدر كسبهم من الأعمال

فبين مجتاز إلى الجنان ومسرف يكب في النيران

الشرح :

ثم تكلم هنا في هذه الأبيات عن الصراط الذي يُنصب على متن جهنم , قال : " **وينصب الجسر بلا امتراء** " , " **وينصب الجسر**" ؛ أي يُوضع الجسر على متن جهنم أي على ظهرها , يُوضع جسر ؛ أي صراط على متن جهنم , قال : " **بلا امتراء** " ؛ أي بلا شك ولاريب , هذا أمر متحقق حصوله ويُطلب من الناس أن يعبروا من فوق هذا الصراط وهو ينصب على متن جهنم وقد قال الله تعالى : ((وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً)) فهو صراط حقيقي يمد وينصب على متن جهنم ثم يُطلب من الناس أن يمروا على هذا الصراط , قال : "**كما أتى في محكم الأنباء**" ؛ أي كما جاء في الأنباء والأخبار المحكمة الثابتة الصحيحة عن رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – .

قال : " **يجوزه الناس** " , " **يجوزه** " ؛ أي يعبره الناس ويمرون من عليه , يمشون من فوقه .

يجوزه الناس على أحوال بقدر كسبهم من الأعمال

" **يجوزه** " ؛ أي يعبره الناس ويمرون من عليه " **على أحوال** " ؛ أي ليسوا في مروره عليه على حال واحدة بل متفاوتون , إلى ماذا يرجع هذا التفاوت في العبور على الصراط ؟ قال : " **بقدر كسبهم من الأعمال** " , فتفاوتهم في المرور على الصراط راجع إلى تفاوتهم في الأعمال , لذلك منهم من يمر مثل البرق , ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كأجاويد الخيل ومنهم من يمر كركاب الإبل ومنهم من يمر جرياً ومنهم من يمر مشياً ومنهم من يمر زحفاً ليسوا متساوين في مرورهم على الصراط الذي ينصب على متن جهنم .

ثم هم في المرور وعدمه قسمين ؛ قال :

فبين مجتاز إلى الجنان ومسرف يكب في النيران

قسمين ؛ القسم الأول مجتاز ؛ أي يعبر وهم من قال الله – تبارك وتعالى – عنهم ((فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز)) فقسم يزحزح عن النار ويُكرم بالعبور من فوق هذا الصراط الذي يُنصب على متن جهنم فيكون من الناجين .

قال :

فبيـن مجتـاز إلـى الجنـان ومسـرف .....

" **ومسـرف** " ؛ أي أسرف على نفسه بالآثام التي أوجبت وقوعه في النار , " **ومسـرف يكـب فـي النـيران** " , " **يكـب فـي النـيران** " والكب يكون على الوجه , " **يكـب فـي النـيران** " ؛ أي يُلقى فيها على وجهه .

نسأل الله – عز وجل – لنا جميعاً السلامة والعافية , اللهم سلم سلم .

قال – رحمه الله – :

والنـار والجنـة حـق وهمـا موجودتـان لا فنـاء لهمـا

ثم في هذا الفصل بيّن – رحمه الله تعالى – ما يتعلق بالجنة والنار في هذا البيت الجامع – حقيقة – , قال :

والنـار والجنـة حـق وهمـا موجودتـان لا فنـاء لهمـا

هذا بيت جامع أتى فيه – رحمه الله تعالى – على ما يجب اعتقاده فيما يتعلق بالجنة والنار , ويتلخص ما ذكره – رحمه الله تعالى – في هذا البيت مما يجب اعتقاده فيما يتعلق في الجنة والنار في أمور ثلاثة ؛ الأمر الأول : مستفاد من قوله : " **والنـار والجنـة حـق** " ؛ فهذا الأمر الأول مما يجب اعتقاده في الجنة والنار أن نؤمن ونعتقد أنها حق بلا امتراء والدلائل على أن النار حق والجنة حق كثيرة في كتاب ربنا وسنة نبينا – صلوات الله وسلامه عليه – ((يا أيها الذي آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة)) وجاءت آيات كثيرة في وصف الجنة وصفاتها وما فيها من النعيم فإذن الأمر الأول الذي يجب أن نعتقده في الجنة والنار أن تعتقد أن الجنة والنار حق , ولهذا جاء في صحيح البخاري عن عبادة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : " من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه , والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل " الحديث متفق عليه , أيضاً ما جاء في استفتاح النبي – عليه الصلاة والسلام – في صلاة الليل قال : " أنت الحق ووعدك حق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق " فإذن هذا هو الأمر الأول مما يجب اعتقاده في الجنة والنار وأنهما حق.

الأمر الثاني : في قوله : " **وهمـا موجودتـان** " ؛ أي الآن , الجنة والنار موجودتان الآن مخلوقتان موجودتان الآن ليستا تخلقان يوم القيامة وتوجدان يوم القيامة بل هما مخلوقتان وموجودتان ودلت الدلائل الكثيرة أن النار مخلوقة موجودة وأن الجنة مخلوقة موجودة ومن ذلكم قوله تعالى عن الجنة : ((أعدت للمتقين)) وقوله عن النار : ((أعدت للكافرين)) فهي معدة ومهيأة وموجودة , وهذا الأمر الثاني مما يجب أن نعتقده في الجنة والنار .

الأمر الثالث : في قوله : " **لا فنـاء لهمـا** " ؛ أي أن الجنة والنار باقيتان لا تفنيان أبد الآباد , وأهل الجنة الذين هم أهلها باقون فيها مخلدون فيها أبد الآباد , وأهل الجنة الذين هم أهلها باقون فيها مخلدون فيها أبد الآباد وأهل النار الذين هم أهلها أيضاً مخلدون فيها باقون فيها أبد الآباد ((لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها)) .

قال – رحمه الله – :

وحوض خير الخلق حق وبه يشرب في الأخرى جميع حزبه

ثم ذكر في هذا البيت الحوض المردود لنبينا الكريم – عليه الصلاة والسلام – , قال :

وحوض خير الخلق حق وبه يشرب في الأخرى جميع حزبه

" **وحوض خير الخلق حق** " ؛ أي مما يجب أن تعتقده ونؤمن به فيما يتعلق بيوم القيامة الإيمان بالحوض المورود , والأحاديث الواردة عن النبي – عليه الصلاة والسلام – في الحوض متواترة وهي أحاديث كثيرة جاءت في ذكر الحوض وصفته وأن ماءه أحلى من العسل وذكر كيزانه – عليه الصلاة والسلام – وذكر هيأته ومسافته وذكر أموراً كثيرة تتعلق به , وأن من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً , فمن الواجب اعتقاد – فيما يتعلق باليوم الآخر – الحوض وأنه حق .

" **وبه يشرب في الأخرى جميع حزبه** " ؛ أي جميع حزب النبي – صلى الله عليه وسلم – وهم اتباعه السائرون على نهجه المقتفون لأثره , الغير مبدلين ولا مغيرين فهؤلاء كلهم يشربون من الحوض المورود شربة هنيئة لا يظمأون بعدها أبداً .

قال : " **وبه يشرب في الأخرى** " , " **وبه يشرب** " وعدى الفعل " **يشرب** " بالباء لأنه ظمنه معنى الري لأنهم بهذا الشرب يرتوون ولا يظمأون لا يحصل لهم ظمأ ولهذا قال : " **وبه يشرب في الأخرى جميع حزبه** " ؛ أي حزب النبي – صلى الله عليه وسلم – وهذا فيه تنبيه إلى ما جاء في الحديث أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : " يذاد أقوام عن الحوض فأقول : أصحابي , أصحابي فيقال : إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك " فهذا فيه دليل على أن من أحدث وغيّر وبدل لا يكون من أهل الورود للحوض حوض خير الخلق – صلوات الله وسلامه عليه – .

قال – رحمه الله – :

كذلك له لواء حمد ينشر وتحته الرسل جميعاً تحشر

في هذا البيت ذكر لواء الحمد الذي ينشر لنبينا الكريم – عليه الصلاة والسلام – " **وتحته الرسل جميعاً تحشر** " ولهذا جاء في الحديث أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر , وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي " .

قال – رحمه الله – :

كذا له الشفاعة العظمى كما قد خصه الله بها تكرما

من بعد إذن الله لا كما يرى كل قبوري على الله افترى

ثم في هذا البيت – وأبيات تأتي بعده – تكلم عن الشفاعة بأنواعها ؛ سواء الشفاعة العظمى أو الشفاعات التي تكون يوم القيامة .

قال – رحمه الله – :

كذا له الشفاعة العظمى كما قد خصه الله بها تكرما

" **كذا له** " ؛ أي للنبي الكريم محمد – صلى الله عليه وسلم – , " **الشفاعة العظمى** " ؛ أي يوم القيامة وهي المقام المحمود الذي قال الله تعالى عنه : ((عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً)) فهذه الشفاعة العظمى له – لنبينا – عليه الصلاة والسلام– وهي له خاصة دون غيره – عليه الصلاة والسلام – وهي المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون الذي قال الله – تبارك وتعالى – عنه : ((عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً)) والمراد بهذه الشفاعة شفاعته – عليه الصلاة والسلام – للخلائق بأن يبدأ الله – سبحانه وتعالى – في حسابهم ومجازاتهم لأنهم في ذلك اليوم العصيب يأتون إلى الأنبياء –كما في حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيره – يأتون إلى الأنبياء ويطلبون منهم أن يشفعوا لهم عند الله فيعتذروا , يأتون إلى آدم فيعتذر , إلى نوح فيعتذر وإلى إبراهيم فيعتذر , إلى موسى فيعتذر , وإلى عيسى فيعتذر كل واحد يحيل على الآخر – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – إلى أن يحيلهم عيسى إلى نبينا – صلى الله عليه وسلم – فيقول : " أنا لها " ثم يسجد – صلى الله عليه وسلم – تحت العرش , يخر ساجداً ويحمد الله بمحامد قال – عليه الصلاة والسلام– كما في البخاري – وفي بعض الروايات : يفتح الله بها عليّ , فيحمد الله بتلك المحامد فيقول الله له : " أرفع رأسك واشفع تشفع وسل تعطَ " فهذا هو المقام المحمود وهو الشفاعة العظمى وهو خاص بنينا الكرم – صلوات الله وسلامه عليه – .

قال : " **قد خصه الله بها تكرما** " , " **خصه** " ؛ أي النبي – صلى الله عليه وسلم – , " **الله بها تكرما** " ؛ أي خصه الله بهذه الشفاعة فهي خاصة له تكرماً من الله وتفضلاً على نبيه الكريم محمد – صلوات الله وسلامه عليه – .

قال : " **من بعد إذن الله** " ؛ أي هذه الشفاعة وكل شفاعة تكون يوم القيامة لابد فيها من هذا الشرط , لابد فيها من هذا القيد وهو إذن الله قال تعالى : ((من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه)) وقال تعالى : ((ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له)) وقال تعالى : ((وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)) ولهذا ذكر – رحمه الله – هذا القيد قال : " **من بعد إذن الله** " ؛ أي له , ليس هناك أحد يشفع ابتداء بل ليس هناك شفاعة إلا من بعد إذن الله , ولهذا قال – عليه الصلاة والسلام –كما في صحيح مسلم – : " لكل نبي دعوة مستجابة , وإني ادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وهي نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئاً " فالأمر بمشيئة الله وبإذنه – تبارك وتعالى – .

قال :

من بعد إذن الله لا كما يرى كل قبوري على الله افترى

" **كل قبوري** " ؛ أي المتعلقين بالقبور المعتقدين في المقبورين المتجهين إلى أهل القبور في السؤال والطلب وعرض الحاجات فهؤلاء عقيدتهم في المقبورين في باب الشفاعة عقيدة شركية عقيدة باطلة ولهذا يتوجهون إلى المقبورين متذللين خاضعين خاشعين راجين باكين طامعين يعرضون عليهم حاجاتهم , يطلبون المدد , يطلبون المغفرة ويطلبون العافية ويطلبون الصحة

ويطلبون الولد وغير ذلك من المطالب والحاجات التي لا تطلب إلا من الله – سبحانه وتعالى – قال الله – عز وجل – : ((ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)) هذه عقيدة باطلة أبطلها الله – سبحانه وتعالى – في كتابه , أبطلها النبي –صلى الله عليه وسلم – في سنته , ولهذا حذر الشيخ – رحمه الله – من هذا الاعتقاد الباطل بقوله: **من بعد إذن الله لا كما يرى كل قبوري على الله افترى**

وهذا من الافتراء على الله – سبحانه وتعالى – والقول عليه وعلى دينه وفي شرعه بلا علم بل بالباطل والضلال والظلم والزور , ولهذا لما اعتقد هؤلاء في المقبورين هذه العقيدة تعلقوا بالمقبورين وكان من وراء تعلق هؤلاء بالمقبورن أشياخ ضلال وأئمة باطل قد قال نبينا – عليه الصلاة والسلام- : " إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين " ولهذا كان يغرس فيهم بعض أشياخ الضلال وأئمة الباطل مثل هذه الأمور كما يقول أحد هؤلاء الأشياخ لتلاميذه : " ليس بشيخ – أو بولي – من يحول بينه وبين تلامذته ذراع من تراب " أي يقصد أنني إذا دفنت ووضعت في التراب هذا التراب ما يحول بينكم وبيني بل تعالوا وأعرضوا عليّ حاجاتكم وطلباتكم , فغرسوا فيهم مثل هذه العقائد الباطلة وبقي هؤلاء متعلقين بهؤلاء معتقدين فيهم هذه العقائد الباطلة المصادمة لكتاب الله – عز وجل – وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم –كل المصادمة .

قال – رحمه الله – :

يشفع أولا إلى الرحمن في فصل القضاء بين أهل الموقف

من بعد أن يطلبها الناس إلى كل أولي العزم الهداة الفضلا

ذكر هنا الشفاعة الأولى وهي الشفاعة العظمى , قال : " **يشفع** " ؛ أي نبينا – صلى الله عليه وسلم – " **أولا إلى الرحمن** " ؛ إلى الله – سبحانه وتعالى – " **في فصل القضاء بين أهل الموقف** " ؛ أي يطلب من الله – سبحانه وتعالى – ويحمد الله ويثني عليه ويسأله – تبارك وتعالى – أن يبدأ بفصل القضاء فيقول الله له : " أرفع رأسك وسل تعط وأشفع تُشّفع " فيجيء الرب كما قال الله سبحانه : ((وجاء ربك والملك صفاً صفاً وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى)) .

قال :

من بعد أن يطلبها الناس إلى كل أولي العزم الهداة الفضلا

" **الناس** " ؛ أي في الموقف يطلبونها من أولي العزم , وأول ما يبدأون بآدم ثم بنوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى كل من واحد من هؤلاء يعتذر كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة إلى أن يحيلهم عيسى – عليه السلام – إلى نبينا – صلى الله عليه وسلم – فيقول : " أنا لها " , قوله : " **إلى كل أولي العزم** " ؛ عرفنا أن أولي العزم عددهم خمسة جمعهما لله – سبحانه وتعالى – في آيتين ؛ آية في سورة الأحزاب وآية في الشورى كما سبق بيان ذلك عند الناظم – رحمه الله تعالى – .

قال – رحمه الله – :

وثانيا يشفع في استفتاح دار النعيم لأولي الفلاح

هذا وهاتان الشفاعتان قد خصتا به بلا نكران

قال : " **وثانيا** " في الشفاعات وهي شفاعة خاصة بنبينا – صلى الله عليه وسلم – قال : " **يشفع في استفتاح دار النعيم** " ؛ أي يشفع – صلوات الله وسلامه عليه – لأهل الجنة بأن يُفتح لهم بابها – باب الجنة – ولهذا قال – عليه الصلاة والسلام– كما في الصحيح : " وأنا أول من يقرع باب الجنة " ويقول له الملك : " بك أمرت أن أفتح وأن لا أفتح لأحد قبلك " فهو – عليه الصلاة والسلام – يستفتح باب الجنة وهذه شفاعة خاصة به , فخُص – عليه الصلاة والسلام– بشفاعات ؛ خُص بالعظمى –كما تقدم – وخُص أيضاً بهذه الشفاعة ألا وهي أنه أول من يستفتح باب الجنة .

قال :

وثانيا يشفع في استفتاح دار النعيم لأولي الفلاح

قال : " **لأولي الفلاح** " ؛ أي الفوز , أهل الجنة هم المفلحون ((أولئك هم المفلحون)) , فيستفتح لأولي الفلاح أي يطلب أن يُفتح لهم باب الجنة .

قال : " **هذا وهاتان الشفاعتان** " ؛ أي الشفاعة لأهل الجنة بأن يُفتح لهم بابها , والشفاعة العظمى للخلائق كلهم قال : " **قد خصتا به بلا نكران** " , " **خصتا به** " ؛ أي بنينا الكريم – عليه الصلاة والسلام – فهما شفاعتان خاصتان بالنبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – .

قال – رحمه الله – :

وثالثا يشفع في أقوام ماتوا على دين الهدى الإسلام

وأوبقتهم كثرة الآثام فأدخلوا النار بذا الإجرام

أن يخرجوا منها إلى الجنان بفضل رب العرش ذي الإحسان

ثم ذكر – رحمه الله – هذه الشفاعة الثالثة وهي ليست مختصة بنبينا – عليه الصلاة والسلام – بل يشاركه فيها الملائكة ويشاركه فيها الأنبياء ويشاركه فيها الصالحين من عباد الله وهي الشفاعة في أقوام ماتوا على دين الهدى الإسلام , هذه الشفاعة لأقوام ماتوا على الإسلام وهذا فيه تنبيه أن الكافر الذي مات على الكفر والشرك بالله – سبحانه وتعالى – ليس له نصيب ولا حظ من الشفاعة ولهذا لما قال أبو هريرة –كما في صحيح مسلم – للنبي – صلى الله عليه وسلم – : " من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه " وأيضاً في الحديث الذي تقدم معنا : ط وإني ادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وهي نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئاً " فالمشرك ليس له حظ من الشفاعة ((فما تنفعهم شفاعة الشافعين)) ولو قدر وجود شفاعة لمشرك يوم القيامة وإن كان أقرب قريب

للإنسان فإنها لا تنفعه مثلما جاء في صحيح البخاري عن نبينا – عليه الصلاة والسلام – قال : " يلقى إبراهيم الخليل أباه يوم القيامة فيقول له : ألم أقل لك لا تعصني ؟ فيقول له : اليوم لا أعصيك " يقول له والده : " اليوم لا أعصيك " فيقول إبراهيم الخليل – عليه السلام – : " يارب ألم تعدني ألا تخزني يوم يبعثون ؟ وأي خزي أخزى من أبي الأبعد ؟ فيقول الله تعالى : إني حرمت الجنة على الكافرين " ثم يقال له : أنظر إلى أسفل منك – أو إلى قدميك – فينظر فإذا بذيخ " والذيخ : ذكر الضباع ؛ أي يتحول هيئة والده على تلك الهيئة ويؤخذ بقوائمه ويطرح في النار " فالشاهد أن الكافر لا تنفعه شفاعة ويخص من ذلك شفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – لعمه أبي طالب وهي شفاعة في تخفيف العذاب لا في قطع العذاب أو توقف العذاب وإنما هي في تخفيف العذاب عليه بعض الشيء لما قام به من جهود عظيمة في نصرة النبي الكريم– صلى الله عليه وسلم – .

قال :

..... يشـفع فـي أقـوام ماتوا على دين الهدى الإسلام

وأوبقتهـم كـثرة الآثـام .....

" **أوبقتهـم** " ؛ أي أهلكتهم " , " **كـثرة الآثـام** " ؛ أي الذنوب والكبائر , " **فـأدخلوا النـار بـذا الإجـرام** " ؛ أي كان دخولهم النار بهذه الجرائم التي هي دون الكفر , إذن الحديث هنا في الشفاعة عن أهل الكبائر ليس الحديث عن الكفار , هؤلاء الكفار ليس لهم شفاعة وإنما الحديث هنا عن أهل الكبائر الذين أوبقتهم كثرة الآثام فأدخلوا النار لآثامهم .

أن يخرجـوا منهـا إلى الجنـان بفضـل رب العرش ذي الإحسان

فهذه شفاعة ثابتة يُشفع لأهل النار من دخلها بأن يخرج منها ومن استحق دخولها ألا لا يدخلها , ولهذا مرّ أن الأنبياء تقول : " اللهم سلم سلم " وهذه شفاعة .

قال – رحمه الله تعالى – :

وبعـده يشـفع كـل مرسـل وكـل عبـد ذي صلاح وولـي

ويخـرج اللـه مـن النـيران جـميع من مات على الإيمان

فـي نهـر الحيـاة يطرحونـا ف حمـا فيحـيون وينبتونـا

كأنمـا ينبـت فـي هيئتـه حب حميل السيل في حافاته

الشرح :

قال : " **وبعـده** " ؛ أي بعد نبينا – عليه الصلاة والسلام – , " **يشـفع كـل مرسـل** " ؛ أي كل رسول ؛ سواء الرسول الملكي أو الرسول البشري لأن الملائكة أيضاً يشفعون كما قال تعالى : ((وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)) والرسل البشر أيضاً يشفعون يوم القيامة عدا شفاعة نبينا – عليه الصلاة والسلام– , وكذلك كل عبد ذي صلاح وولي وأهل الصلاح وأهل الإيمان والولاية والتقوى أيضاً يشفعون يوم القيامة .

ويخـرج اللـه مـن النـيران جـميع من مـات على الإيمان

كما في الحديث الصحيح أن الله تعالى يقول : " أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان"

ويخـرج اللـه مـن النـيران جـميع من مـات على الإيمان

ثم ذكر الناظم – رحمه الله تعالى – طريقة إخراج أهل الكبائر من نار جهنم , وهو هنا يشير إلى ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد وغيره أن النبي – صلى الله عليه وسلم – ذكر أهل الكبائر وقال : " إن النار تميتهم إماتة فيتفحمون يكونو كقطع الفحم , ثم يخرجون ضبائر ضبائر " أي دفعات دفعات لأن كبائرهم متفاوتة ولهذا يكون خروجهم متفاوت في الوقت " يخرجون ضبائر ضبائر ثم يوضعون في نهر الجنة – يلقون في نهر الجنة – ويحيون بمائه " أي بماء نهر الجنة يحيون , قال – عليه الصلاة والسلام – في الحديث الذي في البخاري ومسلم – قال :" فينبتون كما تنبت الحِبة في حميل السيل " , " الحِبة " المراد بها : واحدة الحبوب الذي يكون في الصحراء والذي ينبت على غثر مجيء الأمطار ونزول الأمطار ومشي الأودية بالماء , والوادي إذا جاء يطفح بالماء فإنه يحمل على متنه البذور التي تكون في طريقه , يرفعها على متنه ثم يلقيها على جنبتيه فتنبت هذه الحبوب بماء السيل وتحيا بمائه , ومن لم يكن من أهل البادية إذا رأى النبات الكثير الذي على جنب الوادي لا يرد في ذهنه كيف جاء هذا النبات هذا أمر يعرفه أهل البادية يعرفون أن السيل إذا جاء يطفح يجمل الماء البذور المتناثرة في الوادي يجملها فترتفع على متنه ثم يلقيها على جنبتي الوادي وتحيا بمائه , ولهذا بعض الصحابة –كما في الصحيح – لما سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول ذلك قال : " سبحان الله ! كأن النبي – صلى الله عليه وسلم عاش في البادية ! " لأنها معلومة يعرفها أهل البوادي فقال : " سبحان الله ! كأن النبي – صلى الله عليه وسلم –عاش في البادية ! " الشاهد أن الشيخ – رحمة الله عليه – في البيتين الآتيين يشرح هذا المعنى يقول : " **فـي نهـر الحيـاة يطرحونـا** " ؛ أي أن أهل الكبائر عندما يخرجون ضبائر ضبائر من النار على هيئة الفحم متفحمين يطرحون " **فـي نهـر الحيـاة** " ؛ أي نهر الجنة , يطرحون في نهر الجنة , قال : " **فـي نهـر الحيـاة يطرحونـا فحمـا** " ما الذي يطرح في نهر الجنة ؟ قطع من الفحم , يطرحون قطع من الفحم لأنهم تفحموا في النار وأماتتهم النار إماتة فيطرحون في نهر الجنة قطعاً من الفحم , هذا معنى قوله :

فـي نهـر الحيـاة يطرحونـا ف حمـا فيحـيون وينبتونـا

" **فيحـيون وينبتونـا** " ما هي صفة هذه الحياة ؟ قال :

كأنمـا ينبـت فـي هيئتـه حب حميل السيل في حافاته

يعني ينبتون هم في نهر الجنة مثلما ينبت حِب حميل السيل , ومعنى " **حب حميل** " ؛ أي الحب الذي يحمله السيل على متنه فيطرحه على حافتيه فينبت , هم ينبتون في الجنة ويحيون مثل هذه الصفة لأنهم يؤتى بهم ويُطرحون في النهر , ونهر الحياة – أو نهر الجنة – يلقيهم على جنبتيه فيحيون بمائه كما تنبت الحِبة في حميل السيل , ألا ترون – يقول – عليه الصلاة والسلام – تخرج صفراء ملتوية ؟ فهم تبدأ الحياة تدب فيهم على جنبتي نهر الفردوس .

ومثل هذا قول ابن أبي داود – رحمه الله تعالى – في حائيته :

وقل يخرج الله العظيم بفضله من النار أجساداً على الفحم تطرح

على النهر بالفردوس تحيا بمائه كحب حميل السيل إذ جاء يطفح

قال الناظم – رحمه الله تعالى – :

والسادس الإيمان بالأقدار فأيقنن بها ولا تمار

فكل شيء بقضاء وقدر والكل في أم الكتاب مستطر

الشرح :

في هذه الأبيات بدأ الناظم – رحمه الله تعالى – يتكلم عن الأصل السادس من أصول الإيمان والركن السادس من أركان الإيمان وهو الإيمان بالقدر كما قال الله – تبارك وتعالى – : ((إنا كل شيء خلقناه بقدر)) قال الله تعالى : ((وكان أمر الله قدراً مقدوراً)) , ((الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى)) والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان العظيمة وأساس من أسسه المتينة وهو أن يؤمن العبد بأن الله – عز وجل – علم ما كان وما سيكون وأحاط بكل شيء علماً وأنه كتب ما هو كائن إلأى يوم القيامة وأن الأمور كلها بمشيئة الله ؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه – تبارك وتعالى – خالق كل شيء ؛ هذا هو الإيمان بالقدر لهذا قال العلماء : " للإيمان بالقدر أربع مراتب لا إيمان بالقدر إلا بالإيمان بها ؛ المرتبة الأولى : الإيمان بالعلم ؛ علم الله تعالى الشامل المحيط بكل شيء وأنه وسع كل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً , علم ما كان وما سيكون وأحاط بكل شيء علماً , والثاني : الكتابة ؛ وهي أنه – تبارك وتعالى – كتب كل شيء في اللوح المحفوظ ((وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر)) ((إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير)) وفي الحديث قال – عليه الصلاة والسلام – : " إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة " , والمرتبة الثالثة : المشيئة ؛ الإيمان بمشيئة الله – سبحانه وتعالى – النافذة , قدرته – تبارك وتعالى – الشاملة وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن قال تعالى : ((وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين)) , في القرآن الكريم ما يقرب من مئة موضع فيها ربط الأمور بمشيئة الله ((يرزق من يشاء)) ((يخلق ما يشاء الله)) ((يعز من يشاء)) ((يهب لمن يشاء)) ((يغفر لمن يشاء)) ((يرحم من يشاء)) قرابة الأربعمائة موضع في أنواع الأمور بربطها بمشيئة الله – سبحانه وتعالى – وأن كل شيء لا يكون إلا بمشيئته ؛ من صحة أو عافية أو فقر أو غنى أو رزق أو هداية أو ضلال أو

هبة أو غير ذلك أو رحمة أو مغفرة كل ذلك بمشيئة الله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن , والمرتبة الرابعة : الإيمان بالخلق ؛ أن الله – سبحانه وتعالى – خالق كل شيء ((الله خالق كل شيء)) ((الله خلقكم وما تعملون)) ((الحمد لله رب العالمين)) .

فهذه مراتب الإيمان بالقدر ولا يكون مؤمناً بالقدر من لم يؤمن بها قد جمعها أحدهم في بيت فقال :

علم , كتابة مولانا مشيئته وخلقه وهو إيجاد وتكوين

فالشيخ – رحمه الله – في هذا الموضع يتكلم عن هذا الأصل العظيم قال :

والسادس الإيمان بالأقدار فأيقنن بها ولا تمار

" **والسادس** " ؛ أي من أصول الإيمان " **الإيمان بالأقدار** " ؛ أي الإيمان بأقدار الله – سبحانه وتعالى – , أي الإيمان بأن الأمور كلها بقدر كما قال نبينا – عليه الصلاة ولاسلام – : "كل شيء بقدر حتى العجز والكيس " رواه مسلم , كل شيء بقدر , " **فأيقنن بها ولا تمار** " هذا مثل قول ابن أبي داود في منظومته الحائية :

وبالقدر المقدور أيقن فإنه دعامة عقد الدين والدين أفيح

فالشيخ هنا يقول : " **فأيقنن بها** " , " **فأيقنن بها** " ؛ أي بالأقدار , ومعنى " أيقن " ؛ أي كن فيها على يقين , واليقين المراد به : انتفاء الشك والريب , فكن مؤمناً بها إيماناً لاشك فيه ولاريب , " **ولا تمار** " ؛ أي لا تجادل , فالقدر حق ثابت والأمور كلها بقدر الله – سبحانه وتعالى – .

فكل شيء بقضاء وقدر .....

" فكل شيء " هذه عامة في كل ما هو كائن إلى يوم القيامة كل شيء بقدر , يعني مقدر ومكتوب كما قال الله – عز وجل – : ((وكل شيء فعلوه في الزبر)) ((وكان أمر الله قدراً مقدوراً))

فكل شيء بقضاء وقدر والكل في أم الكتاب مستطر

" **مستطر** " ؛ أي مكتوب في أم الكتاب , " **والكل في أم الكتاب مستطر** "كما قال تعالى : ((وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر)) .

قال – رحمه الله – :

لا نوء لا عدوى ولا طير ولا عما قضى الله تعالى حولا

لا غول لا هامة لا ولا صفر كما بذا أخبر سيد البشر

ثم ذكر هنا خصالاً ستاً نفاها الشيخ – رحمه الله تعالى – في هذه الأبيات , وهذه الأمور الستة إثباتها مما يتنافى مع حقيقة الإيمان بالقدر , ولهذا قال الكلام على خصال ستة في نفيها الإيمان بالقدر وفي إثباتها منافاة للإيمان بالقدر , قال :

لا نـوء لا عـدوى ولا طـير ولا عمـا قضـى اللـه تعالى حولا

" **لا نـوء** " ؛ هذا الأمر الأول الذي نفاه الشيخ – رحمه الله – وهو ما يعتقده أهل الجاهلية في الكواكب والنجوم ومن ذلكم قولهم : " مطرنا بنوء كذا وكذا " في الحديث القدسي قال الله تعالى : " أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر " والكافر هو الذي يقول : " مطرنا بنوء كذا وكذا " .

قال : " **لا نـوء لا عـدوى** " أيضاً نفى العدوى هنا و والعدوى المنفية هي تلك العدوى التي يعتقد أهل الجاهلية في سريان المرض في الناس بطبعه مع نفي القدر وتدبير الله – سبحانه وتعالى – فهذا منفي ولهذا قال – عليه الصلاة والسلام – : " لا عدوى " نفى ذلك – صلوات الله وسلامه عليه – .

قوله : " **ولا طـير** " هذا فيه نفي التطير , والتطير هو : التشاؤم بالطير , فكان أهل الجاهلية يتشاءمون بالطيور في رواحها في مجيئها وفي أشكالها يتشاءمون ولهذا قال : " لا طير " أي نفي للتشاؤم , والتشاؤم سواء كان بالطير أو بغيرها كله باطل محرم والشريعة جاءت بنفي الطيرة والتطير , والتطير نظرة مظلمة إذا سيطرت على الإنسان أهلكته وأقعدته عن كل خير , عن كل فضيلة وأصبح مخذولاً محروماً , متقاعساً , جباناً خاسراً ونظرته للأمور دائماً نظرة يأس وقنوط , كل ذلك إذا سيطرت عليه هذه النظرة المظلمة التي هي التطير , والإسلام جاء بالفأل , والمسلم دائماً يكون متفائلاً وراجياً وطامعاً , والتفاؤل يحرك في الإنسان الفضائل والخيرات بينما التطير يقتل الإنسان , يقتله قتلاً ويهلكه , والإسلام جاء بتحريم التطير والتحذير منه ولهذا قال الشيخ هنا : " **ولا طـير** " .

" **ولا عمـا قضـى اللـه تعالى حولا** " الشيء الذي قضاه الله لا مفر منه لأنه – سبحانه – لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه , ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

قال : " **لا غـول لا هامـة لا ولا صفـر** " وأيضاً هذه أمور كان يعتقد فيها أهل الجاهلية , الغول: جمع غيلان , وهي الشياطين , وكان أهل الجاهلية يعتقدون فيها ولهذا يكون خوفهم منها مترتب عليه إلتجاء منهم إليها مثلما يقول قائلهم : نعوذ بسيد هذا الوادي من شر من فيه , يخافون منهم ويلجأون إليهم وهذه عقيدة باطلة قال الله تعالى : ((وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً)) .

" **لا هامـة** " وهذا أيضاً مما كان يعتقده الجاهلية , والهامة : نوع من الحشرات , ومما قيل في حال أهل الجاهلية أنهم يعتقدون أن الميت إذا مات تخرج حشرة – أو دابة – في رأسه وتقول : اسقوني , اسقوني , فيتعقدون مثل هذه العقائد التي جاء الإسلام بإبطالها .

" **ولا صفـر** " ؛ أي يتشاءمون من شهر صفر فجاء الإسلام أيضاً بإبطال ذلك قال :

لا غـول لا هامـة لا ولا صفـر كمـا بـذا أخـبر سـيد البشـر

صلوات الله وسلامه عليه , يعني أخبر في أحاديثه الصحيحة – صلوات الله وسلامه عليه – التي أبطل فيها ذلك , وقول النبي – عليه الصلاة والسلام– في الحديث : " الشؤم في ثلاث ؛ في المرأة والدار والدابة " ينبغي أن يُفهم حتى لا يقع اشتباه مع نفي النبي – صلى الله عليه وسلم – للتشاؤم والتطير ؛ فقوله –عليه الصلاة والسلام– : " الشؤم في ثلاث ؛ في المرأة والدار والدابة " المراد بالشؤم ضد اليُمن وهو عدم البركة , والمراد هنا في قوله : " الشؤم في ثلاث ؛ في المرأة والدار والدابة " المراد به في الأمور المحسوسة المشاهدة مثل أن تكون الدابة صعبة وعسرة وليست مرنة , أو تكون أن تكون المرأة سيئة الأخلاق , سيئة العشرة فظة سيئة التعامل تحول حياة زوجها إلى نكد , وأيضاً الدار تكون داراً غير مريحة , داراً لا يجد الإنسان فيها راحة لضيقها , لحاله فيها , لسوء مثلاً جيرانه فيها أو غير ذلك من الاعتبارات فلا يرتاح الإنسان فهذا هو المراد بقوله – عليه الصلاة والسلام– : " الشؤم في ثلاث ؛ في المرأة والدابة والدار " فالشؤم المثبت هنا في الحديث في أمور محسوسة يعني يجدها الإنسان في داره أو يجدها في امرأته أو يجدها في دابته , أما الشؤم المنفي والتطير المنفي فتلك عقائد جاهلية كان يعتقدها أهل الجاهلية في مثل هذه الأشياء وهي عقائد ما أنزل الله – تبارك وتعالى – بها من سلطان .

قال – رحمه الله – :

وثـالثٌ مرتبـة الإحسـان وتلـك أعلاهـا لـدى الرحـمن

وهـو رسوخ القلب في العرفان حـتى يكـون الغيـب كالعيـان

الشرح :

لما ذكر – رحمه الله تعالى – ما يتعلق بالإيمان بالقدر وهو الركن الثالث من أركان الإيمان يكون بذلك قد أنهى الكلام عن المرتبة الثانية من مراتب الدين وهي متبة الدين وكان قبل ذلك تكلم عن المرتبة الأولى وهي مرتبة الإسلام , ثم أتى هنا ليختم هذا الفصل بالكلام عن المرتبة الثالثة من مراتب الدين وهي مرتبة الإحسان فقال :

وثـالثٌ مرتبـة الإحسـان وتلـك أعلاهـا لـدى الرحـمن

ذكر هنا المرتبة الثالثة وسماها مرتبة الإحسان , والإحسان هو : الإتقان والإجادة والإتيان بالأمر على أتم أحواله وأكمل هيئاته وصوره , " **وتلـك أعلاهـا لـدى الرحـمن** " ؛ أي هذه المرتبة هي أعلى مراتب الدين لدى الرحمن , أي لدى الله – سبحانه وتعالى – فهي أعلى مراتب الدين وأرفعها , ثم عرّف الشيخ – رحمة الله عليه – هذه المرتبة بقوله :

وهـي رسوخ القلب في العرفان حـتى يكـون الغيـب كالعيـان

والمعنى كما قال نبينا – عليه الصلاة والسلام– : " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " أي أن الإحسان أن يجاهد المرء نفسه في عبادته لله وتقربه إليه بأن يكون على هذه الصفة والحال العلية في عبادته لله بأن يعبد الله كأنه يراه ,

ولهذا قال العلماء : " الإحسان ركن واحد " ليس للإحسان أركان وإنما له ركن واحد وهو أن تعبد الله كأنكط تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

وبهذه المرتبة ختم الشيخ – رحمه الله – في هذا النظم ملخصاً جميلاً بديعاً لحديث جبريل المشهور الذي رواه مسلم في صحيحه عن ابن عمر عن أبيه – رضي الله عنهما – قال : " بينا نحن قعود عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى إذا جلس إلى النبي صلى – الله عليه وسلم – أسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرني على الإسلام , قال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج بيت الله الحرام إن استطعت إليه سبيلا , قال: صدقت , قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه , ثم قال : أخبرني عن الإيمان , قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره , قال : صدقت , قال : أخبرني عن الإحسان قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك , قال : أخبرني عن الساعة , قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل , قال : أخبرني عن أماراتها , قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان , قال : فلبثت مليا ثم انطلق فقال لي : يا عمر أتدري من السائل؟قلت : الله ورسوله أعلم , قال : هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم "

الشيخ – رحمه الله تعالى – في النظم السابق تكلم عن هذه المراتب العظيمة التي انتظما واشتمل عليها حديث جبريل المشهور , ثم عقد بعد ذلك فصلاً تكلم فيه عن ستة مسائل تتعلق بمباحث الإيمان مباحث الدين نرجيء الكلام عليها إلى لقائنا القادم إن شاء الله تعالى

والله أعلم، وصلى الله وسلم على رسول الله .

الدرس الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال الناظم–رحمه الله تعالى – :

فصلٌ في كون الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وأن فاسق أهل الملة لا يكفر بذنب دون الشرك إلا إذا استحله وأنه تحت المشيئة ، وأن التوبة مقبولة ما لم يغرر .

إيماننا يزيد بالطاعات ونقصه يكون بالزلات

الشرح :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين

أما بعد ،،

لما أنهى الناظم-رحمه الله تعالى- الكلام على مراتب الدين وهي الإسلام والإيمان والإحسان وعرف كلٌ منهما عقد هذا الفصل ليبين من خلاله بعض المسائل المهمة المتعلقة بالإيمان وهي مسألة زيادة الإيمان ونقصانه وأن أهله متفاضلون فيه ليسوا فيه على رتبة واحدة وحكم الفاسق الملي بأي شيءٍ يحكم عليه وأيضاً حاله في الآخرة وبيان أنه لا يخلد في النار ، وانه لا يخلد في النار إلا مشرك وبين أيضاً التوبة ومكانتها وشروط قبولها فهذه مسائل عظيمة عقد الناظم رحمه الله تعالى هذا الفصل لبيانها ، وبدأ أول ما بدأ بزيادة الإيمان ونقصانه فقال :

إيماننا يزيد بالطاعات ونقصه يكون بالزلات

وهذا معنى قول السلف [الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بطاعة الله وينقص بمعصيته] وقد جاء عن عمير بن حبيب الخطمي-رضي الله عنه- أنه قال [الإيمان يزيد وينقص ، قيل : وما زيادته ونقصانه ؟ قال : إذا ذكرنا الله وسبحناه وحمدناه زاد وإذا غفلنا نقص] فالإيمان يزيد وزيادته بطاعة الله ، وينقص ونقصانه بالمعاصي ، وهي التي سماها الناظم الزلات وفي الدعاء المأثور [اللهم إني أعوذ بك أن أزل أو أُزل] فالإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالزلات أو بالمعاصي والذنوب والقرآن جاء فيه التصريح بأن الإيمان يزيد في آيٍ كثيرة ومنها قول الله تبارك وتعالى { وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون *وأما الذين في قلوبهم مرضٌ فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون *} وقال الله تبارك وتعالى { إنما المؤمنون الذين إذا ذكر اله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون } وقال الله تعالى { ويزيدهم خشوعاً } والخشوع من الإيمان ، قال تعالى { والذين اهتدوا زادهم هدىً وآتاهم تقواهم } وقال جل وعلا { ويزيد الله الذين اهتدوا هدى } فالقرآن جاء فيه في آيٍ عديدة التصريح بأن الإيمان يزيد والسنة نطقت بالنقصان ، حيث جاء في أحاديث النبي-صلى الله عليه وسلم- أن الإيمان ينقص تصريحاً ونطقاً بذلك وإن كان النقصان مفهوماً من آي القرآن ، لهذا استدل العلماء –رحمهم الله- على زيادة الإيمان ونقصانه بالآيات المصرحة بزيادة الإيمان ؛ لأن الذي يقبل الزيادة يقبل النقصان ، لكن في السنة أحاديث صرحت بذلك مثل قوله-عليه الصلاة والسلام- [ما رأيت ناقصات عقلٍ ودين أذهب لذوي اللب الحازم من الرجال منكنّ] وقوله-عليه الصلاة والسلام- [فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسان فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وذلك أضعف

الإيمان] وقال –عليه الصلاة والسلام– [المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف] الشاهد أن الدلائل بالكتاب والسنة على زيادة الإيمان ونقصانه كثيرةٌ وفيرة ، وقد أجمع السلف قاطبة على أن الإيمان يزيد وينقص ويقوى ويضعف وأن لزيادته أسباباً ولنقصانه أسباباً ، قد جاء تبيان ذلك كله في كتاب الله – عز وجل– وسنة نبيه–صلوات الله وسلامه عليه– ومن أعظم ما يزيد به الإيمان تلاوة القرآن وتدبر كلام الرحمن–سبحانه وتعالى– والعمل به { الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به } ويزيد بمعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العليا فإن من كان بالله أعرف كان منه أخوف ولعبادته أطلب وعن معصيته أبعد ، وقد قال الله تعالى { إنما يخشى الله من عباده العلماء } ويزيد بتأمل محاسن هذا الدين العظيمة وكمالاته وجماله في غاياته ومقاصده وفي أعماله وآدابه وجميع جوانبه ، والدين كله حسنٌ وجمال ، فمن يتأمل جمال الشريعة وكمالها وعم عوائدها على أهلها في دنياهم وأخراهم زاد إيماناً واستمساكاً بالدين ورعايةً له ، ويزيد بتأمل سيرة النبي الكريم–عليه الصلاة والسلام– وهديه القويم { أم لم يعرفوا رسوله فهم له منكرون } فإن معرفة رسوله –عليه الصلاة والسلام– وما كان عليه من الآداب الكاملة والأخلاق الفاضلة والمناقب الرفيعة والصدق مع الله –تبارك وتعالى– والبلاء الحسن في بيان الدين والنصح للعباد والجهاد في سبيل الله ، فإن ذلك مما يزيد الإيمان ويقويه ، ويزداد كذلك بقراءة سير الأخيار وأخبار الصفوة من عباد الله تبارك وتعالى من أتباع الرس ؛ أتباع نبينا–صلى الله عليه وسلم– وتابعيهم بإحسان فإن سيرهم عامرةً بالذكر الحسن والصدق مع الله والإخلاص والنصح والآداب الفاضلة ولقراءة سير هؤلاء أثرٌ بالغ على العبد في إيمانه قوةً وازدياداً وقد قيل :

كرر عليّ حديثهم يا حادي فحديثهم يجلو الفؤاد الصادي

ويزداد الإيمان بالمحافظة على الطاعات والعناية بالعبادات ولا سيما الفرائض ثم إتباعها بالنوافل والرغائب وفي الحديث [ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه] ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه] ويزداد الإيمان بالعلم والتعلم والتعليم والدعوة إلى الله تبارك وتعالى والنصح للعباد فكل ذلك مما يزداد به الإيمان ، ولنقصان الإيمان أسباب ، ومن أعظم أسباب نقص الإيمان الجهل بدين الله والغفلة والإعراض والنسيان والتفريط في الطاعات ومطاوعة النفس في اقتراف الآثام فالنفس أمارة بالسوء تحتاج من العبد إلى منعٍ ومجاهدة والمجاهد من جاهد نفسه على طاعة الله ، قال تعالى { والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين } وأيضاً هناك مؤثرات خارجية تؤثر على الإنسان في ضعف إيمانه في مقدمة هذه المؤثرات الشيطان الرجيم عدو الله وعدو دينه وعدو عباده { إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً } والشيطان يكيد للإنسان ويأتيه من كل جانب { ثم لآتينهم من بين

أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين } { واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا } فيحتاج المؤمن إلى أن يحترز من الشيطان وإلى أن يتحصن منه ويتعوذ بالله منه { وإما ينزغنك من الشيطان نزغٌ فاستعذ بالله } { وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين } وأيضاً قرناء السوء وخلطاء الفساد لهم ضرر بالغ على الإنسان لضعف دينه بل ربما ذهابٌ لإيمانه، وقد قال عليه الصلاة والسلام [المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل] رواه أبو داود وغيره فالخليل ولا شك له تأثيرٌ على خليله وصاحبه فمن أراد رعاية إيمانه فليتخير من الخلان والرفقاء والأصحاب من يعينونه على الخير والطاعة { واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعدو عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا } وإذا كان القرين له تأثيرٌ على قرينه ، تأثيرٌ بالغ ،فإن زماننا هذا استجد فيه قريتٌ لم يكن موجوداً قبل ، أثر في الناس تأثيراً فظيعاً وأثر في الإيمان وخلخل الدين وأثر في الأخلاق ، والسبب الصحبة والملازمة لذلك القرين ألا وهو الشاشات في القنوات الفضائية والمواقع التي في الشبكة العنكبوتية الانترنت إذ أصبح كثير من الناس يجلس في هذه الشاشات ملازماً لها ومصاحباً لها يمضي في المجالسة أوقاتاً طويلة وهناك ينهدم الإيمان وتخلخل العقيدة وتهدم الأخلاق ويضعف الدين ويمتلئ الصدر بالشبهات والشهوات ، يمتليء صدر الإنسان بشبهات وشهوات تموج في صدره وتهلكه وترديه والعياذ بالله ، ومن الأمور التي تضعف الإيمان الانفتان بالدنيا والاغترار بها وتعلق القلب بها وأن تكون هي غاية الإنسان ومبلغ علمه وفي الدعاء المأثور [اللهم لا تجعل الدنيا غاية همنا ولا مبلغ علمنا] فإذا بلي الإنسان في الافتتان في الدنيا و التعلق بها وأن تكون هي مبلغ علمه وغاية همه أضرت بدينه ، فالشاهد أن عقيدة أهل السنة أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بطاعة الله –عز وجل– وينقص بمعصيته كما قال الناظم رحمه الله تعالى :–

إيماننا يزيد بالطاعات ونقصه يكون بالزلات .

قال –رحمه الله– :

وأهله فيه على تفاضل هل أنت كالأملاك أو كالرسل

الشرح

ثم أورد هذا البيت مبيناً فيه رحمه الله تعالى تفاضل أهل الإيمان بالإيمان وهذه المسألة منبية على المسألة السابقة إذا كان الإيمان يزيد وينقص ويقوى ويضعف فإن من لازم ذلك أن يكون أهله متفاضلين فيه ليسوا

فيه على رتبة واحدة ، ولهذا أورد –رحمه الله– هذا البيت ليبين من خلاله تفاضل أهل الإيمان بالإيمان ، قال :

وأهله فيه على تفاضل هل أنت كالأملاك أو كالرسل

هذا الاستفهام جاء به –رحمه الله– ليبين من خلاله التفاضل إذا أردت أن تعرف أن أهلا لإيمان متفاضلون في الإيمان فاطرح هذا السؤال ، هل إيمانك أو إيمان آحاد الناس كإيمان الملائكة ؟ هل إيمان آحاد الناس كإيمان الأنبياء والرسل ؟ هل إيمان آحاد الناس كإيمان الصديق –رضي الله عنه وأرضاه– ؟ ومن شهد لهم رسول الله–صلى الله عليه وسلم– بالجنة فأهل الإيمان بالإيمان متفاضلون ليسوا فيه على رتبةٍ واحدة ، والله –جل وعلا– في مواضع من القرآن الكريم بين تفاضل أهل الإيمان بالإيمان ومن ذالكم قوله سبحانه { ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابقٌ بالخيرات بإذن الله } فذكر الله تبارك وتعالى المصطفين ورثة الكتاب الذين يدخلون الجنة ذكر أنهم أقسامٌ ثلاثة :

- ظالمٌ لنفسه .
- مقتصدٌ
- سابقٌ بالخيرات

قال تعالى { ذلك الفضل الكبير جنات عدنٍ يدخلونها } من هم ؟ الثلاثة هؤلاء ، أي هؤلاء الثلاثة الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات ، وكما قال أهل العلم السابق بالخيرات والمقتصد دخولهم للجنة دخولٌ أولي بلا حساب ولا عذاب وإن كانوا في الجنة أيضاً متفاضلون ليسوا على رتبةٍ واحدة ، وأما الظالم لنفسه الذي ظلمها بالذنوب والمعاصي والكبائر دون الشرك والكفر بالله فهو يدخل الجنة ولا يلزم من ذلك أن يكون دخوله لها دخولاً أولياً بل قد يمر بمرحلة عذاب وقد يدخل النار يمحص ويكون دخوله في النار ليس دخول تأبيد وتخليد إنما دخول تمحيصٍ وتطهير لأن الجنة دار الطيب فإذا كان قد جاء يوم القيامة يحمل أوزاراً دون الكفر والشرك بالله–تبارك وتعالى– ولم يكن هناك حسناتٌ ماحية أو مصائب مكفرة أو توبة نصوح فإنه يمحص ويطهر وينقى من هذه الأوزار والذنوب في النار ثم بعد ذلك يكون دخوله للجنة ، الثلاثة هؤلاء كلهم في الجنة ، الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات ، ولهذا ينبغي أن يفهم أن الظلم هنا في قوله تعالى { ظالمٌ لنفسه } ليس الظلم الذي هو الكفر وإنما هو الظلم الذي هو دون الكفر ، ولهذا الظلم أو دواوين الظلم ثلاثة :

- الظلم الذي هو الكفر ومن ذلك قوله تعالى { إن الشرك لظلمٌ عظيم }
- والظلم الذي هو ظلم الإنسان نفسه فيما دون الكفر بالمعاصي والذنوب .

- ظلم العباد بالاعتداء عليهم في الأموال والأعراض والأنفس ، وقد صح في الحديث عن نبينا-عليه الصلاة والسلام- أنه قال [دواوين الظلم ثلاثة ؛ ديوانٌ لا يغفره الله وديوانٌ لا يتركه الله وديوانٌ لا يعبأ الله به] أما الديوان الذي لا يغفره الله الشرك بالله ، وأما الديوان الذي لا يتركه الله ظلم العباد بعضهم لبعض ، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به فهو ما دون ذلك .

ينبغي أن ينتبه أن الظلم في وقوله تعالى { فمنهم ظالمٌ لنفسه } المراد به ما دون الكفر بالله وذلك لأدلة عديدة منها أن الله عز وجل صدر هذه الآية في ذكر هذه الأقسام الثلاثة بقوله { ثم أورثنا العباد الذين اصطفينا من عبادنا } فسماهم ورثة الكتاب وسماهم المصطفين وسماهم عباده ، هذا الأمر الأول ، الأمر الثاني أن الله قال في الآية التي تليها { جنات عدنٍ يدخلونها } والواو في قوله { يدخلونها } تشمل الجميع ؛ تشمل الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات ، والأمر الثالث-وهو مهم جداً- أن الله سبحانه عقب ذكره لهؤلاء ودخولهم الجنة والثواب الذي أعده الله سبحانه وتعالى لهم فيها لما ذكر ذلك ذكر قسماً آخر قال { والذين كفروا لهم نار جهنم } هذا ذكره متى ؟ بعد أن ذكر أهل الإيمان بأقسامهم الثلاثة { فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابقٌ بالخيرات } وذكر ثوابهم وذكر دخولهم الجنة ، لما ذكر ذلك قال { والذين كفروا لهم نار لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير } انظر هنا قال { فذوقوا فما للظالمين من نصير } الظلم هنا ظلم الكفر والشرك بالله وهو مختلفٌ تماماً عن الظلم الذي ذكره الله تبارك وتعالى في قوله { فمنهم ظالمٌ لنفسه } فالظلم هنا ظلم الكفر والشرك بالله تبارك وتعالى ، الشاهد أن هذه الآية الكريمة المبدوءه بقوله { ثم أورثنا الكتاب } ذكر الله سبحانه وتعالى رتب أهل الإيمان وبين فيها تفاضلهم فيه وأن أقسامهم في الإيمان ثلاثة قسمٌ ظالم لنفسه بالمعاصي والذنوب فيما دون الكفر والشرك ، وقسمٌ مقتصدٌ الذي جاء بالواجبات وترك المحرمات ، وقسمٌ سابقٌ بالخيرات ، أتى بالواجب وترك المحرم ونافس في الرغائب والمستحبات ، والمقتصد ويقال لهم أصحاب اليمين ، والسابق بالخيرات ويقال لهم المقربون ، هؤلاء كما قدمت يدخلون الجنة لا حساب ولا عذاب ، والظالم لنفسه الذي ظلمه لنفسه فيما دون الشرك والكفر بالله هذا مآله ومصيره إلى الجنة يصيبه قبل ذلك ما يصيبه كما جاء في الحديث عن رسولنا الكريم –صلوات الله وسلامه عليه- والدلائل على التفاضل في الإيمان كثيرة مثل قوله تعالى { ولكلٍ درجاتٍ مما عملوا } وقوله تعالى في سورة الرحمن {ولمن خاف مقام ربه جنتان } ثم ذكر أوصافهما وقال { ومن دونهما جنتان } وفي سورة الواقعة { وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون } ثم ذكر أوصافهم وأعمالهم مآلتهم وثوابهم ، وثواب المقربين وأصحاب اليمين وعقاب أصحاب الشمال ، والسنة

أيضاً في مواضع عديدة بين فيها النبي-صلى الله عليه وسلم- تفاضل أهل الإيمان في الإيمان ومن ذالكم ما جاء في الصحيح أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال [إن أهل الجنة ليتراؤن في الجنة أهل القرب كما تراؤن الكوكب الدري الغابر في السناء لتفاضل ما بينهم] هكذا قال عليه الصلاة والسلام وهذا نص في التفاضل بينهم أي بالإيمان ، لتفاضل ما بينهم قال الصحابة [تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : بل رجالٌ آمنوا بالله وصدقوا المرسلين] .

قال-رحمه الله- :

والفاسق المليُّ ذو العصيان لم ينفَ عنه مطلق الإيمان

لكن بقدر الفسق والمعاصي إيمانه مازال في انتقاص

الشرح

هنا آتى بهذين البيتين ليبين حكم الفاسق من أهل القبلة الذي فسقه دون الكفر لأن الفسق هو فسقٌ كفرٌ بالله ، وفسقٌ دون ذلك ، فالفسق أكبر ناقل من الملة وفسقٌ دون ذلك لا ينقل من الملة ولهذا في سورة السجدة قال الله تعالى { وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون } فهذا فسقٌ أكبر ناقل من ملة الإسلام ، ولهذا ذكر الله عقوبة أهله هذه ، والكلام هنا عن الفاسق الذي فسقه دون ذلك ، ولهذا قيّد الفسق هنا بقوله (**الفاسق الملي**) فأخرج بقوله الفاسق الملي الفاسق غير الملي وهو الذي فسقه كفرٌ بالله وخروجٌ عن الدين ، فالفاسق الملي الذي هو بفسقه لم يخرج من الملة بل من اهل الملة ، لم يفسق فسقاً يخرج به من ملة الإسلام ، ما حكم الفاسق الملي ؟ هذا البيت معقودٌ لبيان ذلك ، ما حكم الفاسق الملي ؟ هل هو مؤمن أو ليس بمؤمن ؟ ماذا يقال فيه ؟ عقد هذا البيت لبيان ذلك قال :

(**والفاسق الملي ذو العصيان**) وهذا فيه توضيح أن فسقه معاصي لله ، (**لم ينفَ عنه مطلق الإيمان**).

لكن بقدر الفسق والمعاصي إيمانه ما زال في انتقاص

هذا بيان دقيق جداً لحكم الفاسق الملي عند أهل السنة وأئمة السلف وعلماء الحق والهدى أهل الوسطية والاعتدال ومجانبة الغلو والجفاء ، يقولون الفاسق الملي مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته ، أو يقولون بعبارة أخرى مونٌ ناقص الإيمان ، فلا يعطونه الاسم المطلق ، ولا يسلبون عنه مطلق الاسم ، لا يعطونه لقب الإيمان التام الكامل وهو يقترف المعاصي ويغشى الذنوب ولا أيضاً يسلبون عنه الإيمان بأصله ويخرجونه من الدين ، وهذه وسطية لأهل السنة في هذا الباب بين من غلا وجفا ، لأن عقائد أهل الباطل في الفاسق الملي لا تخرج عن عقيدتين عقيدة تسلبه الإيمان من أصله وهم الخوارج والمعتزلة والخوارج وجدوا في آخر زمن الصحابة والمعتزلة وجدوا في زمن التابعين ، والخوارج كفروا مرتكب الكبيرة كفروا الفاسق أخرجوه من الإيمان وأدخلوه

في الكفر وحكموا عليه بأنه مخلدٌ في النار يوم القيامة ، والمعتزلة أخرجوه من الإيمان ولم يدخلوه في الكفر يقولون ليس بمؤمن ولا كافر ، أوجدوا ضلالتهم وأصولهم الخمسة المنزلة بين المنزلتين واتفق الخوارج والمعتزلة على أمرين واختلفوا في أمرٍ واحد ، اتفقوا على خروجه من الإيمان واتفقوا على خلوده في النيران يوم القيامة ، واختلفوا في الحكم عليه بالكفر فقال الخوارج هو كافر وقال المعتزلة ليس بكافر ، لا مؤمن ولا كافر إنما هو منزلة بين الكفر والإيمان ، وجعلوا هذه أصلاً من الأصول التي يوالون عليها ويعادون ، وهي ضلالة ما أنزل الله بها من سلطان ، يقابل هؤلاء في الخط الآخر من الضلال عقيدة المرجئة الذين يقولون ما يضر مع الإيمان ذنب ويعتقدون في الفاسق الملي أنه مؤمن كامل الإيمان ، وأن ذنوبه تلك لا تضر إيمانه بشيء وهذا ضلال وذاك ضلال والحق قوامٌ بين ذلك ، قال :

والفاسق المليُّ ذو العصيان لم ينفَ عنه مطلق الإيمان

لم ينف عنه بفسقه مطلق الإيمان أي أصل الإيمان ، لم ينف عنه أصل الإيمان ، فأصل الإيمان باقٍ وثابتٌ له ، فالبفسق لا ينف عنه مطلق الإيمان ، والدلائل من الكتاب والسنة دلت على بقاء أصل الإيمان مع وجود الكبائر ، ولنأخذ تحديداً كبيرة القتل قال-عليه الصلاة والسلام- [سباب المسلم فسوق وقتاله كفرٌ] والمراد بالكفر كفرٌ دون كفر ، هناك أدلة في القرآن وفي السنة صريحة بأن القاتل لا يخرج بمجرد قتله من الإيمان ، أو قتاله ، قال تعالى { فمن عفي له من أخيه شيء } سمى القاتل أخاً لأولياء المقتول والأخوة هنا أخوة الدين ، أثبتها له وقال تعالى { وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا } سماهم مؤمنين مع وجود القتال بينهم ، فالشاهد أن الفاسق الملي لا ينف عنه مطلق الإيمان أو أصل الإيمان بمجرد ارتكابه لفسق أو كبيرة أو ذنب دون الكفر بالله – عز وجل- قال :

لكن بقدر الفسق والمعاصي إيمانه مازال في انتقاص

وهذا في ردٌ على من يحكمون على الفاسق بأنه مؤمن كامل الإيمان ، وهم المرجئة وغلاة المرجئة ، يقولون هو مؤمن كامل الإيمان ، يقول الشيخ :

لكن بقدر الفسق والمعاصي إيمانه مازال في انتقاص

أي أن الإيمان ينقص ويضعف بسبب الفسق والمعاصي ، فإذاً الفاسق الملي لا ينف عنه مطلق الإيمان ولا يثبت له الإيمان المطلق ، والمراد بالإيمان المطلق أصله والمراد بمطلق الإيمان أي التام الكامل .

قال –رحمه الله- :

ولا نقول إنه في النار مخلدٌ بل أمره للباري

تحت مشيئة الإله النافذه إن شا عفا عنه وإن شا آخذه

بقدر ذنبه وإلى الجنان يخرج إن مات على الإيمان

الشرح

المسألة الأولى التي في البيتين الأوليين هذه تتعلق باسم الفاسق ، وهذه تتعلق بحكم الفاسق ، وتسمى المسألتان مسألة الأسماء والأحكام ، في كتب العقيدة تسمى بمسألة الأسماء والأحكام ، الأسماء مؤمن كافر فاسق فاجر بر إلخ ، والأحكام هل هو في النار أو الجنة إلى غير ذلك ، فهنا يقول الشيخ فيما يتعلق بالفاسق الملي بعد ما بين ما يتعلق بالاسم ، انتقل إلى بيان ما يتعلق بالحكم قال :

ولا نقول إنه في النار مخلدٌ .....

خلافاً للخوارج والمعتزلة الذين يقولون إن الفاسق والملي مخلدٌ في النار ، الذين يحكمون على الفاسق الملي أنه مخلد في النار (**ولا نقول إنه في النار مخلدٌ**) ماذا تقولون إذن ؟ قال نقول (**بل أمره للباري**) الفاسق الملي نقول أمره للباري ، من أين أخذ أمره للباري ؟ من قوله سبحانه وتعالى { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } فأمره للباري إن شاء عذبه وإن شاء غفر ، ثم بين مراده بقوله (**أمره للباري**) في البيت الذي يليه فقال :

تحت مشيئة الإله النافذة إن شا عفا عنه وإن شا آخذه

فأمره للباري وهو تبارك وتعالى ، ومعنى ذلك أنه تحت المشيئة أخذاً من قوله

{ ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } فكل ذنب دون الشرك والكفر بالله فهو تحت المشيئة إن شاء عذب وإن شاء غفر .

ومن لطيف ما يذكر هنا تبياناً قصةً حصلت وتبين بها الحق وردّ بها الباطل أجمل ما يكون في الرد ، وهي أن أحد كبراء المعتزلة وأراد أن يشوش على الناس وهو بشر المريسي ، فأراد أن يشوش على الناس فقال –أقبح بقوله [إذا وقفت أمام الله يوم القيامة سأقول له : إن مرتكب الكبيرة مخلدٌ في النار فإن قال لي وما حملك على ذلك يا بشر أقول كلامك في القرآن أو ما جاء في القرآن { ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها } لاشك أن مثل هذا الكلام وطرحه على العوام والجهال يدخل فيهم شكاً وتشوشاً ، يقول ابن قتيبة ومن روى هذه القصة : أنه كان في المجلس شابٌ صغير –أظن اسمه أنس– فقال له : فإن قال لك وأنا قلت في القرآن { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } وقد شئت أن أغفر له ، فماذا تقول ؟ فبهت ! .

ولهذا العلماء قالوا في تفسير الآية { ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها } قالوا هذا جزاؤه إن جازاه ، من أين أخذوا " إن جازاه" من الآية الأخرى ، ومن لطيف ما يبين هنا أن قول الله تعالى في سورة النساء { ومن يقتل مؤمناً متعمداً } مسبوقاً وملحوقاً بقوله { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } لأن هذه الآية جاءت في موضعين من سورة النساء وبينهما جاء قوله { ومن يقتل مؤمناً

متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها } فمن يريد أن يفهم هذه الآية { ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها } مجرداً لها لما سبق لها من القرآن في السورة نفسها ومما يأتي بعدها في القرآن في السورة نفسها وهي قوله { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } فلا ريب أنه سيقع في ضلال وباطل ، وقاعدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب رد المتشابه إلى المحكم ، وقوله { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } أمرٌ محكم وتفهم على ضوئه نصوص الوعيد الواردة في كتاب الله تبارك وتعالى وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه ، قال (**إن شا عفا عنه وإن شا آخذه**) أي عاقبه بذنوبه ولهذا قال (**وإن شا آخذه بقدر ذنبه**) في صدر البيت الثاني والجار والمجرور في قوله "بقدر ذنبه " في البيت الثالث متعلق بقوله " آخذه" أي بقدر ذنبه ، وما معنى آخذه بقدر ذنبه يعني إن عاقبه فإنه يعاقبه على قدر ذنبه ومعنى ذلك أنه لا يخلد في النار إنما يعاقب فيها عقاباً على قدر ذنبه ، ثم ماذا يكون أمره بعد ذلك قال :

بقدر ذنبه وإلى الجنان يخرج إن مات على الإيمان

فبعد أن يؤاخذ على قدر ذنبه يخرج إلى الجنان ومر معنا في قول الناظم –رحمه الله– بيان خروج صفة أهل الكبائر من النار في بيتين وضح فيهما ما جاء في الصحيح أو في الصحيحين من حديث أبي سعيد في بيان صفة خروج أهل النار وأنهم يخرجون ضبائر ضبائر وأنهم يخرجون قطعاً من الفحم وأنهم يلقون في نهر الحياة أو نهر الفردوس وأنهم يحيون بمائه وينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل كما بين ذلك نبينا–عليه الصلاة والسلام– فهؤلاء هم أهل الكبائر الذين عوقبوا في النار ثم يخرجون منها على هذه الصفة ثم يدخلون الجنة ، والشيخ–رحمه الله تعالى– في شرحه لهذا البيت أتى بتقسيم مفيد فيما يتعلق بالعصاة من اهل التوحيد ، الذي وقعوا بالمعاصي من أهل التوحيد وذكر أنهم على ثلاث طبقات :

١– قومٌ رجحت حسناتهم بسيئاتهم ، عنده حسنات ، وعنده سيئات لكن كفة حسناته رجحت فهؤلاء يدخلون الجنة من أول وهلة ولا تمسهم النار هذا القسم الأول .

٢– القسم الثاني : من تساوت في الميزان حسناتهم وسيئاتهم ، تساوت في الميزان حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم النار ، وهم أهل الأعراف { وعلى الأعراف رجال } وهؤلاء يوقفون ويحبسون بين الجنة والنار وهم طامعون أن يكونوا من أهل الجنة مشفقون أن يدخلوا النار ثم يكون حالهم ومصيرهم كما جاء في سورة الأعراف دخول الجنة ، وينجيهم الله تبارك وتعالى ويجيرهم من النار ، هذا القسم الثاني .

٣– القسم الثالث أو الطبقة الثالثة ، قومٌ لقوا الله تبارك وتعالى مصرين على كبائر الآثام والفواحش ومعهم أصل التوحيد فرجحت سيئاتهم بحسناتهم ، قال الشيخ [فهؤلاء هم الذين يدخلون النار

بقدر ذنوبهم ، وهؤلاء هم الذين يأذن الله بالشفاعة فيهم لنبينا محمد-صلى الله عليه وسلم- ولغيره من الأنبياء والملائكة والصالحين من عباده .

قال -رحمه الله- :

والعرض تيسير الحساب في النبا ومن يناقش الحساب عذبا

هذا البيت ذكر فيه-رحمه الله تعالى- ما يتعلق بالعرض (**والعرض تيسير الحساب بالنبا**) في هذا البيت تكلم-رحمه الله تعالى- عن تفسير النبي-صلى الله عليه وسلم- للحساب الذي في قوله تبارك وتعالى { وأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيرا } حيث أن النبي-صلى الله عليه وسلم- فسر الحساب هنا بالعرض ، كما في حديث عائشة-رضي الله عنها- قالت قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [ليس أحدٌ يحاسب إلا هلك ، قالت قلت : يا رسول الله جعلني الله فداك أليس الله يقول { فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيرا} ؟ قال : ذلك العرض يعرضون ومن نوقش الحساب هلك] فإذن قوله (**والعرض تيسير الحساب في النبا**) الحساب اليسير{ فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيرا} فالمراد بالحساب اليسير في قوله { فسوف يحاسب حساباً يسيرا} العرض ؛ عرض الأعمال يعرض على المؤمن ويستره الله تبارك وتعالى ويعرض عليه أعماله وأخطاءه وذنوبه ويقول سترتها لك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، هذا عرض (**ومن يناقش الحساب عذبا**) أما إذا نوقش الحساب هلك ، جاء في بعض الروايات [من نوقش الحساب هلك] وجاء في بعضها [من نوقش الحساب عذب] فالذي يحاسب و يناقش في أعماله يعذب أما الذي تعرض عليه أعماله مجرد عرض فهذا لا يعذب يسترها كما سترها الله عليه في الدنيا يتجاوز له عنها يوم القيامة ، وبذلك فسر النبي-صلى الله عليه وسلم الحساب اليسير في الآية الكريمة .

قال رحمه الله :

ولا نكفر بالمعاصي مؤمناً إلا مع استحلاله لما جنا

ثم في هذا البيت تكلم عن مرتكب الكبيرة وأنه لا يكفر بارتكابه للكبيرة إلا إذا استحله ، وإذا استحل الكبيرة يكفر وإن لم يرتكبها ، يعني لم يزنِ في حياته قط ولكن قال الزنى حلال ليس بحرام أو قال شرب الخمر ليس بحلال حرام يكفر إذا علم حرمته في كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه سلم- وإن لم يعمله فإنه يكفر باستحلاله لكن مجرد ارتكابه للمعصية من قتل أو زنى أو سرقة أو غير ذلك فإنه لا يحكم عليه بالكفر ما لم يستحله ما لم يستحل ، ولهذا قال :

ولا نكفر بالمعاصي مؤمناً إلا مع استحلاله لما جنا

إذا استحل ما جنى : أي ما ارتكب فإنه يكفر للاستحلال ، أما مجرد وقوعه في الكبيرة فإنه لا يكفر بذلك .

قال –رحمه الله– :

وتقبل التوبة قبل الغرغرة كما أتى في الشرعة المطهرة

أما متى تغلق عن طالبها فبطلوع الشمس من مغربها

ثم ختم هذه المسائل بهذه المسألة الأخيرة وهي التوبة في حق كل إنسان ، إذا استكمل شروطها وأنها تقبل ، أن التوبة إذا استكمل شروطها تقبل ، إذا كانت توبة نصوحا { توبوا إلى الله توبةً نصوحا } بحيث يندم على الذنب ويقلع عنه ويعزم ألا يعود إليه وإذا كان لا يتعلق بحقوق الآدميين يعيدها أو يطلب العفو والمسامحة إذا كانت التوبة مستوفية لشروطها وأيضاً لوقتها ، ووقت التوبة موسع ما لم يحصل أمران ، وقت التوبة موسع في أي ساعة من ليل أو نهار في لحظة يريد الإنسان أن يتوب فباب التوبة مفتوح [إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها] فلا يزال باب التوبة مفتوحٌ ما لم يحصل أمران طلوع الشمس من مغربها كما في الحديث المتقدم ، والأمر الثاني الغرغرة ما لم يغرغر [تقبل التوبة من أحدكم ما لم يغرغر] { ولست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن } فالتوبة تقبل ما لم تطلع الشمس من مغربها وما لم يغرغر أي ما لم يعاين الموت عند قبض روحه لأن إيمانه وتوبته توبة معاينة ومشاهدة لست توبة غيب وإيمان بالغيب ؛ وإنما توبة معاينة ومشاهدة للموت وملائكة الموت ونزع الروح .

(**وتقبل التوبة قبل الغرغرة**) الغرغرة هي حشرجة الروح في الحلق { حتى إذا بلغت الحلقوم } إذا وصلت هذا الأمر وعاين الموت وقال في تلك اللحظة إني تبت الآن لا تقبل منه التوبة ، (**كما أتى في الشرعة المطهرة**) أي في شريعة الله ودينه فيما صح عن نبينا –عليه الصلاة والسلام– :

وأما متى تغلق عن طلبها فبطلوع الشمس من مغربها

إذا طلعت الشمس من مغربها طبع على كل قلب بما فيه وأغلق باب التوبة وجاء في الحديث [أن الناس إذا رأوها طلعت من مغربها آمنوا كلهم أجمعون] لكن لا يقبل الله التوبة هنا لأنها توبة معاينة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال الناظم –رحمه الله تعالى–:

فصـلٌ في معرفة نبينا محمدٌ صـلى الله عليه وسـلم وتبلغيه الرسـالة وإكمال الله لنا به الدين وأنه خاتم النبيين وسيد ولد آدم أجمعين وأن من ادعى النبوة بعده فهو كاذب.

نبينا محمد من هاشم إلى الذبيح دون شكٍ ينتمي

أرسله الله إلينا مرشدا ورحمةً للعالمين وهدى

الشرح

هذا الفصـل عقده الناظم –رحمه الله تعالى– ليبين من خلاله ما يتعلق بالإيمان بالنبي الكريم–صـلى الله عليه وسلم– والشهادة له بالرسالة فإن الإيمان به أصلٌ من أصول الإيمان والشهادة له بالرسالة من مباني الإسلام ، والإيمان بنبوته والشهادة له بالرسالة–صلوات الله وسلامه عليه– أصلٌ عظيم ، ويندرج تحت ذلك مسائل كثيرة عقد الناظم–رحمه الله تعالى– هذا الفصـل لبيانها ، فذكر فيه ما يتعلق بمعرفة النبي–عليه الصـلاة والسلام– وذكر شيء من نسبه ومولده وشيئاً من حياته ونشأته –صلى الله عليه وسلم– ذكر ما يتعلق بتبليغه الرسـالة وأنه –عليه الصـلاة والسـلام– بلغ البلاغ المبين وما ترك خيراً إلا دل الأمة عليه ولا شراً إلا حذرا منه ، وأنه جاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، وتكلم عن اكمال الله لنا به الدين ، فلم يمت –عليه الصـلاة والسـلام– إلا بعد أن أنزل الله قوله { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعميت ورضيت لكم الإسلام دينا } وتكلم عن ختم النبوة بنبوته –عليه الصلاة والسلام– وأنه خاتم النبيين وأنه لا نبي بعده –عليه الصلاة والسلام– وأنه أفضل الخلق وسيد ولد آدم –صلوات الله وسلامه عليه– وأيضاً بين كفر من ادعى النبوة بعده وأنه كاذبٌ في دعواه يكفر المدعي ويكفر المصدق له في دعواه ، هذا خلاصة ما سيتكلم عنه–رحمه الله – في هذا الفصل وبدأه بقوله :

نبينا محمدٍ من هاشم إلى الذبيح دون شك ينتمي

(**نبينا محمد بن هاشم**) صلوات الله وسلامه عليه ، قوله بن هاشم : أي من ولج هاشم لأنه –عليه الصلاة والسلام– محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم فقوله (**بن هاشم**) أي من ولد هاشم –صلوات الله وسـلامه عليه– وأمه آمنه بنت وهب ، ومراد الناظم هنا الإشـارة إلى فضـل نسـب النبي–صـلى الله عليه وسلم– وأنه عليه الصلاة والسلام– من اشرف الأنساب وخيرها ومن أكرم الأنساب حسباً صلوات الله وسـلامه عليه ، قال (**إلى الذبيح دون شـكٍ ينتمي**) أي أن نسبه –عليه الصـلاة والسـلام– دون شـك ينتمي إلى إسماعيل بن إبراهيم –عليه السـلام– والذبيح هو إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السـلام ، نسب النبي–صلى الله عليه وسلم– ينتمي إليه .

قال –رحمه الله– :

مولده في مكة المطـهرة جهرته لطيبة المنورة

بعد أربعين بدأ الوحي بـه ثم دعا إلى سبيل ربه
عشر سنين أيها الناس اعبدوا ربّاً تعالى شأنه ووحدوا
وكان قبل ذاك في غار حرا يخلو بذكر ربه عن الورى

الشرح

ثم ذكر في هذه الأبيات ما يتعلق بمولد النبي-عليه الصلاة والسلام- ونشأته وما يتعلق ببدء الوحي واشتغاله-عليه الصلاة والسلام- بالدعوة لخص جملة من ذلك في هذه الأبيات بدأ أول ما بدأ في مولده وأنه -عليه الصلاة والسلام- ولد بمكة قال :

مولده بمكة المطهرة هجرته بطيبة المنورة

فهو عليه الصلاة والسلام ولد ونشأ في مكة ثم بعد ذلك هاجر للمدينة صلوات الله وسلامه عليه ، فالولادة كانت في مكة وكانت في عام الفيل ، قال :

(**بعد أربعين بدأ الوحي به**) أي بعد أن أكمل من عمره أربعين سنة صلوات الله وسلامه عليه بدأ الوحي به ، وذلك يدل عليه دلائل منها ما جاء في الصحيحين من حديث أنس عندما ذكر صفات النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- قال [بعثه الله على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين] فبدأ الوحي كان على رأس أربعين أي بعد أن أكمل -عليه الصلاة والسلام- أربعين سنة بدأه الوحي ثم اشتغل بالدعوة إلى الله بلاغ الدين ، والدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى وبيان الحجج والبراهين على ذلك مدة عشر سنوات في مكة ، ثم أُذن له بالهجرة إلى المدينة فهاجر بعد إكمال للخمسين سنة ، أربعون قبل النبوة ، وعشر بعد النبوة في مكة ، في بعد ذلك هاجر إلى المدينة وأمضى فيها ثلاث عشرة سنة صلوات الله وسلامه عليه .

(**ثم دعا إلى سبيل ربه**) أي بدأ الدعوة بعد أن بدأ الوحي وجاءه الأمر بذلك { يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر } إلى آخر الآيات فهو عليه الصلاة والسلام نبأ باقرأ وأرسل بالمدثر ولما نزل عليه { يا أيها المدثر قم فأنذر } بدأ عليه الصلاة والسلام بالدعوة إلى الله عز وجل ، قال (**ثم دعا إلى سبيل ربه عشر سنين**) أي بمكة إلى أي شيء كان يدعو في تلك الفترة التي هي عشر سنوات ؟ قال :

.....أيها الناس اعبدوا ربّاً تعالى شأنه ووحدوا

هذه خلاصة دعوته العشر السنوات التي أمضاها في مكة كلها مرتكزة على الدعوة إلى التوحيد ، الدعوة إلى إخلاص الدين لله ، يمشي في طرقات مكة يقول قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، يدعوهم إلى عبادة الله تبارك وتعالى وتوحيده ، قال :

.....أيها الناس اعبدوا ربّاً تعالى شأنه ووحدوا

وقوله فيه إشارة إلى أن النبي –صلى الله عليه وسلم– مضت دعوته إلى هذا الدين مع إقامة البراهين والحجج ، ومن ذالكم بيان شـأن الله العظيم (**تعالى شـأنه**) فشـأن الله العظيم ومعرفة قدره سـبحانه وتعالى وهدي بالخلق والرزق والعطاء والخفض والرفع والبسط وغير ذلك هذا دليل على وجوب أن يفرد تبارك وتعالى وحده بالعبادة ، شـأن الله العظيم ولهذا قال الله عن المشـركين { وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضـته يوم القيامة والسـماوات مطوياتٌ بيمينه سـبحانه وتعالى عما يشـركون } فالمشـرك لم يقدر الله تبارك وتعالى حق قدره ، فمعرفة الله ومعرفة عظمة الله جل وعلا وتفرده بالخلق والرزق والنعم والعطاء وغير ذلك هذا شـــاهدٌ على وجوب إفراده بالعبادة ، ولهذا أول أمر بالقرآن أمرٌ بالتوحيد مع ذلك شـــواهده ودلائله وأول نهيٌ في القرآن نهيٌ عن الشـــرك { يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشـاً والسـماء بناءً وأنزل من السـماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون } قال : (**عشر سنين**) أي مضى يدعو عشر سنين في مكة يقول في تلك السنوات العشـر يقول (**يا أيها الناس اعبدوا رباً تعالى شـأنه ووحدوا**) عطفها على قوله (**اعبدوا**) عطف تفسـير وبيان ، العطف هنا عطف تفسيرٌ وبيان ، مثله تماماً قول إمام الدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب [باب تفسير التوحيد وشـهادة أن لا إله إلا الله] وهنا قوله (**يا أيها الناس اعبدوا رباً تعالى شأنه ووحدوا**) قوله (**وحدوا**) هذا تفسـير لأن الأمر الذي جاء عن نبينا –عليه الصـلاة والسـلام– وجاء الأمر في كتابه تعالى هو الأمر بالتوحيد كما أُثر عن ابن عباس–رضي الله عنهما– قال [كل أمر بالعبادة أمرٌ بالتوحيد] .

قال :

وكان قبل ذاك في غار حرا يخلو بذكر ربه عن الورا

(**قبـل ذاك**) أي قبـل أن يبعـث ، قبـل أن يبلغ الأربعين ، كـان قبـل ذاك يخلو في حراء للعبـادة وللتفرغ والتحنث والتعبد (**يخلو بذكر ربه عن الورا**)

قال –رحمه الله– :

وبعد خمسين من الأعوام مضت لعمر سيد الأنام

أسرى به الله إليه في الظلم وفرض الخمس عليه وحتم

الشرح

جاء فيما يتعلق بتعبد النبي–صـلى الله عليه وسـلم– في غار حرا جاء في الصـحيح عن أم المؤمنين خديجة –رضي الله عنها– قالت [أول ما بدء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد] إلى آخر الحديث .

وبعد خمسين من الأعوام مضت لعمر سيد الأنام

أسرى به الله إليه في الظلم وفرض الخمس عليه وحتم

هنا ذكر قصة الاسراء وامعراج وذكر تاريخها أنها بعد خمسين من الأعوام ؛ أي بعد أن أكمل –عليه الصلاة والسلام– من عمره خمسين عاماً أسري به عليه الصلاة والسلام– أسري به إلى بيت المقدس وعرج به إلى السماء (مضت لعمر سيد الأنام) أي لعمر النبي –عليه الصلاة والسلام– (أسرى به الله إليه في الظلم) أي عرج به الله سبحانه وتعالى (في الظلم) أي في الليل ، (وفرض الخمس عليه وحتم) أي فرض عليه الصلوات الخمس وحتم ولعلنا هنا نقرأ حديث أنس في صحيح البخاري وقد أورده الشارح–رحمه الله تعالى– قال :

عن أنس بن مالك بن صعصعة أن النبي –صلى الله عليه وسلم– حدثهم عن ليلة أسرى به قال :بينما أنا في الحطيم – وربما قال: في الحجر مضجعاً إذ أتاني آت فقال: وسمعته يقول (فشق ما بين هذه إلى هذه) فقلت إلى للجارود وهو إلى ما جنبه ما يعني به ؟ قال : من ثغرة نحره إلى ثعرته ، وسمعته يقول : من قصه إلى شعرته (فاستخرج قلبي) ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً فغسل قلبي ثم حشى ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال الجارود: وهو البراق يا أبا حمزة؟ قال: أنس: نعم!: (يضع خطوة عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبرائيل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبرائيل. قيل ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه. قال: نعم! قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه. فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح .. ثم صعد إلى السماء الثانية فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبرائيل. قيل: ومن معك؟ قال محمد. وقد أرسل إليه؟ قال: نعم! قيل :مرحبا به فنعم المجيء جاء، ففتح. فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح جبرائيل قيل: من هذا؟ قال :جبرائيل. قيل: ومن معك؟ قال محمد. وقد أرسل إليه؟ قال: نعم! قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء، ففتح. فلما خلصت إذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبرائيل. قيل: ومن معك؟ قال محمد. وقد أرسل إليه؟ قال: نعم! قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت إذا إدريس قال: هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبرائيل. قيل: ومن معك؟ قال محمد. وقد أرسل إليه؟ قال :نعم! قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت إذا هارون قال: هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ

الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل. قيل: ومن معك؟ قال محمد. وقد أرسل إليه؟ قال: نعم! قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت إذا موسى قال: هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى فقيل له ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر من ما يدخلها من أمتي. ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبرائيل قيل: من هذا؟ قال: جبرائيل. قيل: ومن معك؟ قال محمد. وقد أرسل إليه؟ قال: نعم! قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت إذا إبراهيم قال هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح .ثم رفعت إلى سدرة المنتهى، وإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال : هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت: ما هذا يا جبرائيل؟ قال: أما الباطنان: فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور ، ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من عسل، فأخذت اللبن قال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك. ثم فرض علي الصلوات خمسون صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال: بم أمرت قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك. فرجعت فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بما أمرت؟ فقلت بخمس صلوات كل يوم .قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك. قال: سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم قال: فلما جاوزت ناداني مناد: أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي.

رواه مسلم مختصراً .

الحديث الذي ساقه المصنف –رحمه الله– فيه ذكر الإسراء بالنبي–صلى الله عليه وسلم– والعروج به بالسماء والإسراء ذكره الله بقوله { سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله } فأسري به –عليه الصلاة والسلام– من مكة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم هناك عرج به إلى السماء ، والحديث ذكر النبي–صلى الله عليه وسلم– من لقيه من الأنبياء في كل سماء ، ففي السماء الدنيا لقي آدم –عليه السلام– وفي السماء الثانية لقي يحي وعيسى–عليهما السلام– وف السماء الثالثة لقي يوسف –عليه السلام– وفي السماء الرابعة لقي إدريس –عليه السلام– وفي الخامسة لقي هارون وفي السادسة لقي موسى –عليه السلام– وفي السابعة لقي إبراهيم –عليه السلام –وعلى جميع النبيين

والمرسلين ، ثم ذكر فريضة الصلاة عليه وأنها فرضت خمسين صلاة ونزل بها ، ثم لقي موسى في نزوله فقال فرضت علينا الصلاة وقال : خمسين صلاة فقال : أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك واسأله التخفيف فرجع وخففت إلى عشر ثم رجع وخففت إلى عشر أخرى إلى أن خففت إلى خمس صلوات وهي خمسٌ في العدد وخمسون في الأجر ، وهذا الحديث يبين لنا مكانة الصلاة في الإسلام فهي الفريضة الوحيدة والعبادة الوحيدة التي فرضت على نبينا-صلى الله عليه وسلم- من فوق سبع سماوات عرج به -صلوات الله وسلامه عليه- وفرضت عليه وهو -صلى الله عليه وسلم- فوق السماء السابعة أما بقية الأحكام والأوامر والفرائض فكانت تنزل عليه في الأرض إلا هذه الفريضة ، فإنها فرضت عليه عندما عرج به إلى السماوات وصعد عليه الصلاة والسلام إلى ما فوق السماء السابعة حيث فرض سبحانه وتعالى عليه الصلاة وسمع كلام الله من الله ، في هذه الفريضة العظيمة أما بقية الفرائض والأوامر كلها كانت تنزل عليه بواسطة جبريل عليه السلام { وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين } فهذه القصة ؛ قصة الإسراء والمعراج يأخذ منها المسلم فائدة عظيمة وهي العناية بالصلاة والاهتمام بها والمحافظة عليها ؛ أقول ذلك لأن من الناس من فرطوا في هذا الجنب العظيم المستفاد من هذه القصة العظيمة إلى الاشتغال باحتفالات ما أنزل الله بها من سلطان ، ولهذا يوجد في بعض المناطق في ليلة من الليالي يحتفلون باحتفال يسمونه الإسراء والمعراج ويحتفلون احتفال كبير وله أعماله وله طقوسه وله أطعمته الخاصة في تلك الليلة وله طرائق في الاحتفال هذا الأمر ما شرعه الله ، وربما بعض هؤلاء المحتفلين يسهرون في تلك الليلة وينامون عن صلاة الفجر ، أو يضيعون صلوات أخرى غيره من الصلوات ، فهل هؤلاء استفادوا من قصة الإسراء العظيمة ؟ وهل أصبحت مثل هذه المواقف العظيمة والجليلة حظ الناس منها مجرد الاحتفالات ؟ احتفالات ما أنزل الله بها من سلطان و لا دليل عليها من القرآن ولا من السنة ، ثم الاحتفال من أصله غير مشروع والأمور التي تفعل في الاحتفال نفسه غير مشروعة ، ولهذا الصحابة ومن تبعهم بإحسان لم يشتغلوا بهذه الاحتفالات إنما احتفلوا بالجد والاجتهاد بالعبادة حفاظاً على فرائض الإسلام ورعايةً واجبات الدين ، فقصة الإسراء والمعراج قصة عظيمة فيها فوائد كثيرة جداً ، ومن فوائدها العظام مكانة الصلاة في الإسلام ومنزلتها من الدين المحافظة عليها ، وعظم فضل الله على هذه الأمة حيث فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة وهي بالفعل خمسٌ وبالأجر خمسين ، خفف عنهم فعلها وأبقى لهم ثوابها وأجرها ، فهي خمس صلوات في الفعل لكنها أجر خمسين صلاة ، وأيضاً رحمة الله عز وجل بعباده ولطفه بهم وتخفيفه عنهم وتيسيره لهم وكل هذه المعاني ينبغي أن يستحضرها المؤمن وتكون دافعاً له للمحافظة على هذه الطاعة العظيمة والعبادة الجليلة .

قال -رحمه الله- :

وبعد أعوامٍ ثلاثةٍ مضت من بعد إعراج النبي وانقضت

أُذن بالهجرة نحو يثربا مع كل مسلمٍ له قد صحبا

الشرح

ثم ذكر الهجرة وتاريخ الهجرة وأنه بعد ثلاثة أعوام مضت من بعد المعراج ، ونحن عرفنا أن المعراج لخمسين مضت ، أولاً بدء الوحي على رأس الأربعين والمعراج لما مضى خمسين وبعد هذه بثلاثة سنوات أذن له بالهجرة فهاجر فيكون –عليه الصلاة والسلام– أمضى في مكة ثلاث عشرة سنة .

وبعد أعوامٍ ثلاثةٍ مضت من بعد إعراج النبي وانقضت

أُذن بالهجرة نحو يثربا مع كل مسلمٍ له قد صحبا

أذن له –عليه الصلاة والسلام– أن يهاجر إلى يثرب باعتبار ما كانت تسمى به ، وقال النبي–صلى الله عليه وسلم– [هي طابة] لكن باعتبار ما كانت تسمى به قال : **أُذن بالهجرة نحو يثربا مع كل مسلمٍ له قد صحبا**

فهاجر النبي–عليه الصلاة والسلام– إلى مكة بعد أن أمضى ثلاث عشرة عاماً في مكة يدعو إلى التوحيد بعد أن بعث صلوات الله وسلامه عليه .

وبعدها كلف بالقتال لشيعة الكفران والضلال

حتى أتوا للدين منقادينا ودخلوا في السلم مذعنينا

الشرح

ثم ذكر الإذن له –صلى الله عليه وسلم– بالقتال وأنه لم يأذن له بالقتال إلا بعد الهجرة ؛ لما هاجر إلى المدينة أصبح له صولة وشوكة أذن له بالقتال أما قبل ذلك لم يأذن له بالقتال ، كان يؤذى ويؤذى له أصحابه ويصيبهم أذىً شديداً ولم يأذن لهم في تلك المرحلة بالقتال ، فلم يأذن لهم بالقتال إلا بعد الهجرة وبعد أن أصبح لهم شوكة وشيء من القوة أذن الله –سبحانه وتعالى– لهم بالقتال ، أي لشيعة الكفران والضلال لقتال أهل الكفر والضلال حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، (**حتى أتوا للدين منقادينا**) أي أثمر هذا القتال وهذا الجهاد أن أتى هؤلاء للدين منقادينا ودخلوا في السلم مذعنينا : أي منقادين بعد جهاد وقتال كان من النبي –صلى الله عليه وسلم– لإعلاء كلمة الله .

قال–رحمه الله–

وبعد أن قد أن قد بلغ الرسالة واستنقذ الخلق من الجهالة

وأكمل الله به الإسلاما وقام دين الحق واستقاما

قبضه الله العليّ الأعلى سبحانه إلى الرفيق الأعلى

الشرح:

ثم ذكر موت النبي-عليه الصلاة والسلام- وأن موته كان بعد أن بلغ الرسالة ؛ أي بلغها بلاغاً وافياً تاماً وقد نزل عليه قول الله تعالى { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا } وكان وفاته صلوات الله وسلامه عليه في ربيع الأول نهار الأثنين بعد حجة الوداع فوق ثمانين ليلة ، قال :

وبعد أن قد أن قد بلغ الرسالة واستنقذ الخلق من الجهالة

أي أنقذهم الله سبحانه وتعالى من الجهالة وعلم به الجهالة وبصّر به العماية وفتح به أعيناً عمياً وقلوباً غلفاً وآذاناً صما ، بعد ذلك قال :

وأكمل الله به الإسلاما وقام دين الحق واستقاما

ودليل ذلك قوله تعالى{ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا } يقول بعد ذلك :

قبضه الله العليّ الأعلى سبحانه إلى الرفيق الأعلى

وهذا فيه إشارة إلى قبض النبي-صلى الله عليه وسلم- وأنه لما جاءه ملك الموت كان يقول في آخر وقته وسمعته عائشة –رضي الله عنها- وهو بين سحرها ونحرها يقول : [اللهم اغفر لي وألحقني بالرفيق الأعلى] قال :

قبضه الله العليّ الأعلى سبحانه إلى الرفيق الأعلى

قال –رحمه الله- :

نشهد بالحق بلا ارتياب بأنه المرسل بالكتاب

وأنه بلغ ما قد أرسلا به وكل ما إليه أنزلا

الشرح

ختم هنا ما يتعلق بالواجب نحو النبي-عليه الصلاة والسلام- بعد أن أعطى خلاصة عن ولادته ونشأته وبدأ الوحي والإسراء والمعراج والهجرة ثم وفاته-عليه الصلاة والسلام- بعد أن أعطى خلاصة في ذلك بين في هذين البيتين الواجب علينا نحوه ، قال :

نشهد بالحق بلا ارتياب بأنه المرسل بالكتاب

الشهادة له –عليه الصلاة والسلام- بالرسالة ، وهذا ركن من أركان الإسلام [بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله] وهي قبيلة الشهادة لله تبارك وتعالى بالوحدانية فنشهد بأنه المرسل بالكتاب وأنه بلغ ما قد أرسل به ، نعتقد أنه بلغ البلاغ المبين كما أمره الله ، فبلغ عليه الصلاة والسلام البلاغ المبين ، قال أنه بلغ ما قد أرسل به ، (**وكل ما إليه أنزلا**) لم يكتم شيئاً عليه الصلاة والسلام

بل بلغ كل ما أنزل إليه من ربه صلوات الله وسلامه عليه وأشار الشيخ -رحمه الله- في الشرح أن هذه الأبيات تنتظم مسائل هي واجبنا نحو نبينا عليه الصلاة والسلام :

- الأولى : أن الرسول-عليه الصلاة والسلام- مبلغ عن الله .
- الثانية : أنه بلغ جميع ما أرسل به ، لم يكتم منه حرفاً واحداً .
- الثالثة : أن هذا الذي بلغه الرسول-صلى الله عليه وسلم- عن ربه هو جميع دين الإسلام .
- الرابعة : أن هذا الدين التام المكمل الذي بلغه الرسول-صلى الله عليه وسلم- إلى الناس كافى لا يقبل زيادة على ما شرع فيه من أصول الملة وفروعها .
- الأمر الخامس : أن محمداً —صلى الله عليه وسلم- ختمت به الرسالات فلا نبي بعده ، ونظم في ذلك بيتين فقال :

وكل من بعده قد ادعى نبوةً فكاذبٌ فيما ادعى

فهو ختام الرسل باتفاق وأفضل الخلق على الإطلاق

الشرح

هنا ختم ما يتعلق بالنبي-عليه الصلاة والسلام- لهذين البيتين الذي بين فيهما ختم النبوة لنبوته —عليه الصلاة والسلام- وأنه لا نبي بعده .

وكل من بعده قد ادعى نبوةً فكاذبٌ فيما ادعى

كل من ادعى النبوة بعد محمد-عليه الصلاة والسلام- فهو كاذبٌ فيما ادعى ، قال :

فهو ختام الرسل باتفاق وأفضل الخلق على الإطلاق

ختام الرسل كما قال تعالى { ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين } وأفضل الخلق على الإطلاق : كما قال —عليه الصلاة والسلام- فهو خاتم النبيين وسيد ولد آدم أجمعين ، وكل مدعٍ للنبوة بعده —عليه الصلاة والسلام- فهو كاذب ، وأدعياء النبوة بعده عليه الصلاة والسلام كثيرون ، وقد قال —عليه الصلاة والسلام- [لا تقوم الساعة حتى يخرج دجالون كذابون كلهم يدعي أنه نبي] ولو نظرت في مدعي النبوة عبر التاريخ بعد موت النبي-عليه الصلاة والسلام- تجد أن العدد أكثر من هذا ، أكثر من الثلاثين ، كما في حديث ثوبان [لا تقوم الساعة حتى يخرج دجالون ثلاثون كلهم يدعي أنه نبي] لكن قال أهل العلم أن الثلاثون من تكون له شوكة ويكون لهم ظور في الناس ، أما من ليس لهم مثل هذا ، بعض الناس يصيبه شيء من المرض أو الوسوسة وبعضهم يتعاطى المخدرات والمسكرات فيتلف عقله وفي تلف عقله يقول أنا نبي ، وكل الناس يعرفون أنه مختل أو فاقد لعقله وبعض الناس يقرأ في بعض الكتب في الفلسفة فيصاب بالهوس أو شيء من الاختلال العقلي وعدم التوازن ،

أنا أذكر قديماً قالوا لي عن شـــخص يدعي النبوة قالوا نريدك أن تتناظر معه ، قلت ما أظن الأمر يحتاج قالوا هو شاب ولعلك تنصحه ويستفيد ، المهم جمعوني به في مجلس وبقيت ساكت أنتظر ما عنده وما سألته عن شيء ، وهو بقي ساكت ، ثم قلت أنظر ماذا عنده ، فقلت له أنا سمعت كلام يقولون عنك ، وودي أن أتثبت منك وأسمع منك ، فقال الحمد لله وحمد حمداً نسـيت صـيغته ، ثم قال : أما بعد ، فإني أخبرك بأني نبي ، وإني مرسل من عند الله فإن أطعتني فلك الجنة وإن عصيتني فلك النار ، قلت له : أنا كافر بك ، ومؤمن بالله عز وجل ومؤمن بنبوة نبينا-عليه الصلاة والسلام- وأنا أريد أن أسألك عن قول الله تعالى { ما كان محمدٍ أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسـول الله وخاتم النبيين } قال : أقول لك : احذر الجدال وصـدقني وإلا مصـيرك النار ، أنا أنذرك النار لا تجادل صـدقني ، قلت : لا أنا كافر بك وكافر بنبوتك ، ومن يؤمن بنبوتك فهو كافر بالله عز وجل ، إيش الكلام هذا ! أنت معك عقلك ! تبين لي أن فيه شيء ، قرأ بعض الكتب وأصبح عنده شيء من الوسوسة وعقله مختلط ، ومثل هذا كثير وينتهي ، إما أن يقرأ عليه ويكون فيه مس ويشفى ويتعالج بعلاجات وأدوية تخفف حدة الوسواس الذي أبتلي به وينتهي وضـعه ، أو يكون والعياذ بالله من هؤلاء الذين يتعاطون المخدرات ويتلف عقله والناس يدركون ذلك ، لكن المعني بقوله-عليه الصـــلاة والســـلام- في حديث ثوبان قال [ثلاثون] المعني بمن يكون لهم شيء من الظهور ويثيرون شبهات ويكون لهم أتباع وأعوان وأنصار ونحو ذلك.

الشاهد أن نبوة النبيين ختمت بنبوة نبينا-عليه الصلاة والسلام- ولا نبي بعده ، ومن ادعى النبوة بعده فهو كاذب ونبينا-عليه الصـــلاة والســـلام- أخبر على وجه التحذير أنه من سـيوجد من يدعي النبوة ، وأخبر —عليه الصلاة والسلام- أنه خاتم النبين وأنه —صلى الله عليه وسلم- لا نبي بعده .

بقي لنا بعد ذلك فصلٌ يتعلق بالصحابة الكرام-رضي الله عنهم وأرضاهم- وخاتمة ننهينا في درس الغد، والله أعلم وصلى الله وسلم على رسول الله.

الدرس الثاني عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين , سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال الناظم – رحمه الله تعالى – :

فصل ,,

فيمن هو أفضل الأمة بعد الرسول – صلى الله عليه وسلم – وذكر الصحابة بمحاسنهم ، والكف عن مساوئهم وما شجر بينهم .

وبعـده الخليفـة الشـفيق نعـم نقيـب الأمـة الصـديق

ذاك رفيق المصطفى في الغار شـيخ المهـاجرين والأنصـار

وهـو الـذي بنفسـه تـولى جهـاد مـن عـن الهدى تولى

الشرح :

بسم الله الرحمن الرحيم , الحمد لله رب العالمين , والعاقبة للمتقين , وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين

أما بعد ,,

فهذا فصل عقده الناظم – رحمه الله تعالى – ليبين من خلاله فضائل الصحابة – رضي الله عنهم – ومكانتهم العلية ويذكر شيئاً من محاسنهم ومناقبهم وأيضاً يتحدث عن تفاضل الصحابة – رضي الله عنهم – وأنهم ليسوا على رتبة واحدة , أفضلهم صديق الأمة ومن بعده عمر ومن بعده عثمان ومن بعده علي – رضي الله عنهم – ومن بعدهم بقية العشرة , ثم ذكِر فضائل أمهات المؤمنين أزواج النبي – الكريم – صلوات الله وسلامه عليه ورضي الله عنهن – إلى غير ذلك من المباحث العظيمة المتعلقة بهذا الموضوع وأيضاً تحدث في بعض الأبيات عن الموقف الصحيح تجاه ما شجر بين أصحاب النبي – عليه الصلاة والسلام – وأن الواجب الكف عن ما شجر بينهم – رضي الله عنهم – وبيان المنهج الذي يُسلك في ذلك على ما سيأتي في أبياته – رحمه الله تعالى – , وقد جعل عنوان هذا الفصل هو : " **فصل** ,,

فيمن هو أفضل الأمة بعد رسول صلى الله عليه وسلم وذكر الصحابة بمحاسنهم ، والكف عن مساوئهم وما شجر بينهم – رضي الله عنهم – " , وبدأ هذا الفصل في بيان خير الصحابة – رضي الله عنه – أبي بكر الصديق – رضي الله عنه- وهو أفضل أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – بل إنه أفضل أتباع الأنبياء كلهم ونستطيع أن نقول إن أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – أفضل الناس بعد الأنبياء في الأولين والآخرين فهو أفضل – رضي الله عنه – أتباع الأنبياء ليس فقط أفضل أتباع النبي الكريم – عليه الصلاة والسلام- , بل ليس في الأولين والآخرين بعد الأنبياء من هو أفضل منه ودليل ذلك ما ثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : " أبوبكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين عدا النبيين " فأفضل أتباع الأنبياء أبو بكر – رضي الله عنه – يليه في الفضل عمر – رضي الله عنه – , فأبوبكر وعمر – رضي الله عنهما – هما أفضل أتباع الأنبياء كلهم .

قال :

وبعـده الخليفـة الشـفيق نعـم نقيـب الأمـة الصـديق

" **وبعـده الخليفـة** " ؛ أي الخليفة الراشد والخليفة الأول للنبي الكريم – صلوات الله وسلامه عليه – " **الشـفيق** " وهذه صفة عُرف بها الصديق – رضي الله عنه – فهو رجل شفيق , رحوم , يُعرف بذلك – رضي الله عنه – .

" **نعـم نقيـب الأمـة الصـديق** " , والنقيب : عريف القوم وأفضلهم ولهذا قال : " **نعـم نقيـب الأمـة** " ؛ أي نعم المقدم في الأمة وخير الأمة وأفضلهم الصديق , والصديق هذه رتبة من رتب الدين , فاز من الأمة بأعلى مراتبها وأسنى منازلها أبو بكر – رضي الله عنه – , قد قال الله – عز وجل – : ((ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين)) فهي رتبة علية من رتب الدين حاز أبو بكر – رضي الله عنه – أعلى رتبها وأشرف منازلها , قال : " **ذاك رفيق المصطفى في الغار** " , " **ذاك** " ؛ أي الصّديق " **رفيق المصطفى** " ؛ أي النبي الكريم – عليه الصلاة والسلام- " **في الغار** " ؛ أي غار حراء , قال : ((ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصحابه لا تحزن إن الله معنا)) ولست الآن متأكداً هل هو حراء أو لا , لا أذكر .

ذاك رفيق المصطفى في الغار شـيخ المهـاجرين والأنصـار

والمراد ب " **شـيخ المهـاجرين والأنصـار** " أنه خيرهم وأفضلهم ومقدمهم – رضي الله عنه وأرضاه – .

قال :

وهــو الــذي بنفســه تــولى جهـاد مـن عـن الهـدى تـولى

" **وهــو الــذي بنفســه** " ؛ أي قام بنفسه بجهاد المرتدين وذلك بعد موت النبي الكريم – صلوات الله وسلامه عليه – وباشر جهادهم بنفسه – رضي الله عنه – وجيّش الجيوش وهيأ المقاتلين لمقاتلة المرتدين , قال :

وهــو الــذي بنفســه تــولى جهـاد مـن عـن الهـدى تـولى

" **عـن الهـدى تـولى** " ؛ أي نكص على عقبيه وارتد عن دين الإسلام , والذي تولى عن الهدى هم المعنيون بقول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " يُذاد أقوام من أمتي عن الحوض فأقول : أصحابي , أصحابي , فيُقال :إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك " فهم المعنيون بهذا الحديث , وقد جاء في بعض ألفاظ الحديث التصريح بذلك بأن هم من ارتد ونكص على عقبيه .

قال – رحمه الله – :

ثانيــه فــي الفضــل بلا ارتيــاب الصــادع النــاطق بــالصواب

أعني به الشهم أبا حفص عمر مـن ظـاهر الـدين القـويم ونصـر

الصـارم المنكـي علـى الكفـار وموسـع الفتـوح فـي الأمصـار

الشرح :

ثم أورد هنا ما يتعلق بفضل الصحابي الجليل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – الخليفة الراشد الثاني , قال : " **ثانيــه فــي الفضــل** " , " **ثانيــه** " الضمير يعود على أبي بكر , "**فــي الفضــل**" ؛ أي على الناس , " **بلا ارتيــاب** " ؛ أي بدون شك ولاريب , فثاني الأمة – أمة محمد – صلى الله عليه وسلم- في الفضل بدون شك ولا ريب عمر – رضي الله عنه – , فأولهم أبو بكر وثانيهم عمر , "**الصــادع النــاطق بــالصواب** " وهذا مما اشتُهر به عمر – رضي الله عنه – وعُرف به الصدع بالحق ولا تأخذه في الله لومة لائم , " **الصــادع** " ؛ أي بالحق , " **النــاطق بــالصواب** " وقوله : " **النــاطق بــالصواب** " إشارة إلى موافقة عمر – رضي الله عنه – للوحي في أمور عديدة فهو مما عُرف به الصدع بالحق دون أن تأخذه في الله لومة لائم , ومما عُرف به نطقه بالصواب ويأتي الوحي موافقاً ومؤيداً ومؤكداً لما رآه الخليفة عمر – رضي الله عنه وأرضاه – .

" **أعني به الشهم أبا حفص عمر** " , " **أعني** " بهذه الأوصاف وبهذا الذكر " **الشهم** " قال في معناها : أي الذكي المتوقد السيد المطاع الحكم القوي , فالشهم ؛ أي في صفاته وأخلاقه – رضي الله عنه وأرضاه – .

أعني به الشهم أبا حفص عمر من ظاهر الدين القويم ونصر

هذا مما عُرف به عمر أن الله أيد به الدين ونصر به الدين , قال : " **الصارم المُنكي على الكفار** " , " **الصارم** " ؛ هو السيف المسلول , و " **المنكي** " من النكاية بالعدو , فسيفه صارم أي مسلول فيه أو له نكاية بالأعداء ، (**المنكي على الكفار**) ؛ أي لسيفه نكاية بالكفار أو على الكفار , (**وموسع الفتوح في الأمصار**) , (**موسع**) ؛ من السعة والاتساع لأن الفتوح في زمانه–رضي الله عنه– وأرضاه اتسعت اتساعاً كبيراً ففي زمانه كمّل – رضي الله عنه وأرضاه– فتح الروم وفي زمانه قُضي على فارس وحقق الله – عز وجل– للإسلام فتوحاً عظيمة وانتصاراتٍ كبيرة .

قال–رحمه الله– :

ثالثهم عثمان ذو النورين ذو الحلم والحيا بغير مين

بحر العلوم جامع القرآ ن منه استحت ملائك الرحمن

بايع عنه سيد الأكوان بكفه في بيعة الرضوان

الشرح :

قال – رحمه الله – : (**ثالثهم**) ؛ أي ثالث الخلفاء (**عثمان**) **ثالث** الخلفاء الراشدين ، وثالث الصحابة في الفضل والمكانة ، فعثمان–رضي الله عنه– هو أفضل الأمة بعد أبي بكر وعمر ، وترتيب الصحابة في الفضل هو كترتيبهم في الخلافة ، فكما أنهم في الخلافة ترتيبهم أبو بكرٍ ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ فترتيبهم في الفضل هو كترتيبهم في الخلافة سواء ، , فعثمان – رضي الله عنه– هو أفضل الصحابة بعد أبي بكر وعمر ، وقوله (**عثمان**) أي بن عفان ، وهو من السابقين الأولين في الإسلام وكان إسلامه بدعوةٍ من صديق الأمة – رضي الله عنه وأرضاه– (**ذو النورين**) وأطلق عليه هذا الوصف "ذو النورين " لأن الله – عزوجل– أكرمه بالزواج من اثنتين من بنات النبي الكريم– عليه الصلاة والسلام– قال : (**ذو النورين ذو الحلم والحيا بغير مين**) وهذا أيضاً مما عُرف به – رضي الله عنه وأرضاه– أنه موصوفٌ بالحلم في تعامله وخلقه–رضي الله عنه– (**والحيا**) بل جاء عن النبي–صلى الله عليه وسلم– : [أحيا أمتي عثمان] فكان أشد الصحابة– رضي الله

عنهم أجمعين- حياءً ، (**بغير مين**) المين هو الكذب ، أي بغير كذب ، ثم قال : (**بحر العلوم**) وهذا فيه إشارة إلى فقهه –رضي الله عنه- فهو من فقهاء الصحابة ، وإشارة إلى فهمه لكتاب الله-عز وجل- , (**جامع القرآن**) وهذه من مناقبه لأنه-رضي الله عنه- لما خشي الإختلاف في القرآن والخصام فيه أثناء خلافته جمع الناس على قراءة واحدة وكتب المصحف على القراءة الأخيرة التي دارسها جبريل مع النبي الكريم- صلوات الله وسلامه عليه- , قال : (**منه استحت ملائك الرحمن**) إشارة إلى قول النبي-عليه الصلاة والسلام- : [ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكة] , (ب**ايع عنه سيد الأكوان**) أي بايع عنه نبينا-عليه الصلاة والسلام- وذلك في بيعة الرضوان لما بايع الصحابة النبي- صلى الله عليه وسلم-ووضعوا يدهم في يده واحداً واحداً وبايعوه وكان عثمان إذ ذاك قد ذهب إلى مكة بإرسال النبي-صلى الله عليه وسلم- له في مهمة ، فلم يكن موجوداً ، فوضع النبي-صلى الله عليه وسلم- يد نفسه اليسرى على يده اليمنى وقال : [هذه بيعة عثمان] أو كما قال –عليه الصلاة والسلام- , (**بكفه في بيعة الرضوان**) أي لما غاب –رضي الله عنه- عندما بعثه النبي-صلى الله عليه وسلم .

قال-رحمه الله-:

والرابع ابن عم خير الرسل أعني الإمام الحق ذا القدر العلي

مبيد كل خارجي مارق وكل خبٍ رافضي فاسق

من كان للرسول في مكان هارون من موسى بلا نكران

لا في نبوة فقد قدمت ما يكفي لمن من سوء ظنٍ سلما

الشرح :

ثم ذكر في هذه الأبيات ما يتعلق بفضل الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب – رضي الله عنه- فقال : (**والرابع ابن عم خير الرسل**) , (**والرابع**) ؛ أي في الخلافة والفضل (**ابن عم خير الرسل**) ؛ أي علي بن أبي طالب ابن عم النبي الكريم – صلوات الله وسلامه عليه- لأن أبو طالب والد عليّ عم النبي- صلى الله عليه وسلم- وهو الذي ساند النبي – عليه الصلاة والسلام- وظاهره وذبّ عنه ودافع عنه ، وجهد واجتهد-عليه الصلاة والسلام- في هدايته إلى لحظاته الأخيرة ونزل في ذلك قول الله تعالى :{ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء } .

والرابع ابن عم خير الرسل أعني الإمام الحق ذا القدر العلي

(**أعني**) ؛ أي أقصد بهذه الصفة (**الإمام الحق**) ، وعلي – رضي الله عنه– إمامته إمامة حق وهو مقدمٌ في الصحابة وهو خير الصحابة بعد الثلاثة ؛ بعد أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، (**ذا القدر العلي**) أي ذا المكانة العليّة والمنزلة الرفيعة ، (**مبيد كل خارجيٍ مارق**) , (**مبيد**) : أي مهلك , (**كل خارجي**) ؛ أي مبيد الخوارج الذين كثر خروجهم في زمانه وتزايدوا وأصبح لهم صولة وجولة فكان قتاله لهم وإبادته لهم وذبه عن الإسلام بمقاتلة هؤلاء كان موقفاً مشهوداً وأمراً معلوماً ، قال : (**مبيد كل خارجي مارق**) إشارة إلى قول النبي–عليه الصلاة والسلام– : [يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية] , (**وكل خب رافضيٍ فاسق**) , الخب : المراد به الماكر الخدّاع وهذه صفة يعرف بها الروافض ، والروافض اشتُهروا بهذا الإسم لأنهم رفضوا إمامة الشيخين أبي بكر وعمر وادعوا الانتصار لآل بيت النبي–عليه الصلاة والسلام– وغلوا في آل البيت ، وغلوا في علي –رضي الله عنه– بل بعضهم في زمانه ادعوا ألوهيته ، وفي ذلك قال – رضي الله عنه– :

إني لما رأيت الأمر منكرا أججت ناري ودعوت قنبرا

فغلوا فيه–رضي الله عنه وأرضاه– ولهذا كان ممن أباد الروافض ، وكان من أول من قاتلهم وحاربهم–رضي الله عنه وأرضاه– وأيضاً من أول من ردّ شُبه الروافض ، ثم قال :

من كان للرسول في مكان هارون من موسى بلا نكران

وأيضاً هنا بين مكانة عليّ – رضي الله عنه– ومنزلته عند النبي–صلى الله عليه وسلم– إشارة إلى ما صح عن نبينا–صلى الله عليه وسلم– أنه قال لعلي : [أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى] .

ثم ختم ذلك بقوله :

لا في نبوةٍ فقد قدمت ما يكفي لمن من سوء ظنٍ سلما

(**لا في نبوة**) فهو مكانته ، مكانة عليّ من النبي–صلى الله عليه وسلم– هي من مكانة هارون من موسى ، لكن يضع الشيخ – رحمه الله – هنا احتراز (**لا في نبوة**) لأن هارون نبي ، ولما قال :{ اجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري } فهو نبيٌ معه ، شريكٌ له في النبوة ولهذا لما ذكر هذا المعنى وضع هذا الاحتراز للتنبيه قال : (**لا في نبوةٍ**) يعني هو مكانته من النبي–صلى الله عليه وسلم– مكانة هارون من موسى لكن ليس فيه نبوة ، هارون نبي وشريكٌ لموسى –عليهم السلام– في النبوة ، لكن هذه المكانة التي لعليّ ليست في النبوة ولكنها في النصرة والمعاونة والفضل إلى غير ذلك ، (**لا في نبوة فقد قدمت**

ما) أي في هذا النظم (**قدمت ما**) , (**ما**) بمعنى الذي ، (**يكفي لمن من سوء ظنٍ سلما**) يعني قدمت من البيان في هذا الباب ما يكفي مشيراً إلى قوله فيما سبق :

وكل من من بعده قد ادعى نبوةً فكاذبٌ فيما ادعى

قال–رحمه الله– :

والستة المكملون العشرة وسائر الصحب الكرام البررة

ثم ذكر هنا فضل الستة المكملون للعشرة , والمراد بالعشرة : أي العشرة المبشرين بالجنة ، وسموا بهذا الاسم : العشرة المبشرين في الجنة مع وجود غيرهم قد بشروا بالجنة من الصحابة مثل عكاشة وغيره من الصحابة لأنهم في مجلسٍ واحد بشرهم النبي–صلى الله عليه وسلم– بالجنة ، في مجلس واحد عدهم النبي– صلى الله عليه وسلم– في مجلسٍ واحد ، قال : [أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وسعد في الجنة ، وسعيد في الجنة ، وعبد الرحمن في الجنة ، وأبو عبيدة في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة] في مجلسٍ واحد ذكرهم –عليه الصلاة والسلام– في مجلسٍ واحد ، واحداً واحداً بشرهم بالجنة ، ولهذا اشتهر هؤلاء بالعشرة المبشرين بالجنة وهم أفضل الصحابة ، وهم أفضل أصحاب النبي الكريم– صلوات الله وسلامه عليه ورضي الله عنهم أجمعين– , قال :

والستة المكملون العشرة وسائر الصحب الكرام البررة

أي بعد هؤلاء العشرة المبشرين بالجنة (**وسائر الصحب الكرام البررة**) ؛ أي سائر أصحاب النبي – عليه الصلاة السلام– الكرام البررة .

قال–رحمه الله–:

وأهل بيت المصطفى الأطهار وتابعيه السادة الأخيار

وكلهم في محكم القرآن أثنى عليهم خالق الأكوان

في الفتح والحديد والقتال وغيرها بأكمل الخصال

كذاك في التوارة والإنجيل صفاتهم معلومة التفصيل

وذكرهم في سنة المختار قد سار سير الشمس في الأقطار

الشرح:

ثم ذكر هنا في أول البيت فضل أزواج النبي- عليه الصلاة والسلام- , قال :

وأهل بيت المصطفى الأطهار وتابعيه السادة الأخيار

(**أهل بيت المصطفى**) ؛ أي بيت النبي الكريم-عليه الصلاة والسلام- وهم أزواجه- رضي الله عنهم- وقوله (**الأطهار**) ؛ أي الذين طهرهم الله { إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا } .

ثم ذكر بعد ذلك فضل الصحابة عموماً في القرآن وفي سنة النبي- عليه الصلاة والسلام- مشيراً إلى بعض الدلائل على ذلك ، قوله : (**وتابعوه السادة الأخيار**) مشيراً إلى التابعين بإحسان لأصحاب النبي الكريم- عليه الصلاة والسلام- { والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان } , قال : (**فكلهم**) ؛ أي الصحابة (**في محكم القرآن أثنى عليهم خالق الأكوان**) وأيضاً الثناء الذي لخالق الأكوان جاء شاملاً في الآية التي أشرت إليها للصحابة ولتابعيهم بإحسان { والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان } ثم أشار إلى بعض الآيات والسور التي جاء فيها حديثٌ عن فضل الصحابة ومكانة الصحابة قال : (**في الفتح والحديد والقتال**) ؛ أي في سورة الفتح وسورة الحديد وسورة القتال (**وغيرها بأكمل الخصال**) ؛ أي جاء الثناء عليهم في الفتح لأن الجار والمجرور في قوله : (**في الفتح**) متعلقٌ بالفعل الذي هو (**أثنى**) أثنى عليهم في (**الفتح**)؛ أي في سورة الفتح والحديد والقتال وغيرها من سور القرآن بأكمل الخصال ، والفتح تعددت الآيات في ذكر الصحابة وفضلهم ورضا الله – تبارك وتعالى – عنهم ، إلى أن خُتمت السورة بذكر ثناء الله على الصحابة وأنه قد أثنى عليهم في التوراة والإنجيل قال تعالى : { محمدٌ رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوارة ومثلهم في الإنجيل كزرعٍ أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع } فهذا ثناءٌ عاطر على الصحابة الكرام – رضي الله عنهم وأرضاهم – في التوراة والانجيل ، أشار الله إليهم في هذه الآية ، ولهذا يا إخوان ينبغي أن نعلم أن الصحابة-رضي الله عنهم – قد أثنى عليهم رب العالمين قبل أن يوجدوا ، وقبل أن تكون منهم الصحبة ، وقبل أن تطأ أقدامهم الأرض ويمشوا عليها ، أثنى عليهم رب العالمين ثناءً مسبقاً في وحيٍ يتلى في كتابه التوارة الذي أنزله على موسى – عليه السلام- وفي وحيٍ يتلى في كتابه الإنجيل الذي أنزله على عيسى – عليه السلام- وذكر مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل ثناءً عاطراً عليهم-رضي الله عنهم وأرضاهم- ولذا قال الناظم :

كذاك في التوارة والإنجيل صفاتهم معلومة التفصيل

أي أن الثناء عليهم لم يكن في القرآن فقط ، بل قد أثني عليهم قبل ذلك في التوارة والإنجيل كما يبين ذلك ما ذكره رب العالمين في الآية الأخيرة من سورة الفتح ، قال : (**وذكرهم في سنة المختار**) أي في سنة نبينا الكريم – عليه الصلاة والسلام- (**قد سار سير الشمس في الأقطار**) لأن الأحاديث في فضل الصحابة ومكانة الصحابة والنهي عن سب الصجابة وغير ذلك أحاديث كثيرة جداً ثابتة عن نبينا الكريم-صلوات الله وسلامه عليه- سارت مسير الشمس : أي من كثرتها في الأقطار ، وقد جمع أهل العلم في مصنفات كبيرة منها ما خُص في بعض أفراد الصحابة ومنها ما خُصّ بالخلفاء الراشدين الأربعة ومنها ما خصّ بالعشرة المبشرين بالجنة ومنها ما كان عاماً شاملاً للصحابة أجمعين ، وكتب كثيرة في فضائل الصحابة ومناقب الصحابة ومكانة الصحابة .

قال – رحمه الله- :

ثم السكوت واجبٌ عما جرى بينهم من فعل ما قد قدرا

فكلهم مجتهدٌ مثـابُ وخطؤهم يغفره الوهـابُ

الشرح :

قال :

ثم السكوت واجبٌ عما جرى بينهم من فعل ما قد قدرا

يقول الشيخ الواجب علينا معاشر أهل السنة وأهل الحق تجاه ما جرى بينهم – أي ما شجر بينهم –الواجب علينا هو السكوت ، مثل ما قال بعض السلف : [تلك فتنةٌ طهر الله منها سيوفنا فلنطهر منها ألسنتنا] ومثل ما قال أيضاً بعضهم عندما سئل عن تلك الفتن قال : { تلك أمةٌ قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون } فالواجب هو السكوت عما جرى بينهم ، وعدم الخوض فيه مطلقاً ، الواجب هو أن يكف المرء لسانه ويمنع لسانه من الحديث بأي شيء جرى بين الصحابة ، لا يبتدئ حديثاً في ذكر ما جرى بين الصحابة هذا ليس مطلوب ، المطلوب تجاه ما جرى بين الصحابة أن نكف ألسنتنا وألا نخوض في شيء من ذلك بل نكفّ ألسنتنا لأنها أمةٌ قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا يجوز لنا أن نخوض فيما شجر بينهم ، حكاماً نميز محقاً من مبطل ، أو مصيب من مخطيء ومن يدخل في هذا الأمر في الحقيقة يكون دخل فيما لا يعنيه وأنا أضرب للتوضيح في مثل هذا المقام مثالاً , أقول لو فرض أنه وجدت خصومة قبل مائتين سنة تقريباً بين أقوام وخلافات ، ثم جاء شخص في هذا العصر وقال أنا أريد أن أفصل بين هؤلاء في خصومتهم وأبين من المخطيء ، ماذا سيحصل من فصله بين هؤلاء ؟ انتهوا هؤلاء كلهم ماتوا

وانتهوا !! فيما يتعلق بالصحابة الأمر أعظم من ذلك لأن الكل مجتهد والأمر فيه اجتهاد والمصيب منهم مأجورٌ على اجتهاده وعلى إصابته ، والمخطيء منهم مأجورٌ على اجتهاده ومغفورٌ له خطأه فماذا يعنيك أنت !! ماذا يعنيك أنت ؟! إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجرٌ واحد وذنبه مغفور ، وهذا هو الأمر فيما يتعلق بين الصحابة , ولهذا لا يجوز الدخول فيما شجر بين الصحابة ، لكن العلماء استثنوا من ذلك حالةً واحدة وهي الدخول للدفاع عن الصحابة مثل ما قال شيخ الإلاسلام ابن تيمية: [ولما خاض فيهم أهل الباطل بالباطل لزم أهل الحق أن يخوضوا فيهم بالحق] ففي مثل هذا المقام الانبراء للدفاع عن الصحابة بمعنى أنه يتجه الإنسان في هذا الباب للكلام للذب عن الصحابة وتبرأة ساحتهم ، وبيان فضلهم وإحقاق الحق وردّ باطل أهل الباطل وكلامهم الباطل لأصحاب النبي- عليه الصلاة والسلام- فإذا دخل الداخل في هذا الباب من هذا القبيل ساغ له ، مثل ما صنع شيخ الإسلام-رحمة الله عليه – في كتابه العظيم المبارك "منهاج السنة في الدفاع عن أصحاب النبي الكريم-رضي الله عنهم وأرضاهم- " هذا المعنى يوضحه الشيخ – رحمه الله – بقوله :

ثم السكوت واجبٌ عما جرى بينهمُ من فعل ما قد قدرا

أي الذي حصل منهم أمر قدره الله وكتبه ، (**فكلهم مجتهدٌ مثاب**) , (**فكلهم**) ؛ أي من أصاب منهم ومن أخطأ كلهم المصيب منهم والمخطيء كلهم مجتهدٌ مثاب ، مثابٌ على اجتهاده تحريه للحق وحرص عليه ورغبته فيه وطلبه له ، فكلهم مجتهدٌ مثاب (**وخطؤهم يغفره الوهاب**) يغفره الله سبحانه وتعالى ، وإذا كان الشأن كذلك فماذا يفيد إنساناً في زماننا أو قبله يدخل بين الصحابة ويقول : هذا مخطيء وهذا مصيب ماذا يجني من ذلك وماذا يحصّل وماذا يريد ؟! لأنهم لا يخرجون عن هذين الأمرين ؛ مجتهد مصيبٌ له أجران ومجتهدٌ لم يصب له أجرٌ واحد وذنبه يغفره الوهاب ؛ يغفره الله – سبحانه وتعالى – ، فماذا يفيد الداخل في هذا الباب ، فالواجب كما قال أهل السنة : الواجب السكوت أن يلزم , الإنسان السكوت ولا يذكر الصحابة إلا بالخير ، ولا يذكرهم إلا بالمناقب والفضائل ، ولهذا تجد الآن في كتب السلف قديماً – رحمهم الله- فضائل الصحابة ، مناقب الصحابة ، مكانة الصحابة ، فضل عمر , فضل علي , فضل عثمان ، كل شغل وعمل السلف في هذا الباب وتجد في دواوين السنة الصحيحين وغيرهما تجد أبواب خاصة في فضائل الصحابة ، ولا تجد عند السلف أبواباً ولا كتباً في ماذا؟ فيما شجر بينهم هذا غير موجود إلا عند أهل البدع وأهل الضلال هم الذين يدخلون هذا الدخول الباطل الدخول المنهي عنه ، وإذا خاض أهل الضلال في الصحابة بغير حق ودخلوا في الكلام على الصحابة بالباطل لزم أهل الحق الذب عن الصحابة والانتصار لهم – رضي الله عنهم وأرضاهم- , ثم كما بين أهل العلم الذي شجر بين الصحابة أو ما يُنقل فيما شجر بين الصحابة لا يخرج عن حالتين :

- إما أشياء غير صحيحة ؛ مروية بالأسانيد الضعاف أو الواهيات أو الموضوعات المكذوبات وما أكثر ما يُروى في هذا الباب من قبيل الكذب والواهي والضعيف وهذا أمره يُفرغ منه بمعرفة ضعفه وكذبه ، وما صح من ذلك وهو قليل لا يخرج أمر الصحابة فيه عما ذكره الناظم ب- رحمه الله – قوله :

وكلهم مجتهدٌ مثابُ وخطؤهم يغفره الوهابُ

ومن المؤسف أن بعض أهل الأهواء يتتبعون كتب الأخبار وكتب التاريخ ويستخرجون روايات إما ليس لها أسانيد أو أسانيدها واهية أو فيها مجاهيل أو فيها انقطاعات أو فيها ضعفاء أو فيها كذابين ولا ينظرون في الإسناد مطلقاً ، ثم يأتي ويقول أبو بكر فعل كذا وعثمان فعل كذا وعلي فعل كذا !! ويذكر أشياء تتعلق بالصحابة ولم يميز ، وهذا كثير في زماننا خاصة في بعض الأشرطة السيارة وبعض الصحف وبعض الكتابات التي يقوم عليها من لا خلاق لهم ولا حظ لهم في العلم يدخلون دخولاً باطلاً في أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- مبنياً على هذه الواهيات والمختلقات والأكاذيب ، وعلى كلٍ الذي يُروى في هذا الباب كثيرٌ منه لا يصح ، وما صح من ذلك وهو قليل بالنسبة لما لا يصح شأن الصحابة فيه لا يخرج عن هذين الأمرين :

- إما مجتهدٌ مصيب له أجران .
- أو مجتهدٌ مخطيء له أجرٌ واحد وذنبه مغفور .

قال – رحمه الله- :

خاتمة في وجوب التمسك بالكتاب والسنة والرجوع عند الاختلاف إليهما فما خالفهما فهو رد .

شرط قبول السعي أن يجتمعا في إصابةٌ وإخلاصٌ معا

لله رب العرش لا سواه موافق الشرع الذي ارتضاه

الشرح :

ثم عقد – رحمه الله – هذه الخاتمة لهذا النظم المستطاب (في وجوب التمسك بالكتاب والسنة والرجوع عند الاختلاف إليهما فما خالفهما فهو رد) عملاً بقول الله تعالى : { وإن تنازعتم في شيءٍ فردوه إلى الله وإلى

الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلا } والرد إلى الله الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم- هو الرد إلى سنته –صلوات الله وسلامه عليه- .

قال :

شرط قبول السعي أن يجتمعا في إصابةٌ وإخلاصٌ معا

" **شَرْط قُبُولِ السَّعْي** " ؛ أي قبول الله - تبارك وتعالى – لسعي العبد أن يجتمع في سعيه ؛ أي في عمله شرطان ؛ إخلاص ومتابعة " **إصَابَةٌ وإخْلاَصٌ** "كما عبر الشيخ , " **إخْلاَصٌ** " ؛ أي للمعبود , و " **إصَابَةٌ** " ؛ أي لهدي الرسول – عليه الصلاة والسلام - , " **إخْلاَصٌ** " لله , و " **إصَابَةٌ** " لهدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال تعالى : ((فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)) فذكر – جل وعلا – في هذه الآية الشرطين , وقال الله تعالى : ((ليبلوكم أيكم أحسن عملاً)) قال الفضيل بن عياض – رحمه الله – وهو من علماء التابعين - : " أخلصه وأصوبه " معنى ((أيكم أحسن عملاً)) أي : " أخلصه وأصوبه , قيل : يا أبا عليّ وما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل , وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً " والخالص : هو ما كان لله , والصواب : ما كان على السنة .

فالشيخ هنا – رحمه الله – يقول :

شَرْط قُبُولِ السَّعْي أنْ يَجْتَمِعَا فِيهِ إصَابَةٌ وإخْلاَصٌ مَعَا

فإذا وجد سعي بإخلاص بدون إصابة أو بإصابة وبدون إخلاص فإنه لا يُقبل , وأقسام الناس مع الإخلاص والإصابة في الأعمال أربعة وهي القسمة التقديرية قي هذا الباب ؛

- من جاء بإخلاص بدون إصابة , هذا الأول .
- والثاني : من جاء بإصابة بدون إخلاص , هذا الثاني
- والثالث : من جاء بعمل لا إخلاص فيه ولا إصابة .

وكل هؤلاء لا يقبل الله منهم عملهم

- والرابع : هو المخلص المصيب , وهو الذي يقبل الله عمله

ودليل الإخلاص قول الله – عز وجل – في الحديث القدسي : " أنا أغنى الشركاء عن الشرك , من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه " ودليل الإصابة قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " من عملاً عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد " أي مردود على صاحبه غير مقبول منه .

لما ذكر في البيت الأول الشرطين وضحهما وبينهما في البيت الثاني قال :

لله رَبَّ العَرْشِ لا سِوَاهُ .....

أي إخلاص العمل " **لله رَبَّ العَرْشِ** " ؛ أي يكون العمل خالصاً صافياً لا يُراد به إلا رب العرش أي الله – سبحانه وتعالى – , والإخلاص من الخالص الذي هو الصافي النقي , ومعنى أن يكون العمل خالصاً لله : أي صافياً نقياً لم يُرد به إلا الله – سبحانه وتعالى – , لم يُبتغَ فيه إلا وجه الله .

لله رَبَّ العَرْشِ لا سِوَاهُ مُوَافِقَ الشَّرْعَ الَّذِي ارْتَضَاهُ

أن يكون موافقاً للشرع الذي ارتضاه رب العالمين في قوله : ((ورضيت لكم الإسلام ديناً)) , والشرع الذي ارتضاه هو الشرع الذي جاء به نبينا الكريم – صلوات الله وسلامه عليه – .

قال – رحمه الله – :

وَكُلُّ مَا خَالَفَ الوَحْيَيْنَ فَإنَّهُ رَدٌّ بِغَيْرِ مَيْنِ

وكُلُّ مَا فِيهِ الخِلاَفُ نَصَبَا فَرَدُّهُ إليْهِمَا قَدْ وَجَبَا

فَالدِّينُ إنَّمَا أتَى بِالنَّقْلِ لَيْسَ بِالأوْهَامِ وَحَدْسِ الْعَقْل

الشرح :

قال : " **وَكُلُّ مَا خَالَفَ الوَحْيَيْنَ** " ؛ أي كل ما خالف الكتاب والسنة , فالكتاب وحي والسنة وحي قال تعالى : ((وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)) **ف "كُلُّ مَا خَالَفَ الوَحْيَيْنَ** " ؛ أي كل ما خالف الكتاب والسنة , وكما قدمت : الكتاب وحي والسنة وحي , قال تعالى : ((وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)) , " **فَإنَّهُ رَدٌّ بِغَيْرِ مَيْنِ** " ؛ أي مردود على صاحبه أياً كان , كل ما خالف الوحيين فهو مردود على صاحبه غير مقبول منه أياً كان قدره ومكانته وشأنه وذكاؤه وفطنته فإنه رد قال تعالى : ((ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه)) وقال تعالى : ((إن الدين عند الله الإسلام)) فكل ما خالف الإسلام فهو مردود لا يقبله الله – سبحانه وتعالى – من صاحبه .

ثم قال :

وَكُلُّ مَا فِيهِ الخِلاَفُ نَصَبَا فَرَدُّهُ إلَيْهِمَا قَدْ وَجَبَا

أي كل ما وجد فيه الخلاف سواء فيه إذا حصل الخلاف في الزمن المتقدم أو المتأخر كل خلاف نصب ووجد فالواجب فيه الرد إلى الوحيين ؛ إلى كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – عملاً بقوله تعالى : ((فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير وأحسن تأويلاً)) .

قال : " **فَالدِّينُ إنَّمَا أتَى بِالنَّقْلِ** " ؛ أي عن الله وعن رسوله – صلى الله عليه وسلم – لم يُعرف الدين إلا بالنقل بل قال الله – عز وجل – لرسوله : ((وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا)) وقال تعالى لرسوله : ((قل إنما أنذركم بالوحي)) وقال : ((وذكر بالقرآن من يخاف وعيد)) .

فَالدِّينُ إنَّمَا أتَى بِالنَّقْلِ لَيْسَ بِالأَوْهَامِ وَحَدْسِ الْعَقْل

ليس الدين بالأوهام , التخرصات والظنون والخوض بالعقول المجردة لا يُعرف الدين بمثل هذه الطريقة , وإذا كان الدين يؤخذ بالأوهام والتخرصات والظنون ومجرد الاعتماد على العقل فما الحاجة إذن إلى بعثة الرسل ؟! ولقد بلغ الحال ببعض الناس مبلغاً شنيعاً في هذا الباب أن قالوا : إذا تعارض العقل والنقل قُدم العقل , إذن ما الحاجة إلى بعثة الرسل إذا كان العقل مقدماً على ما جاء به الرسل ؟! ولهذا قال بعض أهل العلم الأولين ملزماً هؤلاء قال : " من لازم قول هؤلاء أن يقول قائلهم عقلي رسول الله ! " إذا كان عقله هو المقدم وهو العمدة فإذن ما الحاجة إلى بعثة الرسل إذا كان الأمر كذلك , هذا مما يبين بطلان ما هو عليه هؤلاء الذين يقدمون الأوهام والعقول والأذواق والتخرصات والظنون التي ما أنزل الله – تبارك وتعالى – بها من سلطان .

وهذه الحال ذكرها الله في القرآن , قال في سورة النجم – سبحانه وتعالى – قال : ((إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى)) فتركوا الهدى الذي جاء الله – سبحانه وتعالى – به وأنزله على رسوله – صلى الله عليه وسلم – واتبعوا الظن وما تهوى الأنفس وهذه حال كل مبطل يترك الحق الذي جاء به الرسول – عليه الصلاة والسلام– إما أن يكون متبعاً للظنون التي يمليها عليه عقله القاصر وفكره الضعيف أو يتبع هوى نفسه , إما أن يكون متبعاً للظن أو متبعاً للهوى ؛ في باب العلم يتبع الظن وفي باب العمل يتبع ما تهواه نفسه ولا يكون الإنسان

على الحق والهدى إلا إذا لزم العلم النافع والعمل الصالح ((هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق)) الهدى هو: العلم النافع , ودين الحق : هو العمل الصالح .

قال – رحمه الله – :

ثُمَّ إلى هُنَا قَدْ انْتَهَيْتُ وَتَمَّ مَا بِجَمْعِهِ عُنِيتُ

سَمَّيْتُهُ بِسُلمِ الوُصُولِ إلى سَمَا مَبَاحِثِ الأصُوُلِ

والْحَمْدُ لله عَلَى انتِهَائِي كَمَا حَمِدْتُ الله في ابْتِدَائي

أسْأَلُهُ مَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ جَمِيعِهَا وَالسِّتْرَ لِلعُيُوبِ

ثُمَّ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أبَدَا تَغْشَى الرَّسُولَ الْمُصْطَفَى مُحَمَّداً

ثُمَّ جَمِيعُ صَحْبِهِ والآلِ السَّادَةِ الأئِمَّةِ الأبْدَالِ

تَدُومُ سَرمَدَا بِلا نَفَادِ مَا جَرَتْ الأقْلاَمُ بِالْمِدَادِ

ثُمَّ الدُّعَا وَصيَّةُ القُرَّاءِ جَمِيعهمْ مِنْ غَيْرِ مَا اسْتِثْنَاءِ

أبْيَاتُهَا (يُسْر) بِعَدِّ الْجُملِ تَأْرِيخُهَا (الْغفْرَانُ) فَافْهَمْ وَادْعُ لي

الشرح :

ثم قال – رحمه الله – مشيراً إلى ختم هذا النظم , قال : " **ثُمَّ إلى هُنَا قَدْ انْتَهَيْتُ** " ثم إلى هنا في نظمي لهذه الأبيات قد انتهيت , **والمراد ب** " **انْتَهَيْتُ** " ؛ يعني اقتصرت على هذا القدر لا أنه أتى على جميع أبواب الاعتقاد , وعادة المنظومات المختصرة لا تأتي إلا على جمل وشيء من مهمات هذا الأمر وجوانب منه فيشير إلى هذا المعنى فيقول : " **ثُمَّ إلى هُنَا قَدْ انْتَهَيْتُ** " يعني ما قد رغبت الإقتصار على ذكره في هذا النظم .

" **وَتَمَّ مَا بِجَمْعِهِ عُنِيتُ** " ؛ أي الذي تمّ هنا هو فقط ما أعتنيت بجمعه وهذا –كما قدمت – فيه تنبه على أنه لم يأتِ على كل شيء أو كل ما يُطلب وإنما هذا الذي تيسر له جمعه في هذا النظم .

قال :

سَمَّيْتُهُ بِسُلمِ الوُصُولِ إلى سَمَا مَبَاحِثِ الأصُوُلِ

" **سَمَّيْتُهُ بِسُلمِ** " السلم هو ما يُعرج عليه ويُصعد عليه إلى العالي ' إلى المكان المرتفع , وهنا يصف الشيخ – رحمه الله – مباحث العقيدة بالشيء العالي الرفيع وذلك في قوله : " **إلى سَمَا مَبَاحِثِ الأصُوُلِ** " , " **سَمَا** " إشارة إلى علو مباحث العقيدة وهذا فيه تنبيه إلى أن مباحث العقيدة هي أهم مباحث الدين ومكانها في الدين هو المكان الرفيع العالي , أي أعلى مباحث الدين وأرفعها , والعقيدة هي الفقه الأكبر والمطلب الأسنى والمقام الأرفع في الدين , وهذا النظم جعله الشيخ – رحمه الله – بمثابة السلم الذي يُرتقى من خلاله إلى سماء مباحث الأصول يعني إلى مباحث الأصول العالية , وهذا الارتقاء إلى سماء مباحث الأصول العالية المراد بالأصول : العقائد , مبني كما قد رأينا على الدلائل ؛ على كتاب الله وسنة نبيه – صلوات الله وسلامه عليه – ولهذا قال ابن أبي العز : "كيف يُرام الوصول إلى علم الأصول بغير ما جاء به الرسول – عليه الصلاة والسلام– ؟ " فهذا السلم إنما كان مرتقى لسماء مباحث الأصول لأنه مبني على الأدلة ؛ على كلام الله وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم – , أما ما يكتبه أهل الضلال وأهل البدع في باب الاعتقاد ليس سلماً للوصول إلى سماء مباحث الأصول وإنما هو دركات وهلكات إلى هوات سحيقة تفضي بأصحابها إلى الهلكة لأنها ليست مبنية على قال الله وقال رسوله – صلى الله عليه وسلم – فلا يكون ما يُكتب سواء كان نظماً أو نثراً في بيان الاعتقاد سلماً للوصول إلى سماء مباحث الأصول – أي العقائد – إلا إذا قام على الدليل ؛ كلام الله وكلام رسوله – عليه الصلاة والسلام– .

ثم حمد الله – جل وعلا – على الإنتهاء كما حمده في الابتداء , قال :

والْحَمْدُ لله عَلَى انتِهَائِي كَمَا حَمِدْتُ الله في ابْتِدَائي

فهو بدأ بالحمد وختم بالحمد .

أسْأَلُهُ مَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ جَمِيعِهَا وَالسِّتْرَ لِلعُيُوبِ

وهذا دعاء يدعو الله – سبحانه وتعالى – به في هذا المطلب العظيم وهو غفران الذنوب والستر , والله – سبحانه وتعالى – من أسمائه : " الغفور " ومن أسمائه " الستير " و هو يسأل الله – عز وجل – أن يغفر ذنوبه وأن يستر عيوبه , ويوم القيامة يقول الله – سبحانه وتعالى – لعبده المؤمن : " سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم " فهو يسأل الله – عز وجل – الأمرين ؛ الستر والمغفرة .

ثُمَّ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أبَدَا تَغْشَى الرَّسُولَ الْمُصْطَفَى مُحَمَّداً

وأيضاً – صلى الله عليه وسلم – هنا ذكر في الختم الصلاة و السلام على رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – وهو حق من حقوقه – صلوات الله وسلامه عليه – على أمته , " **تَغْشَى الرَّسُولَ الْمُصْطَفَى مُحَمَّداً** " – صلوات الله وسلامه عليه – ومعنى تغشاه ؛ أي تغمره من ربه – سبحانه وتعالى – .

" **ثُمَّ جَمِيعُ صَحْبِهِ** " , " **ثُمَّ جَمِيعُ** " ؛ أي ثم تغشى جميع صحبه ,

ثُمَّ جَمِيعُ صَحْبِهِ والآلِ السَّادَةِ الأئِمَّةِ الأبْدَالِ

أي هذه الصلاة تغشى النبي ثم بعد ذلك تغشى جميع أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – وآله الكرام والسادة الأئمة الأعلام الذين نصر الله بهم دينه , و " **الأبْدَالِ** " ؛ الذين هم أهل الفضل وأهل الإيمان والتقى والطاعة لله – عز وجل – كما قال الله – عز وجل – : ((ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون)) .

تَدُومُ سَرمَدَا بِلا نَفَادِ مَا جَرَتْ الأقْلاَمُ بِالْمِدَادِ

أي تستمر هذه الصلاة دائمة مستمرة لا تنفد " **مَا جَرَتْ الأقْلاَمُ بِالْمِدَادِ** " ؛ أي بالحبر .

" **ثُمَّ الدُّعَا وَصيَّةُ القُرَّاءِ** " ؛ أي وصية مني للقراء لهذا النظم ومن وقفوا عليه وقرأوه واستفادوا منه وصيتي الدعاء , ثم الدعاء الذي يطلبه من القراء يطلبه منهم جميعاً بدون استثناء , يقول :

ثُمَّ الدُّعَا وَصيَّةُ القُرَّاءِ جَمِيعهمْ مِنْ غَيْرِ مَا اسْتِثْنَاءِ

يقول : لا استثني ولا واحداً منهم طالما أنه يُقرأ هذا النظم ويقف عليه الواقف ويستفيد منه فأنا أوصي كل من قرأ هذا النظم بالدعاء , يقول في شرحه لمراده بقوله : " **ثُمَّ الدُّعَا وَصيَّةُ القُرَّاءِ** " يقول : " **ثم الدعاء لجامع هذا العقد متناً وشرحاً** " لأنه جمعه متناً نظماً وشرحه في كتابه المعروف " معارج القبول " فيقول : " ثم الدعاء لجامع هذا العقد متناً وشرحاً " وصية منه يلتمسه من القراء أن يدعوا له بخيري الدنيا والآخرة , ونحن نريد أن نوسع في هذا الباب في الوصية بالدعاء لجامع النظم وشارح النظم الذي هو المؤلف وكل من شرحه مكتوباً أو مسموعاً وأيضاً كل من قرأ هذا النظم وكل من اعتنى به الدعاء مبذول للجميع بالتوفيق والسداد والعون على طاعة الله – تبارك وتعالى – وما يقرب إليه , ثم ختم –رحمه الله تعالى – هذا النظم ببيت ذكر فيه عدد أبيات هذا النظم , وذكر فيه أيضاً تاريخ السنة التي نظم فيها هذا النظم بطريقة معروفة في الحساب وهي حساب الجُمّل , قال هنا :

أبْيَاتُهَا (يُسْر) بِعَدِّ الْجُملِ تَأْرِيخُهَا (الْغفْرَانُ) فَافْهَمْ وَادْعُ لي

وحساب الجُمّل هذه طريقة معروفة عند العرب قديماً , يعطون كل حرف من حروف الهجاء ليس على ترتيب حروف الهجاء الألف بائي : أ , ب , ت , ث..وإنما على ترتيبها الأبجدي : أبجد هوز حطي كلمن ..الخ فيعطون كل حرف من الحروف رقم , فمثلاً :

أبجد ؛ الألف : واحد , والباء : اثنين , والجيم : ثلاثة , الدال : أربعة .

هوز : الهاء : خمسة , والواو : ستة , والزاي : سبعة , وهكذا إلى أن تصل إلى العشرة ثم ينتقل إلى عشرين , ثلاثين , أربعين ..إلى أن تصل إلى مائة ثم ينتقل إلى مائة مائتين .. إلى أن يصل إلى الألف وهكذا , فهذا يسمى عن العرب **حساب الجُمّل** , ومن خلال هذا الحساب يعطيك حروفاً إذا رجعت إلى أعدادها في حساب الجُمّل تستطيع أن تعرف , فالآن قال :

أَبْيَاتُهَا (يُسْر) بِعَدِّ الْجُملِ تَأْرِيخُهَا (الْغفْرَانُ) فَافْهَمْ وَادْعُ لي

" **أَبْيَاتُهَا (يُسْر)** " هذه الآن ثلاثة حروف ؛ الياء والسين والراء , فالياء والسين والراء في حساب الجُمّل :

الياء : تأتي عند قولهم : (حطي) وهي تعادل عشرة

والسين : على الحساب ستين , والراء : مائتين , فالآن عندك الياء عشرة , والسين : ستين , والراء : مائتين المجموع كم ؟ مائتين وسبعين , هذا عدد أبياتها , عدد الأبيات : مائتين وسبعين بيتاً .

ولعلي أتم لكم الفائدة في حساب الجُمّل بحيث تكون واضحة لكم تماماً ؛ أولاً : أكتبوا معي ترتيب الحروف الأبجدي وهو كما يلي :

وأفضل أن تجعلوها في سطور متباعدة حتى تضع تحت كل منها الرقم الذي يخصها :

هذا ترتيب الحروف يسمى أبجدي , و : أ , ب , ت , ث حروف الألف بائي

أبجد : الألف : واحد , الباء : اثنين , الجيم : ثلاثة , الدال : أربعة

هوز : الهاء : خمسة , الواو : ستة , الزاي : سبعة .

حطي : الحاء : ثمانية , الطاء : تسعة , الياء : عشرة .

أنتهينا الآن إلى ماذا ؟ إلى (حطي) , (أبجد هوز حطي) أكتمل لنا الآن عشرة , الآن انتقل الترقيم إلى العشرات .

كلمن : الكاف : عشرين , اللام : ثلاثين , الميم : أربعين , النون : خمسين .

سعفص: السين : ستين , العين : سبعين , الفاء : ثمانين , الصاد : تسعين .

أنتهينا الآن إلى (سعفص) , وصلنا إلى تسعين إلى (سعفص)

قرشت: القاف : مائة , الراء , مائتين , الشين : ثلاثمائة , التاء : أربعمائة

ثخذ: الثاء : خمسمائة , الخاء : ستمائة , الذال : سبعمائة

ضظغ : الضاد : ثمانمائة , الظاء : تسعمائة , الغين : ألف

لاحظنا الآن كل حرف من هذه الحروف له قيمة عددية , الآن أرجعوا إلى نظم الشيخ حتى نخرج تاريخ قال : " (**الْغفْرَانُ**) " , وعادة يسبق البيت حتى تعرف أنه قصد حساب الجُمّل إما أن يقول : أرختها , أو جمعتها أو عددها فيأتيك شيء يشعر أنه قصد هذا المعنى , وهنا قال :

" **أَبْيَاتُهَا** (**يُسْر**) " عرفنا أنها مائتين وسبعين بيتاً , " **تَأْرِيخُهَا** (**الْغفْرَانُ**) " , الغفران عندكم الآن الحساب كم يخرج ؟ ألف وثلاثمائة واثنين وستين , الألف بكم ؟ واحد , واللام : ثلاثين , والغين : ألف , الآن صارت ألف وواحد وثلاثين

والفاء : ثمانين , الآن : ألف ومائة وإحدى عشر

والراء : مائتين , ألف وثلاثمائة وإحدى عشر

والألف : واحد , ألف وثلاثمائة واثنى عشر , والنون : خمسين , ألف وثلاثمائة واثنين وستين

على كل حال أرجعوا إليها هي : ألف وثلاثمائة واثنين وستين

أيضاً أريد أن تراجعوا الشرح , الشيخ في الشرح قال : (أبياتها) ؛ أي عدتها , رمز حروفها (يسر)وذلك مئتان وسبعون بيتاً بعد الجُمّل , الحروف الأبجدية المعروفة عند عامة العرب , وبما زدت فيها أقول : أبياتها (المقصود)؛ أي الذي فيه الأحكام والمسائل (يسر) فاعقل عني " , تاريخها الذي ألفت فيه رمز حروفه الغفران وذلك ألف وثلاثمائة واثنان وستون , أي عامئذ , وفي ذلك العام : ألف وثلاثمائة واثنان وستون كم

كان عمر الشيخ ؟ هو من مواليدكم قلنا ؟ ولد عام : ألف وثلاثمائة واثنين وأربعين , يعني كان عام : ألف وثلاثمائة واثنان وستون عمره اثنين وعشرين سنة , فكل هذه الإجادة والإتقان والنظم ومن بعده أيضاً الشرح كل ذلك كان في هذا السن .

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يغفر للشيخ حافظ حكمي وأن يجزيه خير الجزاء وأن ينفع بكتابه هذا وبجميع كتبه , وأن يغفر لجميع علمائنا الأولين منهم والآخرين وأن يلحقنا جميعاً بالصالحين من عباده وأن يهدينا إليه صراطاً مستقيماً وأن يغفر لنا ولمشايخنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات .

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

- هذه ورقة فيها تلخيص جيد لحساب الجُمّل كتبها الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد إذا أحببتم تصويرها والإستفادة منها فيها توضيح وفيها أمثلة ذكرها وأيضاً وضح فيها طريقة الحساب من ضمنها بيت للوالد – والدي – أرخ فيه وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم قال :

وفاته بأحرف أرختها فقلت (جج وادي فاغفري لي وله)

(جج وادي فاغفري لي وله) هذه إذا حسبتها بحساب الجُمّل تطلع : ألف وثلاثمائة وتسعة وثمانين الذي هو تاريخ وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله تعالى – .

والله أعلم، وصلى الله وسلم على عبدالله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .